مقاربات تحليل مضامين السمعي البصري
أطر نظرية ومنهجية

كتـــــاب بيداغوجي

إعداد د. سوسن سكي

مقدمة

الفصل الأول: المقاربات الكمية والكيفية

- **أولاً :** المقاربة الكمية والكيفية سياق الظهور والتطور.....12
- **ثانياً :** المقاربة الكمية سياق مفاهيمي.....18
- **ثالثاً :**المقاربة الكيفية: سياق مفاهيمي.....21
- **رابعا:** المقاربة الكمية والكيفية خصائص وميزات.....22
- **خامسا :** الفروقات بين المقاربة الكمية والكيفية.....23

الفصل الثاني: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام (مراجعة نظرية)

- **أولاً :**مفهوم تحليل المحتوى.....34
- **ثانياً :**تطور تحليل المحتوى في بحوث الإعلام.....37
- **ثالثاً :**خصائص تحليل المحتوى الإعلامي.....39
- **رابعاً :**أهداف تحليل المحتوى الإعلامي.....41
- **خامساً :**استخدامات تحليل المحتوى في السياق الإعلامي.....42
- **سادسا:** تحليل المحتوى الإعلامي الإيجابيات والرهانات.....46

الفصل الثالث: خطوات تحليل المحتوى في بحوث السمعي البصري

- **أولاً :**الإجراءات المنهجية العامة.....52
- **ثانياً :**ترميز بيانات التحليل.....55
- **ثالثاً :**اختبار صلاحية التحليل (الصدق والثبات).....61
- **رابعاً :**تجميع وتفريغ البيانات الكمية.....64
- **خامساً :**تحليل البيانات.....64

الفصل الرابع: التحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل

- **أولاً :** إطار نظري ومفاهيمي.....69
- **ثانياً :**الخطوات الإجرائية لتحليل أيديولوجيا القائم بالاتصال.....72

الفصل الخامس: التحليل السيميائي في بحوث الإعلام

- **أولاً :**مفهوم السيمياء 80
- **ثانياً :**تطور السيمياء 82
- **ثالثاً :**أنواع السيمياء.....86
- **رابعاً :** السيمياء في المجال الإعلامي.....89

الفصل السادس: مقاربات التحليل السيميائي في بحوث الإعلام

- **أولاً :**المقاربة اللسانية (فرديناند دي سوسير).....97
- **ثانياً :**المقاربة الفلسفية/الثلاثية (شارل سندرس بيرس).....101
- **ثالثاً :**المقاربة الثقافية والدلالية (رولان بارت).....106

الفصل السابع: تحليل الصورة الرقمية

- **أولاً :**مفهوم الصورة الرقمية.....114
- **ثانياً :**تقنيات الإنتاج الرقمي للصورة.....117
- **ثالثاً :**أصناف الصورة.....118
- **رابعاً :**مستويات قراءة وفهم دلالية الصورة.....119

الفصل الثامن: تحليل المحتوى الرقمي (الواقع والآفاق المستقبلية)

- **أولاً :**مفهوم تحليل المحتوى في البيئة الرقمية.....127

- **ثانياً :**أشكال تحليل المحتوى الرقمي.....128
- **ثالثاً:** تطبيق تحليل المحتوى في الفضاء الرقمي بين الفرص والصعوبات المنهجية.....129
- **رابعاً :** آفاق تطوير تحليل المحتوى الرقمي.....133

الفصل التاسع: نموذج تطبيقي (تحليل محتوى مدونة إلكترونية بيئية)

- **أولاً :**بطاقة تعريفية لمدونة المنظمة العالمية لحماية البيئة (OMPE) 141
- **ثانياً :**الإجراءات التطبيقية لتحليل محتوى مدونة منظمة (OMPE).....144

خاتمة.....155

مسرد الشخصيات.....157

مسرد المصطلحات 162

مقدمة

يُعد تحليل مضامين السمعي البصري أداة منهجية علمية تهدف إلى تفكيك الرسائل الإعلامية المركبة (صورة، صوت، نص...) للإذاعة، السينما والتلفزيون وحتى الوسائط الرقمية، بُغية استخلاص الدلالات الكامنة والقيم اجتماعية كانت أو سياسية أو ثقافية.... يرتكز على إجراءات موضوعية وخطوات عملية جعلت منه أداة مهمة في التعامل العميق مع المحتويات الإعلامية بعيدا عن الذاتية والتأويلات الشخصية والتخمين.

إن خصوصية المادة السمعية البصرية تمكن في طبيعتها التركيبية، فهي لا تشتغل على مستوى لغوي واحد، بل على تقاطع مكونات إعلامية متعددة: لفظية، بصرية، سمعية ، حركية وزمنية، وهذا التقاطع يجعل العملية أكثر تعقيدا وصعوبة من تحليل النصوص المكتوبة، فالمسألة تستدعي وعيا بالبينة التقنية للإنتاج وخياراتها الفنية والجمالية وسياقاتها التداولية التي تمنح الخطاب معناه ومدلوله النهائي.

فالمعنى في الخطاب السمعي البصري لايُعطى بشكل مباشر جاهز، بل يُبنى عبر منظومة متشابكة من العلاقات بين النص والصورة والصورت والسياق الوارد فيه، وبين ما يُقال وما يُحذف، وبين ما يظهر في الواجهة وما يقبع خلف الكواليس من معاني وقيم ومدلولات بارزة ومستترة، تتبلور خصوصية الخطاب السمعي البصري .

وفي ظل التحولات العميقة الوافدة على الحقل الإعلامي المعاصر ، تتغير بينيه ووظائفه وتمثلاته باستمرار بفعل التطور التكنولوجي المحموم، والتكاثر السريع للمنصات الرقمية وتداخل الوسائط التي قلبت كثيرا من الموازين كانت منذ عهد قريب من الثوابت في الممارسة الإعلامية، أبرزها تبدل الأدوار في العملية الاتصالية ومكامن القوى من مُنتج مُحتكر إلى إعلام تشاركي تفاعلي، يقترب أحيانا من خصوصية المهنة الإعلامية وضوابطها وينأى عنها في كثير من الحالات بحجة التدفق السريع والتحيين المستمر للمعلومات والأخبار ومواكبة مستجدات البيئة الرقمية المستعجلة.

في ذات السياق، لم يعُد الخطاب السمعي البصري مجرد وعاء لنقل المعلومة يتبنى الإخبار أو الإرشاد التعليم أو التثقيف وغيرها من الوظائف الكلاسيكية المنوطة بالإعلام عموما، بل غدا مصنعا لإنتاج المعنى وإعادة تشكيل التصورات الاجتماعية والثقافية ومن ثمة صناعة القيم والفكر ، فالصورة المتحركة المتجة بعناية تقينة فائقة، والصوت والموسيقى والمؤثرات فضلا عن الإضاءة وإبداعات التصوير والإيقاع الزمني المتسق ... كلها مغريات تتفاعل فيما بينها ضمن بنية دلالية واحدة ، لتُنتج خطابا متعدد السياقات

والطبقات، لا يمكن رصده والإحاطة به إلا من خلال أدوات تحليلية دقيقة ومتكاملة تتبنى ماهو أصيل منهجيا في الدراسات التحليلية وتفتح باب التجديد المنهجي المحتوم الذي فرضته البيئة الرقمية بما أفرزت من ظواهر ومشكلات بحثية، مفاهيم وممارسات جديدة وأدوات متجددة ، وهذا في سبيل التحليل الكامل والشامل والدقيق للخطاب السمعي البصري في السياق الرقمي.

من هذا المنطلق، تتأكد الحاجة الملحة إلى تأصيل مقاربات منهجية قادرة على تفكيك هذه البنى المركبة وتشريحها للكشف عن آليات اشتغالها الدلالي والإقناعي خصوصا في ظل الوفرة الإنتاجية في المادة السمعية البصيرة سواء على وسائل الإعلام الكلاسيكية أو الوسائط الرقمية وحتى تلك المعززة بأدوات الذكاء الاصطناعي التي لا تقف عند حدود معينة.

فقد يُخطأ من يعتقد أن تحليل مضامين السمعي البصري مجرد عملية وصفية أو تحليلية سطحيا لما ما يُسمع من خلال الأثير أو يظهر على الشاشات المختلفة، بل هو جهد علمي منظم ودقيق هدفه الأسمى فهم كيفية بناء الخطاب وكيفية توجيه المعنى وصقل الأفكار، وطريقة توظيف الرموز والعناصر الاتصالية عموما والتمثلات لخدمة رؤى معينة، تخدم مصالح جهات محددة في العالم، واضحة كانت أم خفية. فكل اختيار تقني جمالي يتم توظيفه شكليا في الإنتاج السمعي البصري لا يخلو من دلالات ورسائل مبطنة يُراد توجيهها للمتلقي بطرق ذكية وأحيانا ماكرة، وكل ترتيب للمشاهد أو توظيف للأصوات أواختيار لمؤثرات بصرية وصوتية معينة لا يتأتى صدفة، بل يتم وفق هدف مدروس واستراتيجية تواصلية تستحق القراءة والتأويل.

يكتسي هذا الموضوع أهمية كبيرة بيداغوجية وعلمية خاصة في تكوين طلبة علوم الإعلام والاتصال أين يواجه اكثير منهم صعوبات منهجية في التدرج من المستوى النظري العام إلى المستوى الإجرائي الميداني ... فكثيرا ما تبقى الأدوات البحثية أو المناهج حبيسة الطرح النظري المتواضع من أمثلتها تحليل المحتوى وتحليل الخطاب، التحليل السيميائي والمقاربة النقدية دون الاستفادة الحقيقية منها كأدوات واضحة يمكن توظيفها بسهولة في عديد الدراسات الإعلامية بما يتناسب وخصوصية كل دراسة خصوصا بحوث التخرج أو الدراسات العليا، وهذا ما يُبرر بإلحاح ضرورة تقديم مادة علمية بيداغوجية واضحة تجمع بين الصرامة المفاهيمية والخصوصية النظرية والوضوح الإجرائي ، حتى تَيسر للطالب فهم كيفية بناء شبكة التحليل وضبط وحداته وفئاته وصياغة مؤشراتها المناسبة وربط النتائج بالسياق الاجتماعي والثقافي والأهم من ذلك تطويع تحليل المحتوى بما يتناسب مع كل دراسة ووسيط ، لأن اعتماد القوالب الجامدة الجاهزة لمجرد التحليل قد لا تُعطي نتائج ذات فاعلية تقيس ما يُفترض قياسه.

فالمقاربات التحليلية لمضامين السمعي البصري تتنوع بتنوع الخلفيات النظرية التي تعتمدها كمنطلقات في البحث، إذ أن هناك اتجاهات كمية تركز على قياس التكرارت والأنماط البارزة، وتهتم بالاتجاهات العامة والتمثلات المتكررة ضمن المادة المدروسة، وفي مقابل ذلك، توجد المقاربات الكيفية التي تسعى لفهم البُنى العميقة للخطاب وتحليل الرموز واستكشاف الدلالات الضمنية. كما تتطور مقاربات نقدية تربط المحتوى بالسياق الأوسع محاولة قراءته في ضوء علاقات السلطة والإيديولوجيا وبنيات الإنتاج الإعلامي، وليس من المهم المفاضلة بين هذه المقاربات بقدر إدراك تكاملها في كثير من الحالات واختيار ما يُناسب منها المشكلة البحثية وأهداف الدراسة المطروحة.

كما أن التحليل السليم للمضامين السمعية البصرية يقتضي إدراك خصوصية الزمن داخل الخطاب المرئي، فالمعنى لايتكشل فقط من خلال اللقطة منفردة بل من خلال تتابع اللقطات وإيقاع المونتاج وتسلسل الأحداث بطريقة ما، فالزمن السرد وسلاسة الانتقال بين المشاهد، التناوب بين الصمت والموسيقى عوامل تؤثر في بناء الدلالة وتوجيه إدراك المتلقي ، وبهذا ، فإن أي مقاربة تحليلية لا تراعي المعطيات السابقة ولا تأبه بالبعد الزمني تكون حتما قاصرة عن الإحاطة الشاملة بالخطاب.

وإذا كان تحليل المضمون في زيه الكلاسيكي قد ارتبط أساسا بالنصوص المكتوبة معرجا على المضامين السمعية والسمعية البصرية، فإن تطور الوسائط الرقمية وتعزز الوسائل الكلاسيكية بمنصات سمعية بصرية وازدهار هذه الأخيرة يفرضان إعادة النظر في العدة المفاهيمية والمنهجية لتحليل المحتوى الذي بات يُنتج ويُستهلك ضمن بيئة تفاعلية تتولد فيها الكثير من العناصر ويبرز فيه دور الجمهور بشكل كبير في إعادة إنتاج المحتوى، تفسيره، التعليق عليه ومشاركته بأتساق مختلفة توسع من دائرة الدلالة والتأويل وتجعله أكثر انفتاحا ؛ ما يفرض على الباحث المحلل ضرورة استيعاب ما طال الخطاب السمعي البصري من تحولات عميقة بفعل البيئة الرقمية محاولا بذلك استيفاء شروط وعناصر جديدة في التحليل .

ينطلق هذا الكتاب من قناعة مفادها أن تحليل مضامين السمعي البصري ليس تمرينا تقنياً محضاً، بل ممارسة معرفية منهجية ونقدية، تسعى عموما إلى مساءلة الخطاب الإعلامي، والكشف عن تمثلاته وفهم تأثيراته في تشكيل الوعي في زمن لم تعد فيه الصورة بريئة، والصوت محايداً، والخطاب لا يُنتج في فراغ؛ بل يتشكل داخل سياقات اجتماعية، ثقافية ، اقتصادية وسياسية تؤثر فيه ويتأثر بها. ومن هنا فإن امتلاك أدوات تحليلية دقيقة لا يُعد ترفاً أكاديمياً، بل ضرورة لفهم آليات صناعة المعنى في عالم تتزايد فيه هيمنة الصورة وتتسارع فيه تدفقات المعلومات.

وعليه، فإن الرهان الأساسي لهذا العمل يتمثل في تمكين القارئ عموما والطالب على نحو خاص من الجمع بين الفهم النظري العميق والممارسة التطبيقية الواعية، بما يُزوده بمهارات سانحة لقراءة الخطاب السمعي البصري قراءة علمية متأنية، تتجاوز الانطباعية والاختزال والتحليل السطحي العشوائي، فبناء ثقافة تحليلية رصينة في هذا المجال يسهم في ترسيخ البحث العلمي الجاد، ويعزز من قدرة الدارس والباحث على إنتاج معرفة دقيقة وموضوعية حول المضامين الإعلامية، في سياق أكاديمي يسعى إلى الارتقاء بأدواته ومقارباته بما يتناسب مع تعقيد الواقع الاتصالي المعاصر.

لتحقيق هذا الغرض ، تم تقسيم الكتاب إلى تسعة فصول، محاولا التوفيق بين مقرر المقياس المسطر وما يمكن إضافته كمحاور ثانوية أو نماذج تطبيقية لتعزيز وإثراء هذا المقرر ودعمه بالجانب الميداني في ظل افتقاره لذلك، حيث أُستهل الكتاب بمدخل حول المقاربات الكمية الوكيفية التي تُسهم في فهم واستيعاب أداة تحليل المحتوى وتُمهد الطريق لشرحه بإسهاب في الفصول الاحقة، ذلك أن تحليل المحتوى يستند إلى المقترب الكمي أو الكيفي وفي كثير من الحالات إلى كليهما معا.

كما تضمن الفصل الثاني والثالث تحليل المحتوى مفصلا من التأسيس التاريخي لهذه الأداة والاجتهاد البحث في صياغة مفاهيمه وخصائصه وشروطه إلى خطواته المنهجية والميدانية بالتفصيل مع تعزيز ذلك بأمثلة تطبيقية، تُسهل على الطالب إسقاط مدركاته المجردة من المستوى النظري إلى التجريب الميداني.

في حين عُني الفصل الرابع بالتحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل مبرزا في ذلك أهمية هذا الموضوع الذي يرتقي بتحليل المحتوى من المستوى الظاهري البسيط إلى مستوى أعمق فهما وأكثر أهمية اليوم في سبر أغوار الرسائل الإعلامية وفهم مكنوناتها، حتى لا ننقاد بسهولة لها، إذ يكشف الواقع الممارساتي اليوم الكثير من التجاوزات والغايات المشكوك فيها والدوافع المغرضة التي تحملها جل الخطابات الإعلامية اليوم مستغلة في ذلك الإمكانيات السمعية والبصرية والرقمية.

بينما يختص الفصلان الخامس والسادس بالتحليل السيميولوجي من المفهوم إلى طرق التطبيق والاستخدام الميداني في المجال الإعلامي موضحا نفاط التقاطع بين تحليل المحتوى والتحليل السيميائي في كثير من الحالات تستوجب ذلك لتحقيق الفهم الأعمق والأشمل للكامن من الأفكار والمدلولات التي تحملها مضامين إعلامية وإن كان لكل منهما خصوصيته ومنهجيته وخطواته العملية، وحتى حالات استخداماته.

وبالحديث عن السياق الرقمي وما يحمله من معطيات لا يُمكن إنكارها، يرد تحليل الصورة الرقمية الذي يحمله الفصل السابع استجابة لهذه المعطيات كأحد الموضوعات الحساسة والمهمة التي ينبغي تقديمها للطالب بداية بكل ما يعتري الصورة من جوانب نظرية مهمة ومختلفة إلى تلقينه المنهجية المناسبة لتحليل الصورة الرقمية على اختلاف شكلها ونوعها وموضوعها مع الإشارة إلى اختلاف توجهات تحليل الصور الرقمية.

وعن التحليل الرقمي للمحتوى السمعي والسمعي البصري والسعي لتطوري آفاقه مستقلا خصوصا في ظل العزوف البحثي على المستوى المحلي خصوصا والعربي عموما عن التعاطي مع الظواهر الرقمية والممارسات الإعلامية التي تستوجب التحليل بطرق تتكيف مع خصوصية البيئة الرقمية، يتولى هذا الفصل تجميعا للصعوبات التي تعترض المحلل لخطابات البيئة الرقمية والاعتبارات الواجب مراعاتها في التحليل وآفاق تطوير وتطويع هذه التقنية الهامة،

ليتم الاختتام بمثال تطبيقي تفصيلي عن كيفية تحليل المحتوى السمعي البصري في المواقع الإلكترونية على اختلاف أنواعها وتوجهاتها، ويأتي هذا المثال بعد خبرة طويلة في مجال التحليل الرقمي واطلاع واسع على عدة دراسات مشابهة ، يستهدف تبسيط الخطوات العملية والمنهجية للطالب مع تزويده بالطريقة الصحيحة والموضوعية للارتقاء بهذه الآداة، بعدما لوحظ إجحاف في استخدامها في السياق الرقمي من قبل الكثيرين، أين عكفوا على تحليل محتويات منصات التواصل الاجتماعي والمدونات والمنصات بطريقة ساذجة لا تستوعب التغيير الذي يطال هذه الطريقة وكيفية توظيفها بشكل أمثل شامل للخروج بنتائج ذات فائدة أقل ما يُقال عنها أنها دراسات تحليلية جادة وليست مجرد موضة بحثية فقط.

الفصل الأول المقاربات الكمية والكيفية

تمـــــهيد

تعتبر المقاربات الكمية والكيفية عصب الدراسات الإعلامية الحديثة، ففيما تهدف المقاربات الكمية إلى قياس الظواهر وتعميم النتائج عبر تحليلات إحصائية رقمية، تسعى المقاربات الكيفية لفهم المعاني وتفسير السياقات وتحليل النتائج بعمق وربطها عادة بالأسباب أو العوامل. حيث يُنظر للبحث الكمي كـ"صلب" يعتمد على لغة الأرقام ويوفر بيانات موضوعية كتحليل المضمون الرقمي مثلا، يتم فيه اختبار الفرضيات باستخدام إجراءات محددة كإجراءات التصميم التجريبي أو السببي المقارن وغيرها، بينما يُعد الكيفي "خفيفاً" يركز على النص والسياق من خلال تفسيرات نوعية للبحوث الاثنوغرافية ودراسة الحالة ، البحوث الميدانية ، بحوث الملاحظة بالمشاركة وتحليل المقابلات مثلا...

وفي السنوات الأخيرة، ساد نقاش علمي واسع بشأن مزايا الجمع بين المناهج الكمية والنوعية أين تُكمل المقاربتان بعضهما البعض في العديد من الأبحاث والدراسات في سبيل الإحاطة العلمية وتحقيق فهم شامل وكاف للظاهرة المدروسة. وهذا ما يُفسر توجه الدراسات الحديثة إلى اعتماد المناهج المختلطة (Mixed Methods) لتعزيز مصداقيتها من خلال الجمع بين "ماذا" (كمي) و"لماذا" (كيفي). والذي أصبح من المتطلبات البحثية لإعداد دراسات أكثر شمولية.

يتناول هذا الفصل المقاربات الكمية والكيفية كمدخل عام للمقياس، فقبل التطرق لتحليل المحتوى يستوجب الأمر أن نُعرج على المقاربات الكمية والكيفية وحتى المختلطة التي تُعد مستلزمات ضرورية في تحليل مضامين السمعي البصري مجتمعة أو منفردة حسب المقتضيات البحثية، حيث يحاول الفصل الإحاطة بالسياق التاريخي لظهور المقاربتين ، المفاهيم والخصائص المتعلقة بكل منهما، حالات استخدامها موضحا الفروقات الجوهرية ومواطن وحالات التداخل بينهما.

أولا: المقاربةالكيفية والكمية - سياق الظهوروالتطور-

يَمكن إرجاع أصول البحث الكيفي إلى اليونان القديمة، أين انخرط الفلاسفة في أشكال من الاستقصاء التي سعت إلى فهم جوهر الأشياء بما يتجاوز منطق الأرقام أو القياسات. وقد بات هذا التقليد الأساس للطرق النوعية التي تركز على فهم المعنى والسياق وتعقيد التجربة الإنسانية، ومع ظهور الاتجاه الوضعي في القرن التاسع عشر، والذي ركز على الأدلة التجريبية والمنهج العلمي، أصبح البحث الكمي هو النموذج السائد. فقد سعى هذا النهج المتجذر في العلوم الطبيعية إلى اكتشاف القوانين العالمية من خلال القياس الموضوعي والتحليل الإحصائي... (Boa, 2024)

من هذا المنطلق، لابّد من التأكيد على أّن هنالك تضارب في تاريخية المنهجين الكّمي والكيفي، ويُلاحظ حقيقة هذا التّضارب الباحث حينما يحاول أن يعرف بدايات التّصور وطرائق البحث في هذين المنهجيتين، وبينما يعتقد البعض أّن البحث الكيفي كان أولى البحوث التي أجريت كمنظور كيفي إنساني بدأ مع د ارسة الأنشطة الإنسانية ممثلة أساًسا في دراسة Florian Znaniecki " زانيكي فلوريان و William Isaac Thomas توماس وليام بعنوان "الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا" ، فإن هنالك اتجاه آخر يقر أن البحث الكيفي مجال بحثي جديد تقريًبا، انطلق بطيئا في النصف الثّاني من القرن العشرين، ثم بدأ يتوّسع في العقود الثلاثة الأخيرة .

من المهم جًدا التأكيد على ما أشار إليه "فضيل دليو" ، نجد من أوائل الباحثين الذين دافعوا منذ القرن 19 عن " الأصالة" والتّميز المنهجي للعلوم الاجتماعية مقابل العلوم الطبيعية، كل من Wilhelm Dilthey فيلهلم دلتاي و هاينريخ ريكرت Heinrich Rickert Rickert، حيث اعتبراها "أصالة" نابعة من طبيعة موضوع دراستها البشري .

ولأن المنهجيات الكمية يُقترح تطبيقها في الموضوعات التي تتمتع بثلاث خاصيات "قابلية الملاحظة، سببية واضحة، موضوعية عالية"، وهذه الخاصيات هي التي تميز موضوعات أو مواد العلوم التّجريبية، فإّنه يطلق على المناهج التّجريبية "الامبريقية" على تلك التي يُقترح تطبيقها على مادة أو موضوعات تلك العلوم (شيا ، 2018) . بهذا المنطق، فإن البحث عن بدايات المنهج التّجريبي هو بحث عن بدايات المنهج الكّمي .

كانت أولى المساهمات التّاريخية في تصميم منهج تجريبي وضعي غير ذاتي هو ما أنجزه "Francis Bacon " "فرنسيس بيكون" في ثلاثينيات القرن 17، حين وضع قواعد علمية ملموسة لكيفية ملاحظة أو مراقبة

ظاهرة على نحو موضوعي وعلمي، وقد ضبط جداول عند ملاحظة الّظاهرة موضع البحث عند غيابها أو حضورها في درجات إلى شروط أخرى وضعت الأساس للمنهج الكمي التّجريبي الحديث .

ثم برزت مساهمة جون ستيوارت ميل John Stuart Mill الذي اقترح خمسة مناهج في أي مقاربة علمية كّمية سببية لعلاقة ظاهرة بظاهرة أخرى: منهج الاتفاق، منهج الافتراق، منهج الاتفاق والافتراق مًعا، منهج البواقي ومنهج التّغيرات المترافقة - أي سلسلة من العلل والمعلولات وهي مناهج إحصائية رياضياتية تامة .

وفي أربعينيات القرن 19، عرض Auguste Comte أوغست كونت فكرة "تحويل مناهج البحث في العلوم الاجتماعية إلى مناهج علمية ذات نتائج موضوعية"، وهذا في ضوء تأثره بنجاحات العلوم الطبيعية ونتائجه شبه الّدقيقة، موّكًدا على أّنه بالإمكان مقاربة الّظاهرة الاجتماعية على نحو علمي كمي، ثّم تبعه في هذا الاتجاه كلورد برنارد Claude Bernard مع نهاية القرن 19 ومطلع القرن العشرين .(شيا ، 2018)

سيطرت البحوث الكمية على الساحة البحثية خلال القرن العشرين، والبداية كانت في الفيزياء والكيمياء حيث إمكانية التنبؤ في ضوء وجود قوانين معينة ثم امتدت إلى علوم أخرى، حيث طُبق ذلك على سلوكيات الأطفال في المدرسة واعتمدت الدراسات الكمية على قياس قدرات الأفراد وجمع الدرجات وتوظيفها لاستنتاج عدة أنماط. (زيتون ، 2006)

وقد برزت ثلاثة اتجاهات في تاريخ تطور البحوث الكمية وهي: (أبو علام ، 2013)

-اتجاه الإجراءات الإحصائية ؛ نبع من آراء القرن التاسع عشر حول ارتباط متغيرين أو أكثر وسرعان ما اتسعت هذه الآراء لتشمل المجموعات، وفي أوائل القرن العشرين قارن الباحثون بين متوسط درجات الأفراد في المواقف السلوكية المختلفة، وكانت الفكرتان الأساسيتان هما ارتباط الأفكار ومقارنة المجموعات أساس الإحصاء الحديث . وتطورت هذه الأفكار الإحصائية الأولية إلى نماذج مركبة تربط بين العديد من المتغيرات وتختبر علاقات العلل بالمعلولات أو علاقات المثير بالاستجابة

مثال: هل تخصيص الطالب لوقت أطول في الدراسة يؤدي إلى حصوله على تقديرات أعلى.

-اتجاه عمليات الاختبار والمقاييس

ظهر مفيوم قياس القدرة العقلية للأفراد في أواخر القرن التاسع عشر، وخلال الحربين العالميتين استخدم الجيش الأمريكي الخبراء الذين لديهم علم بالاختبارات والمقاييس لحاجته إلى اختبار الأفراد

الذين لديم استعداد للاشتراك في المعارك، وفي أوائل القرن العشرين تطورت الأفكار المتعمقة بقياس أداء الفرد أو تحصيله، فظهرت الاختبارات التقنية مثل اختبار الاستعداد الدراسي (SAT) الذي مكن المسؤولين عن القبول في الجامعات الأمريكية من التنبؤ بالأداء الأكاديمي للفرد في المستقبل. وبحلول منتصف القرن، أصبح خبراء القياس قادرين على اختبار و استخدام آليات تقدير الدرجات مما سهل تقدير درجات الانتخابات.

-اتجاه تصميم البحث:

كانت تصميمات البحوث الأولى بسيطة وغير معقدة مقارنة بالطرق المستخدمة اليوم، وبدأت الدراسات المسحية في أواخر القرن التاسع عشر، وفي أوائل القرن العشرين، كان الباحثون يجرون التجارب ويستخدمون في ذلك المعلومات التي حصلوا عليها من علم النفس، وقد بدأت أيضا في أوائل القرن العشرين فكرة مقارنة اتجاهات وآداءات مجموعتين من الأفراد، وهو المفيوم الأساسي وراء البحوث التجريبية، وسرعان ما طور الباحثون التصميمات الأولى للبحوث إلى تصميمات أكثر تعقيدا تقوم على مجموعات واختبارات متعددة، وفي سنة 1593، أصبحت مختلف تصميمات البحوث التجريبية عاملا أساسيا في البحوث، وتوصل الباحثون من خلال القرن العشرين إلى أنواع التجارب المختلفة مع تحديد نواحي قوتها وضعفها، وتم التوسع في الدراسات الكمية لتشمل الدراسات الارتباطية والمسحية.

لقد اعتبرت هذه التطورات التاريخية إضافة قوية إلى البحوث الكمية في العلوم السلوكية، بحيث أصبحت تؤكد على :

-جمع وتحميل البيانات في شكل أرقام.

- جمع الدرجات التي تقيس صفات متميزة للأفراد والمنظمات.

- إجراءات مقارنة لمجموعات أو دراسة العلاقة بين العوامل المرتبطة بالأفراد والمجموعات في التجارب وفي الدراسات الارتباطية والمسحية. (أبو علام ، 2013)

وفي مجال الدراسات الإعلامية، التي كانت خلال المراحل المبكرة من القرن العشرين ذات طابع كيفي بطبيعتها ، تهتم أساس بالقضايا التاريخية والأخلاقية والتشريعية،وقد بدأت مسوح القراءة تأخذ طريقها مع ظهور الطباعة في الثلاثينات من القرن العشرين، أين لوحظ زيادة الاهتمام بالبحث الكمي خلال الأربعينات والخمسينات من ذات القرن، ذلك أن الاتجاه الكمي ظل مسيطرا خلال هذه السنوات بينما

حدث تحول إلى الاتجاه الكيفي مع نمو الاتجاهات النظرية وزيادة الاهتمام بالدراسات الامبريقية أعقب ذلك دوريات جديدة في هذا المجال اهتمت بعلم الاجتماع التفسيري.

بد الاهتمام في الاتصال الجماهيري بتأسيس مجلات عديدة منها " Media,Culture and Society" والتي لوحظ خلوها من الدراسات الكيفية مما يُشير إلى قلة الاهتمام بالبحث الكيفي في تلك الفترة ، ويُرجع الدارسين أسباب تطور الاهتمام باستخدام البحوث الكمية في الدراسات الإعلامية إلى:

-تزايد عدد وسائل الاتصال الجماهيري وانتشارها في معظم أنحاء العالم وتطورها من الصحافة المكتوبة إلى شبكة المعلومات الدولية.

-إقبال الجماهير المتزايد على استخدام وسائل الاتصال الجماهيري في مختلف مناحي الحياة.

-انتشار إنتاج الصناعات الإعلامية، ما يتطلب استخدام الإحصاءات بصورة مميزة وأساسية.

-تعدد أنواع المادة الإعلامية واختلاف وسائلها وتنظيمات مؤسساتها.

من الّناحية التّاريخية، يُمكن اعتبار البحث الّنوعي مهمَّشا من حيث المشاركين فيه (موضوعاته) ومن حيث منهجيته. ويعتبر علماء الأنثروبولوجيا الثقافية من أهم وأبرز الباحثين الّنوعيين، فقد كانوا عند دراساتهم للشعوب "البدائية" بشكل حصري تقريبًا يناقشون في كثير من الأحيان بأنه لا ينبغي اعتبار المشاركين في دراساتهم بدائيين، إل أنهم واصلوا فحصهم شبه الحصري لهؤلاء المشاركين وبالتالي أبقوا على تهميشهم. ويمكن تصنيف Sigmund Freud سيغموند فرويد و Jean Piaget جان بياجيه ضمن الفئة العريضة من الباحثين النوعيين، وهما اللذان درسا النساء العصابيات والأطفال على التوالي، كما درست مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع في شيكاغو عصابات الشوارع والأشخاص الذين تم إيداعهم في المؤسسات .(Maykut و Morehouse ، 1994)

ويُمكن القول أّن الاستعمال الأكاديمي للبحوث الكيفية بدأ في العصر الحديث مع بداية القرن العشرين و الاعتقاد الّشائع بأّنه أثناء هيمنة مدرسة شيكاغو خاصة الفترة 1915-1935 – كان المنظور المسيطر هو الكيفي الإنساني وقد مّثله عمل كل من Thomas& Znaniecki السابق الذكر ، أين ا استخدما الوثائق الشخصية (رسائل ، المقابلات والسير الذاتية، كمنهج لتجميع المعطيات حول تجربة الفلاح البولندي في تكيفه المهجري, فكانت المعطيات ذاتية، والمفاهيم الأساسية اتجاهات، والمعالجة تأويلية .(بن الصغير ، 2025)

في أربعينات القرن الماضي،تم حسم جدل "الكّمي/ الكيفي" بالتأكيد على حرمان البحوث الكيفية من إمكانية تجربة الفرضية أو تأكيد الفرضيات والّنظريات، والتي كان يُفترض أّنها أهم هدف للعملية العلمية بينما خُصص الّدور التّجريبي للمنظور والبحوث الكمية. غير أّن فكرة تجريب الفرضيات النظرية والنظريات دخلت في أزمة علمية نتيجة انتقادات كل من Karl Popper كارل بوبر ، لكاتوس إمره Lakatos Imre وThomas Samuel Kuhn توماس صموئي لمجموعة فيينا كل من كوفمان، آير ونوراث" "Kaufman, Ayer, Neurath التي ترّكز على الطروحات القابلة للتّجريب وتعتبر أّن الاستقراء هو أساس المعرفة العلمية. (شيا ، 2018)

يُشار هنا في معرض الحديث عن الإرث الفكري للمنهج الكيفي تاريخًيا، وفي الآونة الأخيرة، استُخدمت الأساليب الّنوعية لدراسة العملية التعليمية في المراحل الابتدائية والثانوية والجامعية. وفي إطار النظر إلى التعليم والطالب درس ويليام بيري سنة 1970 التغيرات الفكرية والأخلاقية في ذكور هارفارد، وساعد في دراسته مجموعة من الأشخاص الذين يقّدرهم المجتمع المهيمن على نقل مستوى البحث الّنوعي إلى مركز البحث الجاد (Maykut & Morehouse , 1994)

عمومًا، يظهر اليوم المنظوران أو الاتجاهان المعرفيان في شكل أكثر تعقيًدا منه عن عام 1930، خاصًة بعدما تقاربا أكثر وأصبحا متكاملين عند الكثير من الباحثين، ولكن هناك من يقدر استحالة قياسهما؛ أي عدم إمكانية المقارنة بينهما أو تكاملهما مستلهما ذلك من فرضية "كوهن." (بن الصغير ، 2025)

في الدراسات الإعلامية، ظهر تيار في أربعينات القرن الماضي يقر بالتأكيد على أن أدوات القياس تتطور وتتبدل وفق فهمنا للظاهرة التي يمكن قياسها. فتصورنا لمفهوم الجمهور_ على سبيل المثال_ كان محصورا في اعتباره كتلة متجانسة وساكنة أو سلبية في تعاملها مع وسائل الإعلام، خاصة السمعية- البصرية. لكن تدخلت الكثير من العوامل لتعيد النظر في مفهوم تجانس مشاهدي التلفزيون في المجتمع الواحد والشريحة الاجتماعية الواحدة، وحتى الأسرة الواحدة. بعض تلك العومال اجتماعي وثقافي، وآخر سياسي وتكنولوجي... وبهذا تغيرت أدوات القياس التي تعالج هذه الظاهرة، وارتبطت بتلك التي تعتمد عليها البحوث النوعية.

كما أن العديد من المفاهيم المرتبطة بممارسة وسائل الإعلام، مثل الخمول، أو الشرودEscape الاستخدام والتفاعلية، وغيرها يصعب قياسها كميا لعدم وجود إجماع على الواقع الذي تغطيه، فيتم الاجتهاد في تفتيتها أو تفكيكها إلى جملة من الوحدات أو المفاهيم الإجرائية من أجل الاقتراب منها أكثر.

لكن يظل هذا الاجتهاد رهان يقوده الباحث وفق مرجعياته الثقافية والفكرية. لكنها لاتكون في الغالب مطابقة لما يفرزه البحث الكيفي من وحدات أو مفاهيم إجرائية، يعمل الباحث على تفتيت أو تفكيك المفاهيم المذكورة مع الجمهور وبواسطته من خلال الملاحظة بالمشاركة. كما أن البحث النوعي على غرار دراسة اثنوغرافية تدرس الوسيلة الإعلامية أو تكنولوجيات الاتصال بذاتها، وتضعها ضمن الممارسات الثقافية والاجتماعية الأخرى التي تتدخل في تشكيل نمط الحياة .

ومن مبررات التوجه النوعي في بحوث الإعلام الطابع الفرداني الشخصي للوسائط الرقمية التي مازالت تحتفظ بصفة الجماهيرية، مما يجعل المقاربات المنهجية الكمية عاجزة عن القبض على خط التقاطع بين ما هو فردي و ما هو اجتماعي. كما أن التكميم يميل غالبا إلى تفضيل ما هو جماعي على حساب ما هو فردي .

لقد ابتعدت الدراسات والبحوث الإعلامية في المجتمعات الغربية، تدريجيا، عن مفهوم التأثير، واهتمت بمفهوم الاستخدام الذي يحيلنا إلى نوع من تمثّل الجمهور- المستخدم- لوسائل الإعلام الجديد. يتضمن مفهوم الاستخدام، على الصعيد الاصطلاحي، معنيين أساسيين، وهما: المعنى الأول يحيل إلى الممارسة الاجتماعية التي يجعلها التكرار والتعود شيئا مألوفا وعاديا في ثقافة ما. وبهذا، فإنها تقترب من العادات والطقوس. أما المعنى الثاني فإنه يحيلنا إلى استعمال شيء ما سواء كان ماديا أو رمزيا لغايات خاصة. وهذا ما يدفع إلى التفكير في الاستخدام الاجتماعي للعّدة التكنولوجية ومساءلة دلالاته الثقافية المعقدة في الحياة اليومية

تستطيع البحوث النوعية أن تقتفي أثر العلاقات الديناميكية بين المحيط التقني والوسط الاجتماعي وتستجلي أثر تمثُّلاتها لدى المستخدمين. فالبحوث حول تكنولوجية الاتصال الحديثة في البيئة العربية على سبيل المثال، تمكنت من تقديم بعض الحقائق العلمية المرتبطة بالغاية المرجوة من استخدام الانترنت، كالقول مثلا أن القسم الأكبر من مستخدمي الانترنت في المنطقة العربية يستخدم الانترنت بغرض الترفية، لعل هذه الحقيقة تبدو مهمة للكثير من الباحثين والسلطات العمومية المسؤولة عن قطاع الإعلام والثقافة وللمستثمرين في مجال الإعلام الجديد (العياضي، 2013)

إن تطور العلوم الاجتماعية مرهون بتطور أساليب وطرائق البحث العلمي التي تعالج مختلف المشكلات البحثية، خاصة منها المتعلقة بالتغير والتنمية الاجتماعية، مما يجعل الباحث يعيد النظر في المناهج المتبعة في البحث، حيث يلجأ لاستعمال مناهج مختلطة لتحقيق نتائج أكثر موضوعية. "إن منهج البحث

الاجتماعي اليوم . مطالب برفع التحدي في البحث العلمي، الذي يفتح آفاقا جديدة تعالج باستجلاء مختلف الجوانب الكمية والنوعية للظاهرة بكل أبعادها الاجتماعية ومؤشراتها التفسيرية، ويصبح البحث الاجتماعي قادرا على تقديم مفاتيح المعرفة العلمية ذات الموثوقية المشروعة التي تتجاوز المشكلات الابستمولوجية والتبعية التاريخية والشكوك العلمية، الأمر الذي جعل الكثير من الباحثين يؤكدون أن العوائق الابستمولوجية المرتبطة بمناهج البحث الاجتماعي تفرض عليهم التعاطي مع هذا النوع من البحوث بكل دقة وحذر. (بروك، 2021)

لذا تنبه الباحثون "لضرورة تحقيق التكامل البحثي بين المنهجين، لما كان للأسلوب الكمي ببياناته الإحصائية غير كاف وحده لفهم بعض الظواهر الاجتماعية أو جوانب معينة منها، كالمواقف والقيم الاجتماعية فهما متعمقا، فقد تنبه بعض الباحثين إلى ضرورة الاستعانة بالأسلوب الكيفي إلى جانب الأسلوب الكمي، لأن ذلك يعمل على زيادة توضيح الرؤية وتعميق النظرة الشمولية، مما يُساعد على دقة التحليل وضبط التفسَير، خاصة في البحوث الاجتماعية التي تتطلب نوعا خاصا من المعالجة يتناسب مع طبيعتها. (بروك، 2021)

كما أنه وبالرغم من تزايد أهمية التحليل الكمي في إجراء العديد من البحوث والدراسات الاجتماعية، إلا أن هذا لا يعني عدم أهمية التحليل الكيفي ، ففي كثير الحالات يجد الباحث من الأجدى أن أخذ موقفا وسطا يجمع بين التحليل الكيفي والكمي في آن واحد في الدراسة الواحدة، وبذلك يستفيد من مزايا كل منهما ويتجنب عيوبهما. (ابراهيم البيومي ، 2008)

ثانيا: المقاربة الكمية سياق مفاهيمي

يُعرف المنهج الكمي باعتباره "بحثا تجريبًيا منهجيا Systematic Empirical Research " لظاهرة يُمكن ملاحظتها على نحو ما، وتكميمها بواسطة أدوات إحصائية أو رياضياتية، أو بواسطة تقنيات الكومبيوتر المختلفة. (شيا ، 2018)

فالبحث الكمي نهج لاختبار النظريات الموضوعية من خلال فحص وفهم طبيعة العلاقة بين المتغّيرات الممكن قياسها، بحيث يمكن تحليل البيانات الكّمية أو المرّقمة باستخدام مختلف الإجراءات الإحصائية. والباحثين الذين يسلكون هذا الّنهج من الاستقصاء لديهم افتراضات مسبقة حول اختبار الّنظريات بشكل استنتاجي، بالإضافة إلى رفضهم للتّحيز، التّحكم في التّفسيرات البديلة، القدرة على التّعميم وتَكرار

الّنتائج، مع نسج "تقرير نهائي" له مجموعة من الهياكل المحّددة، يتضّمن: مقدمة، أدبيات البحث، الّنظرية، أساليب، نتائج ومناقشة. (الرفاعي ، 2024) ص 764

البحوث الكمية هي نوع من البحوث العلمية التي تفترض وجود حقائق اجتماعية، موضوعية منفردة ومعزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، وتعتمد غالبا الأساليب الإحصائية في جمعها للبيانات وتعميميا (قنديلجي و السامراني ، 2009) ص57

" يقوم البحث الكمي على معطيات كمية ومعطيات يمكن عدها ووضعها في مجموعات كمية، هي معطيات قابلة للقياس وتسمح بإجراء العمميات الحسابية". (أنجرس، 2004) تركز على جمع وتحليل بيانات كمية رقمية عددية، حتى يكون بإمكان الباحث الوصف والتفسير أو التنبؤ أو التحكم في الظاهرة التي يتم بها، في هذا النوع من البحوث يقوم الباحث بصياغة الفروض التي يريد التحقق من صحتها، كما يقوم بتحديد إجراءات البحث التي سوف يستخدمها لإجراء الدراسة، هذا بالإضافة إلى القيام بتحديد العينة التي سوف تجرى عمليا الدراسة والتي يجب أن تكون كبيرة وكافية لكي يحصل على بيانات إحصائية لها مغزى (نصر الله ، 2016)

على النقيض من الدراسة النوعية، فإن الدراسة الكمية تبحث عن الأسباب والحقائق من منظور أوسع وأشمل، وعن العلاقات بين المتغيرات حتى يمكن تفسير علاقات السبب والنتيجة بين هذه المتغيرات، ويصبح من الممكن التوصل إلى تنبؤات دقيقة بخصوص الظاهرة أو الظواهر عند الدراسة. (الخياط ، 2010) ص 69

تُستخدم المقاربات الكمية في العديد من البحوث العلمية وعلوم المادة كالفيزياء والكيمياء ، الجيولوجيا وعلم الزلازل وعلم المناخ وغيرها ، بالإضافة إلى الظواهر الإحصائية في العلوم الإنسانية والاجتماعية كالتعداد السكاني ونسب الطلاق في مجتمع ما إحصاء مرضى اضطراب طيف التوحد...

وبالنظر إلى أبحاث العلوم الإنسانية والاجتماعية _بما فيها علوم الإعلام والاتصال_ القائمة على المقاربة الكمية نجد أنها تسعى جاهدة لتكون منهجية محددة ودقيقة عبر تقصي الموضوعية والمصداقية والحقيقة، فالبحوث الكمية تحاول دائما عزل عناصر محددة واستخدام الأرقام والارتباطات العددية في بيئات خالية من القيمة لقياس وتحليل العلاقت السببية بين المتغيرات. في المقابل، تقوم البحوث الكيفية على التفسير وبناء النظريات عن طريق الاحتكاك بالبيئة الطبيعية للمبحوثين أو الظاهرة المدروسة

واستخدام اللغة والكلمات لفهم الظاهرة في سياقها المبني على أساس خبرات الأفراد، فهي تحاول تكوين شعور أكبر بالعلاقات الإنسانية والاجتماعية المدروسة.

بالرجوع إلى الدراسات الإعلامية، نجد أن استخدام كل من الأساليب النوعية والكمية يساهم في فهم طبيعة مشكلة البحث ، فعلى سبيل المثال عند تحليل خطاب أحد السياسيين أو القادة في وسائل الإعلام، فإن الاعتماد على المقاربة الكمية يُساعد في حساب عدد الكلمات ووفقا للوحدات المقرر دراستها إلا أن ذلك لا يُعد كافيا ولا يُعطي صورة املة عن عن الدراسة، فنبرة صوت المتحدث وحركاته وإيماءاته تعطي معنا لتلك الكلمات(Amadi , 2011)

تتمتع المقاربة الكمية في دراسة الظاهرة الاتصالية، باستخدام العديد من الأدوات البحثية في مجالات عديدة يُستعان بها في تكميم الظواهر المدروسة كالاستبيانات وتحليل المحتوى، واستطلاعات الرأي وبحوث السوق الإشهارية ،وبحوث سبر الآراء وقياس نسب المشاهدة للقنوات التلفزيونة أو الوسائط الرقمية مثلا... حيث تُترجم تفاصيلها في شكل بيانات رقمية إحصائية تعطي دلالات معينة في تفسير الظاهرة المدروسة

طبقت البحوث الكيفية في دراسة الخطاب الصحفي في ثمانيات القرن الماضي .فلم تعكف على الكشف عن مقاصد مؤلفه، ولا الوصول إلى الحقيقة التي يعبر عنها، بل للبحث عن حقيقته من خلال إبراز المنطق الذي يستند إليه و طرق إنجازه . واتكأت المقاربات الكيفيّة في مجال االإعلام على نظريات الفعل الاجتماعي التي تولي قدرا أكبر من الأهمية لدور الفعل والتفاعل بين أعضاء المجتمع في تكوين البنى الاجتماعية (غندز ، 2005) ، ص 76 ، وتطورت في ظل تزايد البحوث التي درست الإعلام الرقمي استنادا إلى نظرية الفعل والشبكة لفهم تطور الممارسة الإعلامية داخل قاعات التحرير المختلفة، ولفهم دور التكنولوجيا باعتبارها صانعة الفعل Actant وكشف حدودها في إقامة العلاقة بالفعل والفاعل والمُنْتج والمتلقي. إن هذه النظرية تذكرنا بأن) الفعل يكتسب معناه في سياق الممارسة، ففي خضمها يصبح الفرد فاعلا ولا يتوقف وجود الممارسات على أفعال فرد مخصوص. فقبل الأفعال الفردية توجد أشكال سابقة من المعارف التطبيقية والفهم المشترك لما يجب فعله وقوله (M Ryfe , 2017) وارتكزت البحوث الكيفية في المجال الإعلامي أيضا على الدراسات الإثنوغرافية التي اهتمت بنشاطات قاعات التحرير ومنتجي مادتها الإعلامية وبمتلقيها من الجمهور. ورغم أن هذه الدراسات وظفت أدوات البحث التقليدية التى رسختها البحوث الانثربولوجية إلا أنها كيفتها مع متطلبات البحث عبر شبكة الانترنت ضمن " الإثنوغرافيا

الرقمية". (العياضي ، البحوث الكيفية في علوم الإعلام والاتصال: إضاءات نظرية ومسالك تطبيقية، 2020)

ثالثا: المقاربة الكيفية سياق مفاهيمي

أما البحث الكيفي، فيعبر عن استخدام حسن التّصميم لأدوات وتقنيات بحث "غير كّمية وغير رقمية" في مقاربة الظواهر أو الموضوعات الإنسانية والاجتماعية المدروسة. يستخدم هذا النوع من المقاربات في حال وجود ظواهر معقدة تحتاج إلى دراسة انطلاقا من هذا المنهج، ومن ثّم القدرة على الدخول إلى أعماق الظاهرة. (مخلوف ، 2023)

هو عبارة عن نهج لاستكشاف وفهم المعنى الذي ينسبه الأفراد أو الجماعات إلى مشكلة أو قضية إنسانية أو اجتماعية، حيث تتضّمن عملية البحث أسئلة وإجراءات ناشئة ومعطيات تُجمع في الغالب من المشاركين أنفسهم، وبناًء على تحليلها بشكل استقرائي من التّفاصيل إل الموضوعات العامة، يقوم الباحث بعمل تفسيرات أو تأويلات لمعناها أو معانيها. ويُصّمم التّقرير الّنهائي بهيكل مرن، وفي هذا الّنوع من البحوث يبرز الأسلوب الاستقرائي والتّركيز على المعنى الفردي لكل مشارك أو فاعل، وأهمية عرض تعقيد الموقف.

إن البحوث الكيفية Research Qualitative ،هي نوع من البحوث العلمية التي تفترض وجود حقائق وظواهر يتم بناءها عن طريق وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث، ويتوجه الباحث في البحث النوعي في العادة نحو عينة عمدية أو مقصودة في جمع البيانات والمعلومات لتحقيق أهداف البحث، عن طريق أدوات فعالة، غير محكمة البناء ،مثل الملاحظة المشاركة، والمقابلات المعمقة والوثائق والسجلات الأولية المرتبطة بالموضوع، ويكون دور الباحث الإعلامي فيها دورا متفاعلا، لكنه يعتمد على الذاتية المنضبطة، للابتعاد عن التحيز في جمع البيانات وتفسيرها، ولا يهدف البحث الكيفي عادة إلى تعميم النتائج، بل إلى توسيع نتائج الحالة المبحوثة ومن المشكلات التي تواجه البحث لاحتمالات الاستفادة منها في مواقف وحالات أخرى (عليان و محمد غنيم ، 2000) ص 159

تُستخدم المقاربات الكيفية أو النوعية بشكل عام في الدراسات التاريخية والقانونية ، الأبحاث التي تتناول ظواهر اجتماعية أو إنسانية بالفهم والتحليل وطرح أسبابها واقتراح حلول لها، ومن أمثلة ذلك في مجال الإعلام والاتصال، البحوث السيميائية التي تبحث في دلالات المعاني التي تحملها الرسائل الإعلامية أو الصور الإشهارية الموجهة للجمهور، البحوث الاثنوغرافية القائمة على الملاحظة والمعايشة.

رابعا: المقاربة الكمية والكيفية -خصائص وميزات -

يتميز البحث الكمي بالخصائص التالية:

-تنطلق البحوث الكمية من استخدام الفرضيات العلمية باعتبارها إجابات مؤّقتة أو حلول تتعّلق بوصف واقع معّين من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات . واستخدام البيانات المتوفرة لإيجاد علاقة ارتباطيه أو سببية، كذلك تحاول الدراسات الكمية التوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفذ فيه الدراسة كما يهدف إلى تعميم نتائج البحث على حالات أخرى. (بودون ، 1980)

-تحاول البحوث الكمية التوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنّفذ فيه الدراسة.

-تهدف هذه البحوث إلى تعميم نتائج البحث على حالات أخرى مشابهة لحالة الّد ارسة.

-يسعى البحث الكمي إلى البحث عن الأسباب والحقائق، وذلك من منظور العلاقة التي تحدث بين المتغيرات الأمر الذي يمّكن من إيجاد تفسير لعلاقات الّسبب والّنتيجة بين المتغّيرات.، ويؤدي إلى إمكانية التوقع والتنبؤ حول عدد من الجزئيات المتعّلقة بالظاهرة قيد البحث (بن عمروش، 2020)

أما عن خصائص المنهج الكيفي، فهنالك ثلاثة خصائص أساسية تمّيزه

-له نظرة استقرائية للعلاقة بين الّنظرية والبحث، مع أّن الأولى مستوحاة من الثّانية.

-إن فهم العالم الاجتماعي يكون من خلال تفّحص وترجمة ذاك العالم عبر المشاركين.

-الوضعية الأنطولوجية تصفه أّنه بنائي، والذي يعني أّن الملكيات الاجتماعية هي نتاج التّفاعل بين الأفراد. وليس ظاهرة خارجية أو منفصلة عن أولئك الذين ساهموا في بنائه.

-يركز البحث النوعي أو الكيفي بشكل أساس على العمل البحثي الميداني.

-يؤكد البحث الكيفي على الإجراءات أكثر من تأكيده وتركيزه على المخرجات والنتائج.

-يهتم البحث الكيفي بالدرجة الأساس بالمعاني المتعلقة بكيفية جعل معنى لحياة الناس، و تجاربهم وبنيتهم الحياتية.

-الباحث في البحث النوعي أو الكيفي هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات وتحليلها، وليس عن طريق الاستبيانات والأدوات الأخرى المماثلة.

-في البحث الكيفي أو النوعي يذهب الباحث شخصيا وبنفسه إلى الأفراد والجماعات المعنية بالبحث، ويقوم بتحديد المواقع، والمؤسسات المعنية بالبحث والملاحظة و المراقبة، أو بتسجيل البيانات المتعلقة بالسلوك في المحيط الطبيعي لها.

-إن البحث الكيفي أو النوعي ينطوي على الوصف، أي أن الباحث يهتم بالإجرا ءات والعمليات، والمعاني المكتسبة وفهمها، عن طريق الكلمات والتصرفات والصور المستوحاة عن مجتمع الدراسة.

-إن البحث النوعي هو بحث استقرائي Inductive،إذ يستقرئ الباحث ويبني مستخلصاته ومفاهيمه وافتراضاته ونظرياته

عن طريق التفاصيل التي يحصل عليها، فالبحث النوعي يعد بمثابة أداة تستخدم لاستكشاف موضوع ما أو مشكلة لم يسبق بحثها. (بن عمروش، 2020)

خامسا: الفروقات بين المقاربة الكمية والكيفية

جدول رقم 1 يوضح الفروقات بين المقاربة الكمية والكيفية

الفروقات	المقاربة الكمية	المقاربة الكيفية
من حيث المفهوم	إحصاء للظواهر واختبار العلاقة بين المتغيرات	استقراء وفهم للظواهر دون الاهتمام بقياسها أو تكميمها
الألسوب البحثي	الوصف	التحليل والتفسير
المناهج المستخدمة	الوصفي التجريبي المقارن	الوصفي- التاريخي- الاثنوغرافي
الأدوات المعتمدة	الاستبيان è تحليل المضمون كميا	الملاحظة – المقابلة- تحليل الوثائق- التحليل السيميائي
خصائص	سهولة التعامل مع البيانات وتفريغها	صعوبة التعامل مع البيانات

	إمكانية الاختبار إمكانية التعميم بيانات متجانسة	وتحليلها كونها غير متشابهة
مجال الاستخدام	التسويق- علم النفس- الاقتصاد- علم الاجتماع...	التاريخ – السياسة- القانون علم الإعلام (حسب الظواهر)
العيوب	إمكانية التعميم ضئيلة بعض النتائج الإحصائية لا تعطي تفسيرات للظاهرة لا يقيس الظواهر غير الكمية	غياب الموضوعية- التحيز-مدى زمني واسع وجهود أكبر
أمثلة في مجال الإعلام	تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على التذكر لدى الطالب الجامعي اتجاهات الصحفيين الجزائريين نحو المصادر الإخبارية الرقمية	صورة المسلم في أفلام هوليوود دور سلطة ضبط السمعي البصري في تعزيز أخلاقيات المهنة

المصدر الباحثة نفسها

تتقاطع البحوث الكمية والكيفية في مجموعة من العوامل نذكر منها:

-يتبنى البحث الكمي نظرة تفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية معزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، ويتم قياسها بأدوات مناسبة تتوفر فيها الخصائص الأساسية من صدق وثبات، إلا أن البحث النوعي يفترض وجود مؤثرات عدة يتم بناؤها اجتماعيا من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات للموقف، لذا يحاول الباحث في البحث النوعي فهم الظاهرة وهي في ظروفها الطبيعية. (عليان و محمد غنيم ، 2000)

-تهدف البحوث الكمية إلى اختبار بعض الفرضيات التي تتعلق بوصف واقع معين من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات واستخدام البيانات المتوافرة لإيجاد علاقة ارتباطية أو سببية، كما يهدف إلى

تعميم نتائج البحث على حالات أخرى، أما البحث النوعي فهو أكثر اهتماما بفهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المبحوثين ومن خلال معايشة الباحث لحياتهم.

-منهجية وإجراءات البحث: حيث تجري البحوث الكمية وفق إجراءات وخطوات متتابعة، ومخطط معد إعدادا محكما مسبقا، أما الدراسات النوعية، فتتميز بقدر أكبر من المرونة فيما يتعلق بخطة البحث، فالباحث في البحث النوعي يستخدم تصميما ناشئا أو طارئا خلال عملية جمع البيانات. (قنديلجي و السامراني ، 2009)

-المعاينة والعينات: عينات البحث الكمي تكون عشوائية أو احتمالية في الغالب لتمثل مجتمع الدراسة، بعدد مناسب وكبير ممثلا لمجتمع البحث الأصلي تمثيلا صادقا، أما عينات البحث النوعي تكون مقصودة ،عددها محدود ولكنها تؤمن غزارة وافية في البيانات والمعلومات ويكون المبحوثون فيها عادة أفراد تتوافر فيهم خصائص الحالة المدروسة ويتم اختيارهم بصورة هادفة من موقع ما.

-جمع البيانات: جمع البيانات في البحث الكمي يرتكز على أداة الاستبيان وكذلك المقابلات أو الملاحظات المبنية بناء محكما مسبقا، أما في البحث النوعي فتستخدم المقابلة المعمقة أو الملاحظة المشاركة غير المبنية بناء محكما مسبقا.

-دور الباحث ومصداقية البحث: يكون دور الباحث في الدراسات الكمية منفصلا عن الدراسة، لكي يبتعد عن التحيز ، في حين ينغمس الباحث في الدراسات النوعية في الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة.

أما عن الاختلافات الجوهرية بين البحوث الكمية والكيفية في ضوء التجربة البحثية في علوم الإعلام و الاتصال فتتمثل في ثلاث مجالات هي:

-اختلاف مفهوم الحقيقة: الحقيقة في البحوث الكمية تكون موضوعية، بمعنى أن الحقيقة يمكن قياسها، أما في البحوث الكيفية فلا يوجد مفهوم مطلق للحقيقة، فمفهوم الحقيقية يختلف من باحث لآخر، والحقيقة تتواجد في أجزاء مختلفة، وحتى يمكن للباحث فهمها فلا بد له من النظر إلى كل هذه الأجزاء.

-اختلاف مفهوم الفرد: تنظر البحوث الكمية إلى الأفراد على أساس وجود تشابه بينهم، وبالتالي يمكن تصنيف وحصر مشاعرهم ومعتقداتهم، بينما ينظر الباحث في البحوث الكيفية إلى الأفراد على أساس أنهم مختلفون عن بعضهم البعض.

-اختلاف الهدف: تهدف البحوث الكمية إلى الوصول إلى القوانين العامة و النظريات التي تحكم سلوك الأفراد ، وعلى العكس من ذلك تهدف البحوث الكيفية إلى التوصل إلى تفسير موحد في موقف ما (Kerlinger, 1986)

كما أن هناك اختلاف آخر يتعلق بعملية التنفيذ و العمل الميداني والذي يتمثل فيما يلي:

-دور الباحث: يهدف الباحث في مجال البحوث الكمية إلى الوصول إلى الموضوعية، وفي سبيل ذلك ،فهو يحاول أن يجد مسافة بين نفسه و البيانات التي يقوم يجمعها، أي أنه يعزل نفسه عنها، أما في البحوث الكيفية فالباحث يعتبر نفسه جزءاً من البيانات التي يقوم يجمعها، بل أنه بدون المشاركة الفعالة من جانب الباحث لا يمكن الوصول إلى البيانات.

-التصميم: يتم تصميم البحث في البحوث الميدانية قبل بدء الدراسة، في حين أنه في البحوث الكيفية لا يتم تصميم البحث في البداية وإنما يتطور مع إجراء البحث وقد يتعرض للتغيير من حين لآخر.

-مكان البحث: يحاول الباحث عند إجراء البحوث الكمية التحكم في المتغيرات الدخيلة عن موضوع الدراسة ،والتي قد تؤثر على موضوع البحث، ويتم ذلك بإجراء الدراسات المخبرية التي تعزل المبحوثين عن العالم الخارجي، في حين أن الباحثين في الدارسات الكيفية يقومون بإجراء دراساتهم في الميدان وفي الظروف العادية، فهم يحاولون دراسة الأحداث وهي في حالتها الطبيعية دون أي محاولة للتحكم في العوامل الخارجية حول موضوع الدراسة.

أدوات القياس: يمكن استخدام أدوات القياس في البحوث الكمية بعيداً عن الباحث، بمعنى أنه يمكن أن يقوم فريق من الأفراد المتدربين يجمع المعلومات في أثناء غياب الباحث، أم في حالة البحوث الكيفية فإن الباحث هو بمثابة أداة للقياس، ولا يمكن أن يحل محله أي فرد آخر (حجاب ، 2025)

تتجلى نقاط التشابه و الاختلاف بين البحوث الكيفية و البحوث الكمية فيما يلي:

-لا تركز البحوث الكيفية على الطريق الرقمية و الإحصائية في تفسير البيانات المجمعة و النتائج كما في البحوث الكمية، بل تعمل على تفسير الظواهر المبحوثة بأسلوب إنشائي يعتمد التعبير بعبارات وجمل توضح ماهية وطبيعية تلك الظواهر، وعلاقاتها المتداخلة مع بعضها.

-يستخدم الباحث الكيفي الملاحظة المتفاعلة، والمقابلة الشخصية المتعمقة، وتحليل الوثاق كأدوات لجمع البيانات، وقد تختلف طريقة المقابلة هنا بين فرد وآخر من أفراد مجتمع الدراسة أو عينته، بخلاف البحث الكمي الذي تكون فيه أسئلة المقابلة والاستبيان نمطيه، ومعدة مسبقا.

-يحاول الباحث في البحث الكيفي فهم الظاهرة في ظروفها التي تمت فيها ولا يهدف إلى تعميم النتائج، بينما يعتمد البحث الكمي على قياس الظاهرة، وإيجاد العلاقات بين الأسباب و النتائج، والتعبير عنها رقمياً وتعميم نتائجها على حالات أخرى. (بن عمروش، 2020) ص 308

-غالباً ما يختار الباحث في البحث الكيفي، عينة مقصودة (عمدية)، تكون محدودة العدد، بينما يختار الباحث في البحث الكيفي عينة عشوائية في الغالب، تكون ممثلة لمجتمع الدراسة بغرض تعميم النتائج على الحالات المشابهة الأخرى.

-لا يكون الباحث محايدا في البحث الكيفي، بل تكون لديه مرونة في التغيير في خطة البحث وفقاً لمجريات البحث والبيانات المجمعة، فهو يضع خطة أولية قابلة للتعديل، بينما يلتزم الباحث الكمي بالخطة الموضوعة، والموافق عليها،

وأسئلة البحث بشكل مسبق، يلتزم بها خلال بحثه، وعلى هذا الأساس فإنه عندما يضع أسئلة المقابلة والاستبيان، بشكل مسبق، لا يغير فيها، ويلتزم بسمات الصدق والثبات في أدوات جمع البيانات.

-البحثان الكيفي والكمي ليسا متعارضين أو متضادين، حيث أنه يمكن استخدامهما معاً في نفس البحث. فيكون جانب من البحث كيفياً، وجانب آخر يستكمله،كمياً. ويحصل الباحث على نتائج من خلال استخدام البحث الكمي و الكيفي سوياً. كما يمكن استخدام البحث الكيفي لدراسة الظواهر و الحالات التي لا تتوفر معلومات وافية عنها، أو لمعرفة أشياء جديدة عن حالات مطلوب التعمق فيها، بغرض فحصها ودراستها لاحقا بطريقة وببحث كمي.

-يستخدم البحث الكيفي عادة في المجالات التي يتبين للباحث أن الأساليب والمقاييس الكمية لا تستطيع وصف أو تفسير المشكلة أو الحالة المعروضة، مثال ذلك دراسة خاصية التفوق والإبداع عند الطلبة أو الموظفين، والخصائص العقلية الذهنية الإبداعية عند الأفراد والجماعات. (الكندري ، 2006)

-يجمع الباحث الكيفي بياناته ويشتق معلوماته ميدانياً من المصادر الطبيعية للأحداث. حيث يعمل طيلة فترة البحث في مكان الظاهرة ، ويشتق معلومات من العاملين في الموقع، إضافة إلى الوثائق التي قد تتوفر في ذلك الموقع

-الباحث في البحث الكيفي يكون هو الأداة الأساسية لجمع المعلومات، ويعتمد في مقابلاته ومشاهداته وتحرياته على إمكاناته الذاتية ومهاراته في التحليل و التفسير، لذا فهو يتحدث مع المبحوثين، أو يلاحظ أنشطتهم، أو يقرأ وثائقهم وسجلاتهم من موقف ومنطلق خاص به.

-يسلم البحث الكيفي بأن السلوك الإنساني مرتبط بالبيئة التي يجري فيها البحث ويعيش فيها المبحوثين وبوجود تأثيرات اجتماعية وثقافية وتاريخية على الخبرات الإنسانية، بينما تدعو البحوث الكمية إلى عزل السلوك الإنساني عن المحيط الذي يتواجد فيه الأفراد المعنيين بالبحث.

-لا يتحدد البحث الكيفي بفرضية معدة مسبقاً، أو يختبر العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة المعدة مسبقاً،

بل يدرس جميع العوامل والمؤثرات في موقف معين، أي الخبرة الإنسانية بشكل كلي، ثم يضع تخمينات تتطور لاحقاً إلى فرضيات يعمل على تأكيدها أو نفيها من خلال مقابلاته وملاحظاته اللاحقة، ويخرج بالتفسيرات والنتائج.

-عمليات جمع البيانات والمعلومات تتداخل مع عمليات تحليلها في البحث الكيفي، كذلك يتطلب البحث الكيفي وقتاً أطول في تحليل البيانات من البحث الكيفي، فهو يحتاج إلى وقت مساو لوقت جمع البيانات ويتطلب تحليل مستمر ومتزامن مع جمع البيانات.

-يحكم على مصداقية البحث في البحث الكيفي من خلال قناعة رأي القارئ برأي الباحث، وليس من خلال العمليات الإحصائية والمعادلات المستخدمة في البحث الكمي (الكندري ، 2006)

هوامش الفصل

1. Amadi , F. (2011). Broadening mass communication research for enhanced media practice. Global Media Journal,African Edition, 5, PP 84-85.

2. Boa, K. (2024). Qualitative and Quantitative Approaches. In Applied Linguistics and Language Education Research Methods. IGI Global Scientific Publishing. P12

3. Kerlinger, F. (1986). Foundations of behavioral research. New York: Holt, Rinehart and Winston.

4. M Ryfe , D. (2017, March). A practice approachto the study of news production. Journalism , 19(4).

5. Maykut , P., & Morehouse , R. (1994). Beginning Qualitative Research - A Philosophic and Practical Guide. London & Washington: D.C.: The Falmer Press Teachers' Library.

6. ابراهيم البيومي ,غ .(2008) .مناهج البحث وأصول التحليل في العلوم الاجتماعية .القاهرة : مكتبة الشروق الدولية.

7. أبو علام ,ر .(2013) .مناهج البحث الكمي والنوعي والمختلط ط 1عمان ,الأردن :دار الميسرة.

8. الخياط ,م .(2010) .أساسيات البحوث الكمية والنوعية في العلوم الاجتماعية .عمان ,الأردن : دار الراية للنشر والتوزيع .

9. الرفاعي ,ع .(2024, 04) .البحوث المختلطة وتطبيقاتها في الدراسات الإعلامية رؤية تحليلية نقدية .مجلة البحوث الإعلامية Retrieved from : https://jsb.journals.ekb.eg/article_347767.html

10. العياضي ,ن .(2020) .البحوث الكيفية في علوم الإعلام والاتصال :إضاءات نظرية ومسالك تطبيقية .مجلة الباحث الإعلامي. (50)12 ، ص ص113-102

11. العياضي ,ن .(2013) .الرهانات الإبستيمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية ، تاريخ التصفح 02 04, 2026 مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 10، العدد 2، ص ص :1491-1467 https://aauja.yu.edu.jo/IMAGES/DOCS/V10N2B/V10N2BR3.PDF

12. الكندري ,ي .(2006) .طرق البحث الكمية والكيفية في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية .ط 1 الكويت :مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت.

13. أنجرس ,م .(2004) .منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية . تر: بوزيدي وآخرون ، الجزائر :دار القصبة.

14. بروك ,ط .(2021) .إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية دراسة تحليلية، مجلة العلوم الاجتماعية، ص 108 ، (02)15

15. بن الصغير ,ي .(2025) .مطبوعة بيداغوجية في مقياس المقاربات الكمية والكيفية .2بريكة : المركز الجامعي بريكة .

16. بن عمروش ,ف .(2020) .المقاربة الكمية والكيفية في ضوء التجربة البحثية في علوم الإعلام والاتصال .مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية (3)12 ، ص ص .310-293

17. بودون ,ر .(1980) .مناهج علم الاجتماع .ط 1بيروت :منشورات عويدات .

18. حجاب ,م .(2025) .أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية .ط 1. القاهرة :دار الفجر.

19. زيتون ,ك .(2006) .تصميم البحوث الكيفية ومعالجتها بيناتها إلكترونيا ط 1 .القاهرة :عالم الكتب .

20. شيا ,م .(2018) .محاضرة علمية حول المنهجيات الكمية والكيفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية .لبنان :المعهد العالي للدكتوراه.

21. عليان ,ر .محمد غنيم ,ع .(2000) .مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق .عمان :دار صفاء.

22. غندز ,أ .(2005) .علم الاجتماع مع مدخلات عربية. ط4 . تر: ف .الصباغ ,لبنان :المنظمة العربية للترجمة.

23. قنديلجي ,ع , السامراني ,إ .(2009) .البحث العلمي الكمي والنوعي .ط1.عمان ,الأردن :دار اليازوري.

24. مخلوف ,ب .(2023) .المقاربة الكمية والكيفية في العلوم الاجتماعية والإنسانية .مجلة البحوث والدراسات العلمية ,(1)17 ,ص ص 1351-1337 .

25. نصر الله ,ع .(2016) .أساسيات مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها ط 1 .عمان ,الأردن :دار وائل.

الفصل الثاني: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام _مراجعة نظرية_

تمهيد

على الرغم من وجود الاتصال الإنساني منذ العصور القديمة، إلا أن الدراسات المرتبطة بالاتصال حديثة نسبيا، لم تظهر إلا بعدما تبلور الاتصال والإعلام كعلم قائم بذاته منفصل تماما عن العلوم الإنسانية الأخرى على غرار علم الاجتماع وعلم السياسة وعلم النفس ... وواكب هذا الاهتمام البحثي ظهور وسائل الإعلام وتطورها، ودورها في تغيير الكثير من ملامح التفكير أو السلوك في المجتمعات الإنسانية قاطبة، حيث أثبتت وسائل الإعلام فعاليتها كقوة سحرية ناعمة في التأثير خصوصا بعد انتشار وسائل الاتصال الجماهيري وتطور منتجاتها ومحتوياتها وتعدد غايات القائمين عليها.

ومن أجل الوقوف على ما تنتجه هذه الوسائل من مضامين ورسائل إعلامية، وما تحتويه هذه الأخيرة من قيم ومعان ، ظهرت دراسات تحليل المحتوى لتلك الرسائل محاولة تفكيكيها بشكل علمي موضوعي لسبر معانيها الظاهرة والخفية والقيم التي تحملها ومن ثمة تفسير إيديولوجية المرسل .

أولا : مفهوم تحليل المحتوى

يعتبر تحليل المضمون أكثر الأدوات ملائمة في مجال الإجابة عن تساؤلات الباحثين التي تدور حول السلوك المرتبط بالرسائل الاتصالية، وهو أسلوب منظم لتحليل ومعالجة مضمون الرسالة الإعلامية .

وطبقا لذلك، يُعرف بأنه تفكيك ما ينتجه القائمون على وسائل الاتصال الجماهيري المكتوبة والمسموعة والمرئية من مضامين اتصالية متنوعة إلى أجزاء مادية، تسمح بكشف الرموز والصيغ المختلفة المستخدمة في التعبير عن الأفكار والقيم المراد تبليغها إلى الطرف الآخر في عملية الاتصال

وقد عرف Harold Dwight Lasswell هارولد لاسويل تحليل المضمون بأنه وسيلة منهجية لدراسة وسائل الإعلام"، حيث أشار إلى أنه يتم العمل بتحليل المضمون وفقاً للرؤية القائلة بأن السلوك اللفظي هو شكل من أشكال السلوك البشرى و تدفق الرموز هو جزء من تدفق الأحداث، كما أن عملية الاتصال هي جانب من جوانب العملية التاريخية. ويهدف تحليل المضمون إلى وصف الأحداث بموضوعية ودقة، بمعنى تحليل ما يقال عن موضوع معين في وقت معين. يمكن _حسبه_ تلخيص محتوى وسائل الإعلام على النحو التالي: من المتحدث، ماهي الوسيلة، من هم المستقبلون، وما تأثير المحتوى (Lasswell و Leites، 1949)

كذلك من بين التعريفات المصاغة في تحليل المضمون، تعريف برلسون "تحليل المحتوى هو تقنية من تقنيات البحث العلمي، هدفها الوصف الموضوعي والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال (الوسائل الإعلامية)، بمعنى آخر أن تقنية تحليل المحتوى تسمح باكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى الإعلامي، وتكشف العلاقات الكامنة لهذا المعنى من خلال البحث الكمي والموضوعي المنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى (Berlson , 1952)

كما يصف Abraham Kaplan ابراهام كابلان تحليل المحتوى بأنه " التصنيف الكمي لمضمون معين في ضوء نظام للفئات صمم ليعطي بيانات مناسبة لفروض محددة خاصة بهذا المضمون "، فيما عرفه جانيس Janis بأنه "أسلوب لتصنيف سمات الأدوات الفكرية في فئات طبقا لبعض القواعد التي يراها المحلل كباحث علمي " (عبد الحميد ، 1980) . ويلزر وينر Walizer and Winer 1978 يعتبره إجراء منتظم منهجي يستخدم لفحص مضمون معلومات مسجلة، ومن

العرب الباحثين نجد تعريف محمد عبد الباسط بأنه أسلوب يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر للاتصال. (عبد الباسط، 1980)

أما "سمير محمد حسين" فعرفه بأنه " أسلوب أو طريقة تحليل المحتوى بهذا اللفظ المترجم عن اللغة الانجليزية Content analysis ، أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمه الباحثون في مجالات بحثية متنوعة لوصف المحتوى الظاهر والصريح للمادة المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون (حسين ، 1983)

كما يُعرف في بحوث الاتصال بأنه طريقة للبحث عن الوصف المادي والكمي للمضمون الاتصالي وهو يشمل كل المعاني التي تُنقل عن طريق الرموز الاتصالية اللفظية والمصورة والحركية التي تكون مادة الاتصال نفسها، وهو أداة لوصف المحتوى الظاهر للرسالة وصفا موضوعيا وكميا وظاهريا ومنتظما مثل المؤلفات، الأقوال، الأخبار، الصور أو القصص أو الأحاديث ...ويتم ذلك عن طريق تصنيف المضمون موضوع الدراسة إلى فئات معينة، ثم التعبير عنها بصيغ كمية وتُستخدم عادة في دراسة مضمون وسائل الاتصال.(Chandler & Munday, 2011) .

وبالنظر إلى هذه التعريفات وغيرها خصوصا تعرف Berlson يتضح أنها في مجملها أكدت على الخصائص الآتية:

-تحليل المحتوى لا يُجرى بغرض الحصر الكمي لوحدة التحليل فقط وإنما يتعداه لمحاولة تحقيق هدف معين.

-أنه يقتصر على وصف الظاهر وما قاله الإنسان أو كتبه صراحة فقط دون اللجوء إلى تأويله.

-أنه لم يحدد أسلوب اتصال دون غيره ولكن يمكن للباحث أن يطبقه على أي مادة اتصال مكتوبة أو مصورة.

-أنه يعتمد على الرصد التكراري المنظم لوحدة التحليل المختارة. (العساف ، 1989)

والملاحظ أن من بين المفاهيم التي شاعت وهيمنت مدة معتبرة ولا تزال خاصة في المدارس العربية التقليدية – فقد بينت دراسة كل من ريف وفريتاغ Riffe and Frietag وهي دراسة طويلة امتدت من سنة 1971إلى سنة 1995 على مستوى دراسات الإعلام والاتصال ، نسبة 25 % منها كنت دراسات تحليل مضمون، كما كشف قمحاوي و ويفر Kamhawi and Weaver أن

تحليل المضمون حتى سنة 1999 ، كان أكثر المناهج شعبية في دراسات الاتصال، واستمر ذلك حتى سنة 2008 حسب روجردومينيك جوزيف-ويمر (ويمر و دومينيك ، 2013) Roger immer . and Joseph Dominick

يُتوقع أن هيمنة المدرسة الأمريكية الاستقرائية بطابعها البراجماتي على مناهج البحث على حساب المدرسة الفرانكفونية بطابعها الفلسفي التأملي، كانت أحد أهم أسباب شيوع هذا المفهوم الإجرائي والبراغماتي لتحليل المضمون، إذ يُلاءم ويخدم متطلبات وسياقات العولمة الإعلامية والاتصالية المعاصرة. (بن طبة ، 2015)

استخلاصا مما سبق، يكون تحليل المحتوى للرسائل والمضامين التي تنتجها وسائل الإعلام المختلفة ووتجزئتها ومحاولة تكميمها بأسلوب موضوعي ومنهجية محكمة للوقوف على الأفكار والقيم والمعاني التي تحملها المنتجات الإعلامية بصفتها رسائل موجهة إلى الجماهير المختلفة تستهدف التأثير والإقناع، يتجاوز تحليل المحتوى ما هو أبعد من الأفكار الظاهرية إلى المعاني الخفية المتسرة محاولا من خلالها التكهن بإيديولوجية المرسل وغاياته وإن كان الأمر صعبا نوعما ولا يمكن الحكم عليه بصفة قطعية إذ تتداخل فيه الكثير من العوامل والمتغيرات، وإذا كان تحليل المحتوى الذي ظهر في أربعينات القرن الماضي مرتكزا على تحليلات الخطاب السياسي والدعاية عبر الصحف ثم التلفزيون ، فإنه اليوم يمتد ليشمل كل الإنتاج الإعلامي على اختلاف مصدره سواء تعلق الأمر بالوسائل الكلاسيكية أو الرقمية الحديثة، ويشق طريقه كأهم أداة للدراسات التحليلية في التناول الإعلامي الواسع المجال (سياسي، اقتصادي، ثقافي، اجتماعي...) خصوصا بعدما طرأت عليه الكثير من التغيرات من أجل تكييفه مع المحتويات الاتصالية والإعلامية الرقمية.

ثانيا: تطورتحليل المحتوى في بحوث الإعلام

سنة 1743 عمد بعض الدارسين إلى محاولة تفحص تسعين ترتيلة "ترنيمة" دينية لتحديد تأثيراتها السيئة على أنصار " مارتن لوثر Martin Luther "حيث شمل تحليل القيم وأشكال الظهور (مقبولة /غير مقبولة) من خلال عملية التبويب والتصنيف والعد. (ويمر و دومينيك ، 2013) ص 178 وهذه الدراسة طبقت أساسيات تحليل المحتوى من دون مسمى تحليل المحتوى أو المضمون .

لتتابع بعد ذلك الدراسات في ذات السياق منها دراسة "مالكوم ويلي Malcom Willy " عام 1929 بعنوان " صحافة البلد " حيث قام بتحديد الموضوعات التي تتناولها الصحافة بعد تصنيفها إلى فئات ووفر هذا الأسلوب البحثي أمام العسكريين والدارسين مهمة تحليل رسائل الدعاية معينة للتحليل، (غربي ، 2010) والخصوم فازدهر ، وشاع بشكل لافت في ثلاثينيات القرن الماضي ، أين أستعمل للتعرف على أساليب الدعاية إبان الحرب العالمية الثانية ، وبخاصة في إطار البحث عن عمال النازية أو رسائلها المشفرة ....

ومن ذلك ما قام الباحثون في قوات الحلفاء من رصد لعدد الأغاني الشعبية وأنواعها... المذاعة من محطات الإذاعة الأوروبية ومقارنتها بتلك المذاعة من محطات الإذاعة الألمانية ... فكان بمقدورهم قياس التغيرات في تركيز القوات في القارة (ويمر و دومينيك ، 2013)، وكانت دراسة كل من ليمان وتشارلز ميرز Lipman Charles Mirsse أول دراسة علمية _ في ذات السياق _ متخصصة استعملت بشكل رئيس تحليل المحتوى الإعلامي. (ويمر و دومينيك ، 2013)

بالموازاة مع ذلك، أثمرت جهود المدرسة الكولومبية للصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية سنوات الثلاثينيات بقيادة Lasswell عن نتائج لا بأس بها ، خاصة ما ابتكره وسماه بعملية التحليل الرمزي، والذي بمقتضاه تُدرس مضامين الجرائد على أساس تسجيل عدد مرات ورود رموز معينة يتم اختيارها لصقلها المعياري في النص (غربي ، 2010)، وقد ساهمت هذه الجهود بشكل كبير في تطوير وشيوع استخدامات تحليل المحتوى.

خلال الفترة الممتدة من 1930 إلى سنة 1940، تطورت عمليات تحليل المحتوى بفضل مجموعة من العوامل أهمها (Krippendorff ، 2004):

- ظهور العديد من المشاكل الاجتماعية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية عقب الأزمة المالية 1929، حيث اعتقد الكثيرون أن وسائل الإعلام كان لها دور كبير في هذه الازمة من خلال إسهامات الصحافة الصفراء في انهيار القيم الأخلاقية وانتشار معدلات الجريمة.

-ظهور وسائل إعلام جديدة مثل الإذاعة والتلفزيون والتي تحدد المهنية الثقافية للصحف وفي الوقت نفسه، لايمكن أن يستمر الباحثون في معالجة الوسائط الجديدة كامتداد للصحف لأنها تختلف عن وسائل الإعلام التقليدية

-ارتباط التحديات السياسية الكبرى لنشر الديمقراطية بوسائل الإعلام الجديدة، على سبيل المثال ربط بعض الباحثين بين ظهور الراديو انتشار الفاشية في بعض المجتمعات.

-شهدت هذه الفترة ظهور علوم اجتماعية وسلوكية جديدة فضلا عن زيادة الإقبال على استخدام النظيرة التجريبية في تفسير الحقائق.

بعد دراسات لاسويل وزملائه في مدرسة الصحافة بكولومبيا، أصبحت الدراسات التي تطبق تحليل المحتوى من الدراسات المميزة، منها دراسة أجراها " ويللي" على الصحف الإقليمية خلال حرب الاستقلال الأمريكية

ثم توالت بعد ذلك دراسات تحليل المحتوى خصوصا بعد الحرب العالمية ، وفي البلدان العربية ظهر تحليل المحتوى في مجال الدراسات الاجتماعية أولا، ثم في المجال الإعلامي بعد إنشاء كلية الإعلام في مصر عام 1970 حيث بدأت الدراسات والبحوث الإعلامية تطبق منهج تحليل المضمون بأساليبه وأدواته واعتمدت رسائل الماجستير والدكتوراة وغيرها من الأبحاث على أسلوب تحليل المضمون في كافة جامعات البلدان العربية. (عبد العالي نجم ، 2015)

ومنذ ظهور الانترنيت، وتحول المشهد الإعلامي من الوسائل الكلاسيكية إلى الحداثة، عرف تحليل المحتوى تغييرات كثيرة في طريقة اعتماده والفئات التي يتضمنها وكيفية اختيارها وخطوات تطبيقه، حيث أصبح يعرف بتحليل المحتوى الإعلامي الرقمي ويُثار بشأنه جدل يتمحور حول صلاحية تحليل المحتوى كأداة بحثية استخدمت في تحليل المواد الإعلامية المنتجة من طرف وسائل إعلامية كلاسيكية كالراديو والصحافة والتلفزيون، وحدود تطبيقه بهيئته الكلاسيكية لتحليل معطيات البيئة الرقمية وحدات وفئات، شأنه شان الكثير من الأدوات والظواهر التي تغيرت معطياتها قسرا لتظل صامدة صالحة لبحث ورصد تجليات العالم الرقمي من ممارسات سلوكية، منشورات... مما يستدعي ضرورة التكييف الأداتي والمنهجي ليتناسب مع العارض الرقمي الجديد.

ثالثا: خصائص تحليل المحتوى الإعلامي

- تحليل المضمون عملية منهجية؛ حيث أن اختيار المحتوى يتم طبقا لقواعد وقوانين واضحة وثابتة، فالنموذج المختار لا بد أن يتبع إجراءاً مناسباً مع اختيار كل عنصر بطريقة متساوية لكل

محتوى، وبالإضافة إلى ذلك ضرورة الأخذ في الاعتبار أن يتم التعامل مع كل عنصر من عناصر التحليل بنفس الطريقة، حيث أنه لابد وأن يتم توافر نظام متماثل في عملية الترميز والتحليل وكمية الوقت المخصص، فالتقييم المنهجي يعنى ببساطة استخدام عنصر واحد فقط في عملية التقييم خلال الدراسة، لأن استخدام الإجراءات البديلة في عملية التحليل سوف تؤدى إلى نتائج مربكة، كما أن توافر نظام ثابت في عملية الترميز والتحليل ومعدل الوقت أمر ضروري .

-تحليل المضمون عملية موضوعية؛ تتمثل في اتباع طريقة التحليل واستخلاص النتائج بطريقة موضوعية وبمعزل عن ذاتية الباحث، حيث يحتفظ البحث بنفس النتائج إذا قام به باحث آخر وعموما مهما تكررت عملية التحليل تكون النتائج ثابتة ومتماثلة مهما اختلف المحللون، ومهما تكررت العملية أكثر من مرة، حيث أن الموضوعية المثالية نادراً ما يتم إنجازها في عملية تحليل المضمون.

-تحليل المضمون عملية كمية إن الهدف من تحليل المضمون هو التمثيل الدقيق لنص الرسالة فالقياس الكمي تكمن أهميته في تحقيق الموضوعية لأنه يُساعد الباحث في تنفيذ الدقة والأحكام وتستخدم فيها أساليب إحصائية تُساعد على التفسير والتحليل، وعلى سبيل المثال يمكن القول بأن 80 % من برامج وقت الذروة تحتوى على فعل عنف واحد على الأقل أكثر من وقت آخر يتسم معظم البرامج فيه بالعنف، بالإضافة إلى ذلك، يُسمح التحليل الكمي للباحثين بتلخيص النتائج وعرضها بإيجاز، كما إنه إذا تم إجراء القياسات على فترات من الزمن فإن إجراء مقارنة بين البيانات العددية من فترة زمنية إلى أخرى يساعد على تبسيط إجراءات التقييم وتوصيتها وأخيراً ، فإن التحليل الكمي يعطى الباحثين الأدوات الإحصائية الإضافية التي تساعد في التفسير والتحليل. (عبد العالي نجم ، 2015)

وبالرغم من أهمية الاعتماد على التحليل الكمي في تحليل المضمون إلا أن ذلك يجب ألا يغيب عن الباحث أهمية الوسائل الأخرى لتقييم التأثير المحتمل أو الآثار التي ينتج عنها المضمون، فبعض السلوكيات الأكثر تكراراً في المضمون لا تعبر بالضرورة عن أنها الأكثر أهمية.

- تحليل المضمون عملية تتسم بالعمومية؛ حيث يمكن للنتائج التي حصل عليها الباحث أن تُطبق على حالات أخرى مشابهة، فطريقة تحليل المضمون هي منهج متكامل يرافق الباحث في جميع

مراحل بحثه بداية من لحظة اختياره للمشكلة إلى مرحلة جمع البيانات وتحليلها ثم تفسيرها. (عبد العالي نجم ، 2015)

- ينطلق الباحث في تحليل المحتوى من فرضيات أو تساؤلات بحثية، يستعين في الإجابة عليها بالتحليل الكمي والكيفي للبيانات واستخلاص نتائجها..

-يرتكز تحليل المحتوى الإعلامي على الوصف بالدرجة الأولى إلى جانب الفهم والتحليل.

- يتسم تحليل المحتوى الإعلامي بالتنظيم، فهو يقوم على خطوات منهجية وعلمية متسلسلة ينطلق من تحديد المشكلة، فاختيار العينة وتحديد وحدات التحليل ثم بناء الفئات والترميز ومن ثمة التحليل والتفسير.

-يعتبر الصدق والثبات خاصيتان ملازمتان لتحليل المحتوى حيث تعني الأولى ان فئات ووحدات التحليل مناسبة تماما وتقيس ما يُفترض قياسه، في حين أن الثبات يعني صلاحية النتائج في كل الأوقات وثباتها بين المحللين.

-يتسم تحليل المحتوى كذلك بالمرونة، حيث يمكن تكييفه مع قضايا وموضوعات مختلفة تقليدية كانت أم معاصرة

-من خصائص تحليل المحتوى كذلك الشمولية، حيث أن تطبيقه يصلح لتحليل محتوى كل الوسائل التقليدية والإعلامية الحديثة.

-يقف تحليل المحتوى عند المعاني الظاهرة المباشرة والضمنية والأطر الإعلامية وحتى التمثلات الرمزية وهنا قد يتقاطع مع التحليل السيميائي .

رابعا: أهداف تحليل المحتوى الإعلامي

يُعد الهدف من استخدام تحليل المضمون عاملاً مهماً بالنسبة للباحث الذي يستخدم هذا الأسلوب في بحثه، إذ يجب على الباحث أن يطرح سؤالا على نفسه ماذا أريد معرفته من محتوى الاتصال ؟ وعلى ضوء ذلك يقوم بتحديد أهداف الدراسة وطرح الأسئلة التي يمكن الإجابة عنها من خلال تحليل المضمون، إذ يعد الهدف من تحليل المضمون هو تحليل الظواهر المسجلة إلى

بيانات والتي يمكن علاجها بطريقة علمية. يتفق الباحثون على أن الهدف من تحليل المضمون يمكن أن ينحصر في مجموعة من الأهداف، ولعل أبرزها (عبد العالي نجم ، 2015)

- وصف المضمون الإعلامي (الموضوعات المطروحة، القضايا المهيمنة، حجم التغطية وتوزيعها..).

-الكشف عن أنماط التكرار والهيمنة من خلال تحديد القضايا الاكثر حضورا، الفاعلين البارزين، الخطابات والرموز المتكررة.

-قياس الاتجاهات والمواقف

-تحليل الدلالات والمعاني الظاهرة والضمنية التي يحملها المضمون الإعلامي.

-فهم آليات بناء الخطاب الإعلامي من خلال تحليل الأطر الإعلامية، استراتيجيات الإقناع أساليب التأطير والإقناع.

- دراسة تمثلات القضايا والفاعلين (صورة المرأة، الطفل، النخب مثلاث الهوية، بناء الصورة الذهنية ...)

-اختبار الفرضيات والإجابة عن تساؤلات البحث.

-تسويق المحتوى الإعلامي علميا

-تقييم الأداء الإعلامي وقياس مدى تطبيق وسائل الاتصال للمعايير والأسس الإعلامية والثقافية والفنية.

-دعم اتخاذ القرار الإعلامي

-المقارنة بين وسائل الإعلام الجماهيري من حيث موضوعاتها واتجاهاتها وأهدافها.

-تشخيص خصائص الأسلوب الأدبي أو الصحفي من خلال تحليل الرسائل المختلفة.

-التعرف على الوضع النفسي والاجتماعي للأفراد والجماعات في الأوضاع الطارئة والاعتيادية من خلال تحليل الرسائل التي يعبرون بها عن أنفسهم بأي شكل من الأشكال.

-الحصول على افتراضات حول تأثير وسائل الاتصال على الجمهور.

- تعرف الدولة على معلومات ونوايا الدول الأخرى وأهدافها وخاصة في حالات الصراع والحروب إذ يسعى كل طرف إلى تحليل الوثائق والتصريحات والخطب، وما تنشره وسائل الإعلام حول الطرف الآخر. ومدى تحقيقها

- يهدف تحليل المضمون إلى التعرف على المعارف والقيم والأهداف التي تحملها الكتب والمناهج والأدبيات التربوية والثقافية.

-تهدف دراسات تحليل المضمون إلى التعرف على أهداف مقدمي وسائل الاتصال وسماتهم الشخصية، وتحديد الحالة السيكولوجية للأشخاص والجماعات أطراف العملية الاتصالية والكشف عن أساليب الدعاية الكامنة في مواد الاتصال.

-تهدف دراسات تحليل المضمون إلى الكشف عن آثار مواد الاتصال في الجمهور من خلال إبراز اتجاهات الجماعات أو الجماهير المستهدفة من مواد الاتصال ومعرفة اهتماماتهم، والكشف عن بؤر الاهتمام الذي ركز عليه المضمون بالنسبة إليهم، وأخيراً وصف الاستجابات السلبية لوسائل الاتصال وآثارها على جمهوره سلباً وإيجاباء

-رصد التغيرات الاجتماعية والثقافية (تحولات القيم، تغير الخطاب العام، تأثير الرقمنة العولمة...)

خامسا: استخدامات تحليل المحتوى في السياق الإعلامي

خلال العقد الأخير من القرن العشرين، تزايدت شعبية الأبحاث الخاصة بالرموز والرسائل الإعلامية سواء في القطاعات الأكاديمية أو التجارية، فقد قامت شركة الإذاعة الأمريكية ABC بإجراء دراسات مقارنة ومنظمة لمجموعات العمل في الأخبار المسائية لثلاث شبكات إخبارية كانت ABC واحدة منها بالإضافة إلى شبكتين منافستين، كما اهتمت شركات العلاقات العامة باستخدام تحليل المضمون من أجل ملاحظة العناصر الفعالة في انتشار الشركات - واستخدمت كذلك اتحادات العمال بحوث تحليل المضمون لوسائل الإعلام الجماهيرى من أجل اختبار صورتها. وفي هذا الصدد يقوم جهاز مراقبة الإعلام في كثير من الدول بنشر دراسات دورية عن الكيفية التي يعلاج بها الإعلام الموضوعات الاجتماعية والسياسية" .(Watson & Hill, 2000)

وقد ارتبطت استخدامات تحليل المضمون بالدراسات الإعلامية بوصفها أداة وأسلوب للتعرف على المعلومات والتفسيرات من خلال الأنشطة الاتصالية المختلفة، وقد تولد هذا الارتباط والنشأة تبعا للحاجة الماسة التي فرضتها منهجية بحوث الإعلام وتعقيداته منذ بدايات القرن العشرين. وترجع المحاولات الأولى لاستخدامات تحليل المضمون إلى الباحثين "ليمان و تشارلز ميرز" من خلال تحليل مضمون عينة من المادة الإخبارية المنشورة في جريدة نيويورك تايمز، وقد تصاعد هذا النمط من الدراسات بعد ظهور إمكانية الضبط والسيطرة على عوامل التحليل وجدواه في الوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها"

وتتعدد استخدامات طريقة تحليل المضمون وتتنوع بين مجرد الاستفادة منها في وصف الاتجاهات الغالبة على مادة الاتصال وتطورها والمقارنة بين مستوياتها، وإقبال الجمهور عليها وبين التعرف على الأهداف الكامنة وراء مادة الاتصال وبين الوقوف على الاتجاهات الاجتماعية والقيم والسمات الثقافية التي تعبر عنها مادة الاتصال ومحاور الاهتمام السائد والتعرف على صور السلوك وغيرها."

وتُستخدم طريقة تحليل المضمون عادة في حالة تعذر اتصال الباحثين بالمبحوثين بصورة مباشرة للتعرف على اتجاهاتهم وأفكارهم واستجاباتهم من خلال دراسة نصوص غير التعبير الشفهي أو التحريري لهذه الجماعات دراسة منهجية، ويستخدم هذا الأسلوب في مجالات أخرى متعددة. حيث يُستخدم في مجال الطب والدراسات الصحية، وقد استعانت العلوم النفسية بعمليات تحليل المضمون من خلال تحليل المواد المكتوبة المرتبطة بموضوعات متنوعة تتعلق بنوع الجنس والتنوع البيئي والتعصب والتمييز العنصري وقام آخرون بتحليل المتطلبات الإدراكية والحسية مثل والتفكير النقدي والتي يتم نشرها في شكل نصوص للقراء .

وفي ظل الأعداد المتزايدة البرامج الحاسب الآلى تم استخدام تحليل المضمون في تحليل الملفات النصية، وبالتالى جعله عملية سهلة في أي وقت، إذ يمكن لبرامج الحاسوب ترميز البيانات الكمية بكل سهولة، كما أنه يمكن تحليل العديد من البيانات باستخدام الأساليب الإحصائية المختلفة"

وقد حصر بير لسون استخدامات تحليل المضمون في أربع فئات أساسية، ويندرج ضمن كل فئة مجموعة من الاستخدامات هي(Berlson , 1952) :

-وصف مضمون الاتصال؛ استخدمت العديد من الدراسات الحديثة تحليل المضمون في وصف مضمون وسيلة اتصال معينة، ويتفرع عن هذه الفئة وصف الاتجاهات المضمون والمقارنة بين أدوات الاتصال ومستوياتها والربط بين خصائص القائم بالاتصال وما يقدمه من رسائل، والربط بين أهداف الاتصال ومحتواه، وتحليل أساليب الإقناع والتأثير، والكشف عن خصائص الأسلوب الذي تقدم به المادة الإعلامية، وقياس مقروئية المواد الإعلامية المطبوعة. وقامت عدة دراسات حديثة بفهرسة خصائص محتوى وسائل الاتصال، وأوضحت استخدامات تحليل المضمون بطريقة تصورية تقليدية لمعرفة ما يدور حولها، إذ قام كل من "جلاسكو لاروس" Larose Glascok بوصف بعض الإيحاءات الجنسية المستخدمة في عدد من الأفلام الإباحية وأيضا إحصاء أعمار الفتيات اللاتي ظهرن على غلاف مجلة " بلاي بول Play" Boy في الفترة ما بين 1953- 1990. وقد توحظ أن وظيفة عملية تحليل المضمون تكمن في معرفة كافة التوجهات على مر العصور

-اختبار فروض تتعلق بخصائص الرسالة الإعلامية؛ تحاول بعض الدراسات الربط بين المضمون وخصائص المصدر، وهو ما أشار إليه هولستى عام 1969 بقوله إن هذه الدراسات تختبر قروضا من قبيل إذا كان المصدر يتسم بخاصية (أ) فسوف تتضمن الرسائل العناصر (س) و (ص)، أما إذا كان المصدر يتسم بخاصية (ب) فسوف تتضمن العناصر (ع) و (ل)، ومثال ذلك أثبتت نتائج دراسة "سميث وبويسن" وجود ارتباط بين العنف بالكليات التي تعرض موسيقى الراب أو أكثر من ارتباطه بأي نوع آخر.

-مقارنة محتوى وسائل الإعلام بالواقع؛ تعد عملية تحليل المضمون مؤشرات واقعية لتقييم فئات معينة من حيث الظواهر المختلفة والسمات على عكس ما تبدو في الحياة اليومية.وذلك من خلال التوافق بين التمثيل الإعلامي والواقع الفعلى، وربما كانت الدراسة الأولى لهذه الحالة تلك التي قام بها " ديفيز Davis عام 1951، والذي أكد على أن التغطية الإعلامية في الصحف للجريمة في ولاية "كولو رادو" الأمريكية ليس لها أي علاقة بتغيير معدلات الجريمة في الولاية حيث قامت الجمعية الوطنية للإحصاء السكاني ونبذ العنف باستخدام بيانات تحليل المضمون المقارنة أحداث العنف التي تبث على شاشات التليفزيون بالأحداث الواقعية المرتبطة بالعنف ومن ناحية أخرى، قام الباحث "جيلنز Gllens عام 1996 بإجراء مقارنة بين التغطية الإعلامية في

الصحف التي تخص الطبقة الفقيرة طبقاً للتعداد السكاني الرسمي، واستنتج أن العمالة الفقيرة مهمشة وغير ممثلة بنسبة كبيرة في الإحصاء السكاني .

-رصد صور بعض الجماعات والمجتمعات؛ تهدف كثير من دراسات تحليل المضمون إلى رصد الصورة المقدمة عبر وسائل الإعلام المختلفة لجماعات معينة مثل الأوليات أو مثل الجماعات المهنية، أو لدول معينة، وفي كثير من الحالات يكون هدف الدراسات هو رصد التغيرات الحادثة في سياسات وسائل الإعلام نحو هذه الجماعات أو الدول للتعرف على مدى استجابة هذه الوسائل المطالب الجهات المختلفة التي تنادى بتغطية أفضل لتلك الجماعات.)عبد العالي نجم , 2015)

-وضع نقطة انطلاق حول تأثيرات وسائل الإعلام؛ من أشهر نماذج هذا الاستخدام دراسات الغرس الثقافي، التي تعتمد على تحليل مضمون بعض الرسائل الإعلامية، حيث يتم توثيق جميع الرسائل طبقاً لإجراء منهجى ، وتوجد دراسات أخرى تهتم بالمتلقي للتعرف على مدى توافق الملاحة المعروضة مع اتجاهات وميول المشاهدين. وقد اكتشف الباحثون أن محبي مشاهدة التلفزيون أكثر الناس عرضة للخوف من العالم المحيط، ومن ناحية أخرى، يتضمن المحتوى التلفزيوني عادة جرعات عالية من مشاهد العنف والذي يترك غرساً ثقافيا تجاه هذه المادة والتي تؤثر على المشاهد.

-تحديد محتوى وسائل الإعلام؛ يستخدم تحليل المضمون في تحديد محتوى وسائل الإعلام حيث يتم توثيق مضمون موضوعاتها عن طريق الإجراءات الموضوعية لدراسة مستخدمي وسائل الإعلام وبالرغم من قيام العلماء باستخدام تحليل المضمون في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية كعلم النفس والسياسة والتاريخ واللغة والاتصال، إلا أنه تم استخدام تحليل المضمون على نطاق واسع في فهم مجموعة واسعة من القضايا مثل التغير الاجتماعي، والتغطية الإخبارية للمشكلات الاجتماعية مثل قضايا المرأة والتحرش والدعاية السوداء، والانتخابات (Watson & Hill, 2000)

سادسا: تحليل المحتوى الإعلامي الإيجابيات والرهانات

يتضمن تحليل المضمون العديد من المميزات، حيث يعمل على استرجاع المعلومات ومسايرة التغيرات التي من الممكن حدوثها، يتعقب الرسائل على مر الزمان لمتابعة الحقائق، ويستخدم في

الاستفادة من النظريات السابقة لتقدير المحتوى الخاص بالمقدمة الحالية للنصوص التي تم دراستها في المراجع، وهذا أتاح للباحثين توثيق الأخطاء السابقة، حيث يسمح بإجراء عمليات تحليل طويلة المدى، خاصة وأن جميع المواد الأرشفية المتعلقة بمجال الاتصال تسمح بمراجعة عناصر عملية تحليل المضمون كالمقابلات والملاحظات والتصوير الفوتوغرافي والأفلام الكرتونية. (عبد العالي نجم ، 2015) ص 230

ويعد تحليل المضمون أداة قياس بعيدة عن الفضول، فالباحث يجمع بياناته دون أن يلاحظه أحد ودون أن يمثل عبئاً على المضمون بعكس الأدوات الأخرى، لذلك فهو أنسب أدوات البحث في الاتصال الجماهيري ويمكن لبقية الباحثين إعادة التحليل نفسه للمصادقة على النتائج السابقة مما يعطى نتائج أكثر ثباتاً بعكس الأدوات الأخرى كالاستبيان والمقابلة لأنه من الصعب إجراؤها على نفس العينة مرة أخرى بنفس الظروف(Riffe , Lacy , & G. Fico, 2019) . ويمكن تلخيص أهم مميزات تحليل المضمون:

-من السهل نسبياً الوصول إلى المنشورات والأخبار التي تريد الدراسة عليها.

-من السهل أيضاً اختيار العينة التمثيلية.

-ينتج بيانات موثوق فيها ، فنتائج تحليل المحتوى عادة ما تكون قابلة للتكرار.

-يستخدم قياس كمى موحد يمكن تطبيقه على مجموعة واسعة من وسائل الإعلام.

-يقدم تحليل المضمون إحصائيات هادفة للأحداث والقضايا والموضوعات وما إلى ذلك.

-طريقة غير مزعجة - لا تتضمن تفاعل الباحث مع الأفراد والأمور التي يقوم بدراستها.

-يسمح باستخدام العمليات الكمية والنوعية.

-يمكن أن يقدم تحليل المضمون معلومات تاريخية قيمة.

-يقدم نظرة ثاقبة لنماذج معقدة من التفكير الإنساني يمكن استخدامه في تفسير النصوص المشفرة.

- يوضح العلاقات المحددة بين فئات النص (عبد العالي نجم ، 2015)

-لا يحتاج الباحث إلى الاتصال بالمبحوثين لإجراء تجارب ومقابلات وذلك لأن المادة المطلوبة . للدراسة متوفرة في الكتب أو الملفات أو وسائل الإعلام المختلفة.

-لا يؤثر الباحث في المعلومات التي يقوم بتحليلها فتبقى كما هي قبل وبعد إجراء الدراسة.

-هناك إمكانية لإعادة إجراء الدراسة مرة ثانية مقارنة بالنتائج ومقارنة النتائج بالمرة الأولى لنفس الظاهرة او مع نتائج دراسة وحالات أخرى.

-عدم تدخل الباحث في الظاهرة المدروسة محل التحليل حيث يحلل الباحث مواد إعلامية دون التأثير على المنتج الإعلامي .

-يسمح تحليل المحتوى بالجمع بين الكمي والكيفي من خلال العد والتكرار وتفسير المعاني والدلالات.

-يتيح إمكانية المقارنة بين وسال متعددة أو فرتات زمنية مختلفة أو ثقافات متباينة

- مناسب للدراسات التاريخية حيث يمكن دراسة أرشيف إعلامي دون الحاجة إلى بيانات ميدانية حالية.

-إمكانية إعادة التحليل والتحقق من نتائجه

من جهة أخرى، يعاني تحليل المحتوى من العديد من العيوب سواء الإجرائية أو النظرية:

-قد لايكون تحليل المحتوى موضوعياً كما يزعم البعض، حيث أن الباحث يقوم بشكل شخصي بتحديد وتسجيل البيانات بدقة في بعض الحالات مثل برامج التلفزيون. وقد يتخذ قرارات حول كيفية تفسير أشكال معينة من السلوك استنادا إلى توقعاته أو خلفيته.

-البيانات الإحصائية التي يقدمها تحليل المضمون تقدم تفسيراً للحظة واحدة من السلوك. فهو يوصف أكثر من أن يُفسر.

-يخضع تحليل المحتوى للخطأ، خاصة عند استخدام التحليل الترابطي لتحقيق أعلى مستوى من التفسير.

في كثير من الأحيان، يخلو تحليل المحتوى من القواعد النظرية، ويعمل على استخلاص النتائج ذات مغزى في العلاقات والتأثيرات الضمنية. (عبد العالي نجم ، 2015) ص 231

-يحتاج إلى جهد مكتبي من قبل الباحث.

-يغلب على نتائج التحليل طابع الوصف، فغالبا لا يوضح الأسباب التي أدت إلى ظهور المادة بهذا الشكل أو بتلك الصورة.

-إغفال السياق الاجتماعي والنفسي أحيانا، حيث يتم التركيز على المضمون أكثر مما يتم التركيز على نوايا المنتج أو تأثير المحتوى على الجمهور.

-احتمال التحيز في بناء الفئات رغم الطابع الموضوعي

-صعوبة تحليل المعاني العميقة مما يتطلب دعما سيميائيا أو تداوليا.

-استهلاك الجهد والوقت خاصة عند تحليل عينات كبيرة، الترميز اليدوي أو ضمان الثبات بين المحللين.

-محدودية التفسير السببي.

-تحديات الإعلام الرقمي كسرعة المنشورات، تداخل النص والصوت والصورة، ومسألة التفاعلية.

هوامش الفصل

1. Berlson , B. (1952). Content Analysis in Communication Research. Free Press.
2. Chandler , D., & Munday, R. (2011). Dictionary of Media and Communication (1 st ed.).
3. Krippendorff , K. (2004). Content Analysis: An Introduction to Its Methodology (2 ed.). New Delhi, London: Sage Publicntions.
4. Lasswell, H., & Leites, N. (1949). Language of Politics: Studies in Quantitative Semantics. George W. Stewart, Publisher, Inc: New York.

5. Riffe , D., Lacy , S., & G. Fico, F. (2019). Analyzing Media Messages Using Quantitative Content Analysis in Rescarch (1 ed.). New York: Routledge.

6. Watson, J., & Hill, A. (2000). Dictionary of medía and communication studies (5 ed.). Arnold, London.

7. العساف ,م .(1989) .المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية .الرياض :مكتبة العبيكان.

8. بن طبة ,ا(,ديسمبر2015) .تحليل المحتوى في بحوث الاتصال .مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ,14 (13) ص ص330-316 .

9. حسين ,س: .(1983) .تحليل المضمون تعريفاته ومفاهيمه ومحدداته .القاهرة :عالم الكتب.

10. عبد الباسط ,م .(1980) .أصول البحث الاجتماعي .القاهرة :دار الشروق.

11. عبد الحميد ,م .(1980) .تحليل المحتوى في بحوث الإعلام .القاهرة :دار الشروق.

12. عبد العالي نجم ,ط .(2015) .مناهج البحث الإعلامي. ط 1 .الاسكندرية :دار كلمة للنشر والتوزيع. ص ص 192-193:

13. غربي ,ع .(2010) .أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية .قسنطينة ,الجزائر : دار الطباعة والنشر والتوزيع، الفائز.

14. ويمر ,ر .,دومينيك ,ج .(2013) .مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي ط 1. تر: أبو أصبع منصور فاروق ,بيروت ,لبنان :المنظمة العربية للترجمة.

الفصل الثالث : خطوات تحليل المحتوى في بحوث السمعي البصري

تمهيد

يحتاج تحليل المحتوى كغيره من الأدوات البحثية لمجموعة من الخطوات والإجراءات المنهجية والمعرفية لضمان استخدامه بشكل صحيح وقياس ما يُفترض قياسه باستخدام هذه الآداة ، تتسم هذه الخطوات عادة بالتتابع والتسلسل وتستلزم بعضها بعض ، ويتصف أسلوب تحليل المحتوى في الدراسات الاتصالية والاجتماعية بكثرة إجراءاته المنهجية وتعقيداتها الرياضية والإحصائية؛ حتى يكون التحليل سليما منهجيا ومعرفيا، ذو مصداقية وموضوعية، يلتزم بالأهداف المسطرة للدراسة التحليلية ويحمي المحلل من التحيز والذاتية.

من الناحية النظرية، يبدو تحليل المحتوى أكثر وضوحا وبساطة، لكن الانتقال إلى التحليل الميداني قد تعترضه صعوبات منهجية أو عملية إن لم يكن المحلل متمكنا من الأبجديات الأساسية والخطوات المنهجية للتحليل، مما يخلق فجوة بحثية بين ماهو نظري وما هوتطبيقي، لذلك يستلزم الأمر خطوات وإجراءات ينبغي تطبيقها بحذافيرها والتمكن منها بالممارسة المستمرة.

أولا: الإجراءات المنهجية العامة

منهجيا، تتضمن الدراسات التحليلية التي تتبنى تحليل المحتوى كأداة بحثية مراحل منهجية تحدد الإطار العام لدراسة وترسم مسار التحليل، تتلخص في الآتي:

-تحديد إطار مشكلة البحث

يُشترط أن يتم ضبط هذه العناصر بدقة والمتمثلة في تحديد إطار المشكلة البحثية وما يرتبط به من صياغة للفرضيات أو التساؤلات ، على أن يكون لدى الباحث مبررات موضوعية ومقنعة لاختيار المضمون كأداة لجمع البيانات المرتبطة بدراسته، باعتبارها خطوة مهمة جدا يترتب عليها، تحديد وحدات وفئات التحليل بشكل دقيق، ويتم الاستعانة بالتحليل المبدئي، وهو اختبار قبلي مرتبط بتحليل كيفي،«طبق تجريبيا على عينات أصغر من الوثائق لتحقيق عدد من الوظائف المرتبطة بالاقتراب من المشكلة العلمية وفروضها وإجراءات التحليل، يُساعد في ضبط التساؤلات والفرضيات (بخوش و سراي ، 2020).

وكمثال على ذلك:

التغطية الإخبارية للانتخابات الأمريكية لسنة 2024 دراسة تحليلية لعينة من النشرات الإخبارية على قناتي الجزيرة الإخبارية العربية

من بين التساؤلات المقرحة مبدئيا من طرف الباحث

- ماهي المداخل الإقناعية المستخدمة في النشرة الإخبارية ، حيث يقترح مؤشرات كالتالي: عاطفية ، عقلية، تخويفية لكن بعد التحليل المبدئي ثبت أن المدخل الوحيد هي العقلي فبإمكان الباحث أن يعدل هذا السؤال مستثنيا المدخلين الأخرين (عاطفي وتخويفي)

-تحديد منهج الدراسة

يندرج استخدام تحليل المضمون ضمن الدراسات الوصفية، يتولى جمع البيانات الإحصائية، تبويبها وتفسيرها وتحليلها تحليلا شاملا ومن ثمة استخلاص نتائج ودلالات ذات قيمة (حسين ، 1976) ص 123 . يمكن للباحث أن يلجأ إلى المسح الشامل إذا كانت العينة التحليلية محدودة العدد وصغيرة أو المسح بالعنية إذا كانت هذه الأخيرة كبيرة العدد أو تمتد إلى فترات زمنية مختلفة .

مثال: التغطية الإخبارية للانتخابات الأمريكية الرائياسية لسنة 2024 دراسة تحليلية للنشرات الإخبارية بقناتي الجزيرة الإخبارية والعربية

إذا كان عدد النشرات محدودا يسهل التعامل معه وتحليليه في ظل ظروف الباحث والفترة المقررة لبحثه مثلا (50) نشرة، يمكن استخدام أسلوب الحصر الشامل أو المسح الشامل الذي يندرج كأسلوب ضمن المنهج الوصفي، أما إذا كان عدد النشرات كبيرا فيتعين على الباحث استخدام المسح بالعينة أين يختار نسبة معينة فقط للتحليل تصلح نتائجها للتعميم على بقية مفردات مجتمع البحث .

يعتبر المسح من أهم الأساليب العلمية ملائمة للدراسات الوصفية بصفة عامة، ذلك أنه يستهدف تسجيل، تحليل وتفسير الظاهرة بعد جمع البيانات اللازمة والكافية عنها وعن عناصرها من خلال مجموعة من الإجراءات المنظمة التي تحدد نوع البيانات ومصادرها وطرائق الحصول عليها (عبد الحميد ، 1997)

ويتم المسح على مستويين:

المستوى الأول: وهو المسح الوصفي الذي يستهدف الحصول على الحقائق والمعلومات التي تساعد على فهم الظاهرة.

المستوى الثاني: وهو المسح الوصفي التفسيري الذي يتجاوز الوصف إلى تحليل البيانات واستخلاص النتائج (مصطفى عمر ، 1994)

إن التصميم المنهجي لإجراءات المسح يؤثر في تحديد نوع العينة، حجمها، أسلوب جمع البيانات، وبالتالي أسلوب التعامل الإحصائي معها. (عبد الحميد ، 1997) ص ص 94-95

يتم اعتماد أسلوب المقارنة إذا اعتمدت الدراسة التحليلية على نموذجين أو أكثر:

مثال التغطية الإخبارية لطوفان الأقصى في الفضائيات الإخبارية دراسة تحليلية مقارنة لعينة من التغطيات على قناتي الجزيرة الإخبارية و الميادين

- تحديد مجتمع البحث:

يقصد به تحديد الموضوع الذي سيدرسه الباحث بأبعاده المكانية والزمانية . (محمد جمال ، 1999) ص 227 ويشمل جميع عناصر ومفردات المشكلة أو الظاهرة قيد الدراسة (مصطفى عليان و محمد غنيم ، 2000). ص 137 ، والمجتمع الكلي في بحوث التحليل، هو جميع المصادر التي نُشر أو بُث فيها المحتوى المراد دراسته خلال الإطار الزمني للبحث، كأن يمثل جميع الأعداد التي صدرت من الصحيفة أو جميع الصحف التي يتم اختيارها خلال فترة الدراسة، أو جميع البرامج الإذاعية، أو التلفزيونية أو جميع المنشورات الرقمية التي بُثت أو نُشرت خلال فترة الدراسة.

- وحدة العينة:

تتكون عينة البحث من مجموع المفردات التي ستخضع للبحث والدراسة، وهذه المفردات هي التي يطلق عليها وحدات العينة، تستند إلى أسباب موضوعية في عملية الانتقاء. (بخوش و سراي ، 2020) مع الأخذ بعين الاعتبار مدى إمكانية توفر هذه العينة وسهولة الوصول إليها.

مثال: قد يكون مجتمع البحث هو المحطات الإذاعية، نختار من بينها محطة عمومية وأخرى خاصة

- تحديد العينة: من خلال الاحتمالات التالية :

- وفقا لما هو مُتاح، يُواجه الباحثون تحد كبير يتمثل في وجود العديد من وسائل الإعلام، مما يزيد من صعوبة رسم المشهد الإعلامي، كما أن هناك فرقا بين وسائل الإعلام التفاعلية والمجدولة، فمثلا، يُتيح التلفزيون للجمهور فرصة اختيار المضمون الذي يُريد مشاهدته عن طريق وضع جدول للبرمج التي يعرضها، ويمكن الاستعانة بهذا الجدول في تحديد إطار العينة.
- اختيار العينة وفقا لمحركات البحث، أين يمكن للباحث أن يستخدم محركات البحث على الانترنيت عند إجراء دراسته حول موضوع معين لاختيار العينات المناسبة للتحليل.
- اختيار العينة وفقا للفترة الزمنية، حيث يُحدد مسبقا المجال الزمني الذي يمكن من خلال اختيار وحدات للتحليل إما اختيارا عشوائيا أو مقصودا إذا كان مرتبط براهنية الظاهرة المدروسة ووجودها.

مثال : إجراء دراسة تحليلية حول التغطية الإعلامية للرئاسيات 2024 على القنوات الجزائرية فإن راهنية الدراسة تفرض اختيار المدة المخصصة لهذه الرئاسيات .

- اختيار مبني على الشعبية بمعنى أن يختار الباحث عينة الدراسة التحليلية بناء على استطلاعات أو جمع دراسات حول مدى شعبية وسائل إعلامية معينة ومعدل استخدام الجمهور لها.
- اختيار يستند إلى بيانات المسح، عندم يكون الدافع وراء تحليل محتوى وسيلة إعلامية معينة هو معرفة مدى تأثيرها على سلوك الأفراد، وبما أن هناك صعوبة كبيرة في دراسة جمهور وسيلة إعلامية معينة بأكمله، يكتفي الباحثون باستخراج عينة صغيرة من الجمهور وفقا لصفاته الديمغرافية.

على الباحث أن يقرر الفترة الزمنية التي سيختارها لدراسته، والتي يستخدم أهدافها، ففي البحوث التي تناولت تحليل مضمون الصحف، يُفضل اتباع أسلوب العينة لاختصار الطريق أمام الباحث وتمكينه من التحكم في الموضوع أكثر والوصول إلى نتائج دقيقة إلى حد أقصى، لأن إتباع طريقة الحصر الشامل تسبب متاعب للباحث، وقد يفقد فيها السيطرة على الموضوع ، من الأساليب المستخدمة: أسلوب العينة العشوائية البسيطة أو المنتظمة،الأسبوع الصناعي، العينة العشوائية الطبقية...

ثانيا: ترميز بيانات التحليل

يقصد بهذه العملية مجموعة المراحل التي يتم من خلالها تحويل محتوى المضمون المراد دراسته إلى وحدات قابلة للعد والقياس. تتضمن هذه العملية تصنيف المحتوى وتحديد فئاته، تحديد وحدات التحليل، تصميم استمارة جميع البيانات. (بخوش و سراي ، 2020)

- فئات التحليل

تعتبر عملية تحديد فئات تحليل المضمون وإعدادها، أهم خطوة يجب على الباحث أن يوليها الاهتمام الأكبر، وتختلف من موضوع إلى آخر، يجب أن تكون واضحة والفئات هي التي يتم من خلالها تصنيف المعلومات بطريقة شاملة ومكيفة بشكل جيد مع مشكلة البحث والمضمون الذي اشتقت منه.

فالتفيئة أو صياغة الفئات أحد أهم مراحل تحليل لمضمون ، بل إن النجاح في تحقيق نتائج موضوعية وصحيحة لدراسة مضمون ما، رهينة أساسا بمدى قدرة الباحث على تقديم فئات دقيقة

لقياس الأبعاد المطلوبة، لذلك قدم المختصون شروطا أساسية لنجاح عملية التفيئة، سنعمد على بيانها وتفصيلها، لكن قبل ذلك من الأهمية بمكان الإشارة إلى ذلك الاختلاف بين الباحثين في نقطة الانطلاق لتحديد الفئات، هل يتعين على الباحث أن يشاهد المضامين المزمع تحليلها. وعلى ضوء ذلك يقدم الفئات اللازمة للتحليل ، أم أن الباحث يقدم الفئات انطلاقا إشكالية الدراسة وتساؤلاتها وافتراضاتها العلمية قبل مشاهدة المضمون أصلا. (بن طبة ، 2015)

يعرفها مادلين قرويتز Grawitz Madeline بأنها " خانات ذات دلالة على أساسها يصنف ويكمم محتوى الاتصال" ، و يرى يوسف تمار بأنها " عملية تقسيم المحتوى إلى منظمة من الأفكار التي لها علاقة مباشرة بإشكالية وأهداف الدراسة "(Grawitz, 1972) ، وهذا التجميع عبارة عن عملية تقليص لنص الرسالة على أساس الاحتفاظ فقط بما له علاقة بفرضيات الدراسة وتساؤلاتها. وعليه لا توجد فئات جاهزة صالحة لكل الموضوعات بل لكل موضوع فئاته الخاصة به ، كما لكل طبيعة محتوى خصوصياته التي تميزه وتميز فئاته.

ولأجل تحقيق فعالية وجودة عالية لعملية التحليل، لا بد من توافر جملة من الشروط الأساسية في بناء فئاته ، يمكن إجمالها فيما يأتي:

-الشمولية Exhaustivity : يجب أن تكون الفئات سانحة بتصنيف كل محتوى الاتصال الذي يلائم إشكالية الدراسة وتساؤلاتها وفرضياتها ، لذلك يجب أن تأخذ عملية التفيئة في اعتبارها كل وحدة من وحدات التحليل، واذا تم اكتشاف مثال أو اثنين غير اعتياديين ، فبالإمكان إضافة فئة جديدة مصنفة تحت إسم " أخرى" . (روجر و دومينيك ، 2013)

-الاستقلالية : أي عدم تداخل الفئات فيما بينها ، بحيث تشمل كل فئة مظهرا أو موضوعا أو فكرة مستقلة عن باقي الفئات، لذلك ينصح الطلبة والباحثون بضرورة تعريف الفئات تعريفا دقيقا جدا وإن اقتضى الأمر إبراز مؤشرات قياس كل فئة في المحتوى، لأن ذلك من شأنه أن يحقق الاستقلالية في التصنيف.

-الوضوح : يجب أن تكتسي عملية التفيئة وضوحا ودقة تامين حتى يتسنى ضبط عملية التحليل لذلك يلجأ لتحقيق أعلى مستوى من الوضوح والدقة زيادة على تعريف الفئات ، إجراء اختبارات الثبات، بحيث لو كان هناك عدة مرمزين لنفس المحتوى لحصلنا على نفس النتائج (سبعون و جرادي ، 2012).

-الملائمة : لابد أن تكون الفئات التي تم تعيينها على علاقة بأهداف الدراسة ، وخاصة في الإجابة على تساؤلاتها، وفي هذا السياق، كثيرا ما ننصح الطلبة بجعل التساؤلات الفرعية من الدراسة نفسها الفئات الفرعية للتحليل، وهذا حتى يتسنى تحقيق الانسجام التام بين التساؤلات والتحليل المطلوب

ولتعيين فئات التحليل بشكل صحيح، لا يُشترط الالتزام بكل الفئات، وإنما يتم اختيار الفئات المناسبة لإشكالية الباحث وأهداف دراسته وتساؤلاتها، وكذا طبيعة المجتمع أو العينة المدروسة.

فليس هناك تصنيفات ملزمة أو عدد محدد من الفئات يتعين على الباحث أو الطالب الوقوف عنده كما قد ينتقي أو ويوظف فئات تلائم طبيعة المحتوى والوسيلة التي يختارها ، وقد ينشئ فئات لم يسبقه إليها غيره. يرتبط تحديد فئات واستبعاد أخرى بإشكالية البحث، أهدافه وتساؤلاته ، ولا يُشترط أن يكون عددها كبيرا بقدر ما يُشترط أن تكون ملمة بجوانب البحث يسهل التحكم فيها من قبل الباحث.

بالنسبة لتعيين الفئات وأنواعها، يظل أنموذج برنارد بيرلسون Bernard Berelson_إلى حد الساعة_ السائد في تعيين الفئات، إذ يقرر " مازالت دراسات معينة منتجة إلى الحد الذي تكون فيه الشرائح أو الفئات صيغت بوضوح وتم تكييفها مع المشكلة والمضمون " ، إن تعيين الفئات هي عملية تصنيف محتوى الاتصال، أي الوصول إلى تلك العناوين الجامعة التي تؤدي إلى عملية تقليص النص إلى أجزائه الأساسية ، وعادة ما يتم تعيين الفئات على أساس النموذج الذي وضعه برلسون والذي تنقسم على أساسه إلى:

وتنقسم فئات التحليل إلى قسمين رئيسيين:

مجموع الفئات التي تصف كيفية أو أسلوب تقديم أو عرض المحتوى، وتُجيب فئات الشكل على السؤال كيف قيل؟ تنبع أهمية هذه الفئة من قوة تأثير شكل التقديم و العرض أو الكتابة في قناعات المستقبلين، إذا كثيرا ما يميل المستقبلون إلى الرسالة الإعلامية من مجرد شكلها، بل ربما هو النافذة الأولى التي يتعرفون من خلالها على الرسالة، ومعروف أن الشكل يحمل في ذاته دلالات معينة يقصدها القائم بالاتصال، فأسلوب الكلام ، المؤثرات الصوتية، الألوان ، الإيماءات .... لا تُستخدم عبثا ولا صدفة بل بقصد وعناية كبيرين غالبا. وهو ما يسعى أسلوب تحليل المحتوى لرصده واستكشافه.

ومن أهم الفئات التي يعينها الدارسون في الشكل، نجد هي على سبيل المثال:

- فئة شكل المادة الإعلامية في الصحف مثل الأنواع الصحفية: وهي الأجناس الصحفية التي يتم استخدامها لنقل المضمون الإعلامي إلى الجمهور المستهدف كالخبر، التعليق، العمود....
- فئة المساحة والزمن: تقيس هذه الفئة الحجم المكاني أو الزمني التي يشغلها المضمون المراد تحليله، تُحسب بالسنتيمر المربع بالنسبة للمساحة المكتوبة والثانية أو الدقيقة بالنسبة للسمعي البصري (البرامج الإذاعية والتلفزيونية).
- فئة اللغة المستخدمة: وهي اللغة المتسخدمة في الكتابة الإعلامية، قد تقسم إلى: لغة فصحى: لغة عامية أو لغة عربية، لغة أجنبية...
- فئة العناصر التيبوغرافية : ويقصد بها الكيفية التي يتم بها إخراج المادة الإعلامية، ويمكن أن تضم هذه الفئة العديد من الفئات الفرعية على غرار:فئة العناوين، (بنط العنوان مكانه، صياغته ، لونه وعدد كلماته، فئة اللقطات (زاويتها، تحريكها ، تكرارها)، فئة المقاطع المذاعة أو المسموعة وغيرها من الفئات التي يتم تكييفها حسب طبيعة المادة الخاضعة للتحليل والوسيط المتواجدة به (تمار ، 2007)
- فئة موقع النشر : وتوضح مدى الاهتمام بعرض وإبراز الموضع على الكتاب أو الصفحات أو الموقع أو في التلفزيون، فدون شك ما يخير له الواجهة سوف لن يكون كالذي يكون في الأخير وفي هذا السياق، أشارت الدراسات على مستوى الصحف مثلا أن الصفحة الأولى أكثر مقروئية من الأخيرة، والأخيرة أكثر مقروئية من الصفحة الثانية، ثم التي تليها فالتي تليها... (بن لويس ريشارد و وأخرون ، 1992)

فئات المحتوى هي مجموع الفئات التي تصف المعاني والأفكار التي تظهر في المحتوى، تهتم بالإجابة عن السؤال: ماذا قيل؟ نذكر منها:

- فئة الموضوع وهي الفكرة أو مجموع الأفكار التي يدور حولها المحتوى المراد تحليليه يتم من خلالها تقدير درجة الأهمية والتركيز النسبي الذي توليه المادة الإعلامية لنقاط مختلفة في المضمون، كل موضوع رئيسي يمكن تقسيمه إلى مواضيع فرعية (حسين ، 1976)

مثلا: موضوعات صحية تُقسم إلى أمراض وأوبئة، تغذية، تلقيح، استشارات طبية...

- فئة المصدر: لمعرفة الجهة، أو الشخص الذي تُنسب إليه المعلومة. ، تُجيب على السؤال حول مرجع أو مصدر المعلومة المتداولة في المحتوى الإعلامي... وتتمثل غالبا في مصادر العمل

الدعوي أو الاتصالي كمصادر الوحي (القرآن والسنة) ، أو مصادر علمية أكاديمية مصادر رسمية. مصادر إعلامية، مصادر عامة ، سير وأعلام، مصادر ذاتية، الجمهور .... إلخ. وتكتسب هذه الفئة أهمية بالغة لما ينطوي عليه مصدر المعلومة من تأثير في هويتها مصداقيتها، والغايات الواضحة والكامنة من ورائها.

- فئة الفاعل: تساعد في تحديد الأشخاص والجماعات التي لها دور معين في الموضوع
- فئة السمات: تستخدم لتحديد السمات الشخصية مثل السمات الفيزيولوجية ،النفسية والاجتماعية.
- فئة الجمهور المستهدف: للكشف عن الأفراد والفئات المعنية بالمحتوى المراد تحليله.
- فئة الاتجاه: تكشف عن موقف الرسالة الاتصالية من الموضوع (إيجابي أو سلبي/ مؤيد محايد أو معارض...)، تتعدد تعريفات المشتغلين بالدراسات الإنسانية بشكل عام لمفهوم الاتجاه، ذلك أنه عملية نفسية وعقلية معقدة، يصعب تدقيق ملامحها، مما يجعل من عملية تحديد الوجهة التي تأخذها الرسالة الإعلامية من موقف أو قضية معينة ، تحديدا دقيقا واحدة من أصعب المعضلات الإعلامية التي تواجه الباحثين. (بن طبة ، 2015). ومع ذلك تنطلق هذه التعريفات في أغلبها من مرتكزات أساس تتقارب في اللفظ كما تتقارب في المعنى والدلالة. مبينة أن الاتجاه" حالة من التهيؤ للإدراك والتفكير و الشعور والسلوك نحو شيء أو شخص أو مسألة والقصد أنه الجانب الذي تأخذه الرسالة أو الانحياز من القضية أو الموقف المدروس، بطريقة معينة. (جعفر عباس ، 2004) فالاتجاه على هذا النحو بمثابة نسق أو منظومة تشمل «ردود أفعال Réactions » الفرد الوجدانية والمعرفية والسلوكية نحو موضوع الاتجاه. وكما اختلف الباحثون في وصف الاتجاه، تباينت كذلك طروحاتهم في معرفة ووصف مستوياته، ص 124-125 أقلها المستويات الثالثة المعروفة "مؤيد"،"معارض"،"محايد" مع أن الباحث بإمكانه أن يصل إلى استخدام مستويات أكثر تبعا لخصوصيات الدراسة.. (عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، 1980)
- فئة القيم : تشكل القيم في جوهرها تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني سواء أكان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحاً أو ضمنياً، وأن من الممكن التصور أن هذه التقديرات على أساس أنها امتداد يبدأ بالتقبل ويمر بالتوقف وينتهي بالرفض. وتنبع غالبا من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية، وهي عنصر مشترك في تكوين البناء الاجتماعي والشخصية الفردية، تكون أحيانا

واضحة تحدد السلوك تحديدا قاطعا، وأحيانا أخرى غامضة متشابهة تجعل الموقف ملتبسا مختلطا، والمهم في السياق أن مثل هذه الفئة مهمة جدا في تصنيف المعتقدات، والأعراف التي يمكن أن تؤثر في سلوكهم وفي أفكارهم اتجاه القضايا المطروحة. (محمود هناء ، 1959) قد تكون القيم أخلاقية، اجتماعية ، سياسية أو ثقافية...

مثلا قيم إشهار استهلاكي : قيم جمالية، قيم الرفاهية، قيم النظافة...

قيم برنامج تلفزيوني أو إذاعي اجتماعي: التضامن، قيم المسؤولية المشتركة، قيم المصلحة العامة...

قيم برنامج سياسي: قيم الديمقراطية، الاتحاد، الصراع...

والجدير بالذكر أنه لا توجد معايير محددة لتصنيف القيم وإنما هي مجرد اقترابات يحاول المحلل تكييفها وفق ما يخدم موضوعه وخصوصيته.

- فئة المداخل الإقناعية وهي الأساليب التي يرتكز عليها المحتوى في الإقناع بفكرته أو مضمونه يوظفها المرسل من أجل تأكيد أقواله، أو تحقيق أهدافه. وتتلخص بالإجمال في الأساليب العقلية والعاطفية، لكن هناك من يحاول تفصيلها وليس في الأمر إشكال، فقط يتوجب على المحلل تقديم المبررات الكافية (مؤشرات) هذا التفصيل . (بن طبة ، 2015)

استكمالا لتحديد الفئات، يتم وضع التعريفات الإجرائية الخاصة بكل فئة، تحتاج هذه الخطوة إلى تركيز كبير أثناء عملية القراءة، المشاهدة،أو الاستماع ، ومراجعة عميقة ودقيقة للفئات حتى تكون التعريفات إجرائية بحق تقيس ما يُفترض قياسه.

-ضبط وحدات التحليل

على اعتبار تحليل المضمون وصفا كميا لعناصر الموضوع، من الضروري أن يتم تقسيمه إلى وحدات أو عناصر معينة، حتى يمكن القيام بدراسة كل عنصر منها، وحساب التكرار ت ، ويجب التفريق في تحديد وحدات التحليل بين مستويين قصد تحقيق الصدق والثبات المنهجي في عملية التحليل:

- وحدة التسجيل: هي أصغر وحدة في المحتوى يختارها الباحث لأغراض التحليل، ويخضعها للعد والقياس، يعبر ظهورها أو غيابها، وتكرارها، عن دلالات معينة في رسم نتائج التحليل (عبد الحميد ، بحوث الصحافة ، 1997) ص 150، تتمثل هذه الوحدات في وحدة الكلمة وحدة الموضوع، وحدة الشخصية، وحدة الفكرة، هذه الأخيرة تمثل أهم وحدات تحليل

المضمون وأكثرها إفادة، وتعتبر إحدى الدعامات الأساسية في تحليل المواد الإعلامية والدعائية، الاتجاهات، والمعتقدات. (بخوش و سراي ، 2020)

- وحدة السياق: هي وحدات لغوية داخل المحتوى، تفيد في التحديد الدقيق لمعاني وحدة التسجيل التي يتم عدها أو قياسها، فهي الوحدات الأكبر التي يتكون بناؤها من وحدات التسجيل. فالفقرة وحدة سياق عد للفكرة التي ترد ضمنها. وقد تكون الفقرة وحدة تسجيل إذا تمحورت حول فكرة واحدة، فيصبح بذلك المقال الذي يحتويها وحدة للسياق.
- وحدة العد: بالنسبة لطريقة العد، فتعتبر "وحدة التكرار في التحليل من أكثر الوحدات شيوعا، حيث تشير إلى تسجيل عدد المرات التي تتكرر فيها الأفكار. (بخوش و سراي ، 2020)

بالنسبة للمطبوع وحدة العد هي السنتيمتر مربع

بالنسبة للسمعي أو السمعي لبصري، وحدة العد هي الثانية أو الدقيقة.

ثالثا: اختبار صلاحية التحليل (صدق وثبات)

من ضرورات تصميم المقاييس والأدوات المنهجية أن يتأكد الباحث من أنها صالحة لتحقيق الأهداف التي أُعدت من أجلها، وبأنها ستنقل بدقة وموضوعية صورة الواقع البحثي والتجريب أمامه ، لذلك يقوم بإجراء عدد من الاختبارات التي تجعله يتأكد من هذه الأمور،

– صدق التحليل

يقصد باختبار صدق أداة جمع المعلومات والبيانات مدى قدرتها على أن تقيس ما تسعى الدراسة إلى قياسه بشكل فعال، بحيث تتطابق المعلومات التي يتم جمعها بواسطتها مع الحقائق الموضوعية وبحيث تعكس المعنى الحقيقي والفعلي للمفاهيم الواردة في الدراسة بدرجة كافية، أي أن اختبار الصدق يسعى لتأكيد صحة أداة البحث أو المقياس المستخدم في الدراسة وصلاحيته، سواء في جمع البيانات أو قياس المتغيرات بدرجة عالية من الكفاءة. ولتحقيق درجة عالية من الصدق، يجب التحديد الدقيق لفئات التحليل والوحدات، وتعريف كل فئة ووحدة تعريفا إجرائيا دقيقا ثم وضعها في استمارة يتم عرضها على مجموعة من المحكمين لتقييمها والحكم على مدى صلاحيتها،وإبداء الملاحظات التي يمكن أن تزيدها وضوحا.

– ثبات التحليل:

أما عن الثبات، فيقصد به التوصل إلى نفس النتائج المتعلقة بنفس الظواهر محل الدراسة في حالة إعادة الاختبار أو التحليل مرة أخرى على نفس مفردات العينة بعد مرور فترة زمنية وتقدير قيمة الثبات بعد نتائج الاختبار.

وتبين الأدبيات في هذا السياق عن وجود العديد من الاختبارات الإحصائية المهمة لقياس الثبات : خاصة الثبات الكلي (إعادة الاختبار)، الاتساق الداخلي(المفردات -الأدوات) ، ثبات المحكمين(تقاطع ملاحظاتهم)، الخطأ المعياري ، ومن المعاملات الإحصائية.

النوع الأول الثبات الكلي (إعادة الاختبارTest-retest) ويتمثل في تكرار الاختبار في فترتين زمنيتين مختلفتين وتحت الظروف نفسها قدر الإمكان ، ويتحقق الثبات إذا ارتفع معامل الارتباط بين قيمتي الاختبارين ، والذي تعبر عنه المعادلتان الآتيتان:

-قيمة الاختبار على قيمة إعادة الاختبار تساوي واحد

-قيمة الاختبار ناقص قيمة إعادة الاختبار تساوي صفر

النوع الثاني قياس الاتساق الداخلي (المفردات- الأدوات) : ويُستخدم لقياسه العديد من المعاملات أشهرها في تحليل المحتوى اختبار هولستي Holsti لقياس الاتفاق بين المحللين . (بن طبة ، 2015)

وتسعى عملية الثبات في التحليل إلى التأكد من وجود درجة عالية من الاتساق في النتائج:

- الاتساق بين الباحثين القائمين بالتحليل:بمعنى ضرورة توصل كل منهم إلى نفس النتائج بتطبيق نفس فئات التحليل ووحداته على نفس المضمون.

-الاتساق الزمني بمعنى ضرورة توصل الباحث إلى نفس النتائج بتطبيق نفس فئات التحليل ووحداته على نفس المضمون إذا أجري التحليل في أوقات مختلفة.

ولاختبار صدق الأداة وحساب معامل الثبات يتم تطبيق طريقة هولستي في التحليل الإختباري الذي يقوم به أكثر من ثلاث محكمين (طعمية ، 1987) وذلك بتطبيق القاعدة الرياضية التالية:

عدد المحكمين * متوسط الاتفاق بين المحكمين

1+ (عدد المحكمين-1)*متوسط الاتفاق بين المحكمين

ولإيجاد متوسط الاتفاق بين المحكمين نطبق القاعدة الرياضية لداتسون

$$\frac{\text{عدد الاتفاقات بين المحكمين}}{\text{عدد الاتفاقات + عدد الاختلافات بين المحكمين}}$$

مثال :نرمز للمحكمين بالرموز التالية:

أ : المحكم الأول

ب: المحكم الثاني

ت : المحكم الثالث

ث : المحكم الرابع

ج: المحكم الخامس

متوسط الاتفاق بين كل محكمين كالتالي:

بين أ و ب =0.63 بين أ و ت=0.46 بين أ و ث = 0.57 بين أ و ج =0.61 بين ب و ت=0.71

بين ب وث =8.80 بين ب و ج= 0.80 بين ت و ث=0.5 بين ت و ج= 0.68 بين ث و ج=0.84

متوسط الاتفاق بين جميع المحكمين هو 0.66 وبتطبيق القاعدة السابقة نجد

$$\frac{0.66*5}{0.66*(1-5)+1} = \frac{3.33}{3.64} = 0.91$$

نسبة الثبات في المثال السابق هو 0.91

.كلما تجاوزت نسبة الثبات بعد تطبيق معادلة هولستي0.70 كملا كان ذلك مؤشرا جيدا على ما صلاحية الأداة للقياس والتحليل .

-يمكن إعادة الاختبار مرة أخرى على نفس مفردات العينة المسحوبة بعد مرور مدة من تاريخ إجراء الاختبار القبلي الأولي من أجل التحقق من ثبات النتائج ضمن ما يعرف بالاتساق عبر الزمن

رابعا: تجميع وتفريغ البيانات الكمية

تتم هذه الخطوة عبر مرحلتين (عبد الحميد، 1997): الأولى تُستخدم فيها استمارة التحليل لجمع البيانات الخاصة بكل وثيقة، وبعد التأكد من تحليل جميع الأعداد المشكلة لمادة الدراسة، تأتي المرحلة الثانية المتمثلة في تفريغ هذه البيانات في جداول خاصة بكل تصنيف على حدة، بحيث تكون هذه الجداول على مستويين:

-جداول عامة أو كلية خاصة بكل فئة على حدة.

-جداول تفصيلية جزئية تخص عناصر فئات الموضوع.كما يمكن إنشاء جداول بسيطة أو مركبة وإن كانت هذه الأخيرة أفوى مهجيا وعلميا من النوع الأول.

ثم يتم عرض البيانات بطرائق إحصائية بحساب التكرارات، واستخراج النسب المئوية، مع إمكانية دعم الجداول برسوم توضيحية.

خامسا: تحليل البيانات

وهي المرحلة الأخيرة التي يُجيب فيها الباحث على كل التساؤلات المرتبطة بأهداف الدراسة، فقد عرف تحليل المضمون تطورا منذ سنة 1952 ، فكان الاقتراح بإنشاء منهج يسمح بالقيام باستنتاجات تبين بانتظام الخصائص المميزة للرسالة. وبذلك ننتقل من الخصائص الظاهرة والكمية لعناصر النص إلى مفاهيم الشكل والبناء . على الرغم من الدقة في تعريفه وفي استعماله، بقي تحليل المحتوى كميا بالأساس .نقيس عدد المرات التي يظهر فيها المؤشر أو الوحدة في النص... غير أن الرسالة نفسها تستطيع أن تعطي دلالات مختلفة تبعا لظروف نشأتها وسياق تأثيرها وتأثرها كان لزاما على الباحثين الارتقاء بهذا الأسلوب من الكم إلى بعد آخر يمكن من إعطاء القراءة السليمة والموضوعية للنص ذلك وإن كانت الرسالة تركيبا كميا لمفردات وأفكار وصور ... إلخ، فإن ظروف إنتاجها النفسية العلمية، الاجتماعية، السياسية، الثقافية، البيئي... الخ تضفي عليها معنى آخر هو من صميم جوهر وحقيقة الرسالة، وهو مالا ينبغي إغفاله بأي حال من الأحوال..

من هنا، كما أشرنا في تطور تحليل المحتوى سلفا، لقي البعد الكيفي في تحليل المحتوى عناية كبيرة من قبل المدارس المعاصرة ، فالتحليل الكمي جد بسيط، لا يتعدي ترجمة ترددات وحدات التحليل في الكثير من الدراسات (لارمي و فالي ، 2007) ، وهو شيء سلبي لأن الاعتماد على مؤشرات الظواهر يتطلب وسائل تحليلية أكثر دقة وقوة وأكثر شمولا في تناول الرسالة. لكن ما ينبغي الإشارة إليه أن التحليل الكيفي هو ذاته لايسلم من الانتقاد، خاصة وأن الباحث ينطلق فيه من قراءته الذاتية وخبرته الشخصية في تفسير وتأويل النص أو المحتوى الاتصالي، مما قد يضفي على الدراسة بعدا ذاتيا وهو أمر مرفوض حتما إذن هي جدلية قائمة بين التزام حدود ما جادت به البيانات الكمية وبين تحيز الكيف ، تتطلب بلا شك وجود مقاربة وسيطة تراعي الخصوصية الكمية للبيانات. (تمار ، 2007)

يتعامل الباحث معها في إطارها الطبيعي بمعنى يمكنه من خلال تحليله لرمز الرسائل الوصول إلى وصفها على أنها متشابهة، متوافقة، مركبة ومتنوعة ...إلخ، ومن هنا، فهو يستعمل فئات ذهنية كيفية - لفهم الرسائل وتصنيفها، ويستصحب معها القراءة الكيفية المسندة إلى استنتاجاته وفهمه وقراءاته، استنادا منضبطا ودقيقا وموضوعيا قدر الإمكان ، يُراعي فيه الباحث كل سبل الاستدلال إما من دراسات أكاديمية سابقة أو نظريات ومقاربات مفسرة للظاهرة محل الدراسة، خبرات أو مراسيم وقوانين رسمية أو شهادات، أو وقائع مؤكدة أو من خلال مضمون العينة ذاتها أو من المجتمع المدروس .... بما يمكن فعلا من المعاني وإبراز المعاني الكامنة في السياقات المحددة للمضمون.

هوامش الفصل

1. Grawitz, M. (1972). Méthodes d'épistémologie Armand Colin. Paris: Collection « U ».

2. بخوش ,ن .,سراي ,س (2020) .ديسمبر .الإجراءات المنهجية لاستخدام تحليل المضمون في بحوث الإعلام .المجلة الجزائرية لبحوث الإعلام والرأي العام ,(2)3 ,ص ص .30-17

3. بن طبة ,ا . (ديسمبر 2015) تحليل المحتوى في بحوث الاتصال -مقاربة في الإشكاليات والصعوبات. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية . (14-13) .ص ص 330-316 - 223

4. بن لويس ريشارد ,وأخرون .(1992) .تحليل مضمون الإعلام .مديرية المكتبات والوثائق الوطنية. ص 41

5. تمار ,ي .(2007) .تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين .طاكسينج كوم . الجزائر.

6. جعفر عباس ,ك .(2004) .الاتصال السياسي ط .1. دمشق :المكتب الإسلامي.

7. حسين ,س .(1976) .بحوث الإعلام الأسس والمبادىء .القاهرة :دار الفكر العربي. ص 265

8. روجر ,.,دومينيك ,ج .(2013) .مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي .ط 1ص . تر: أبو أصبع ,ف . منصور ,بيروت ,لبنان :المنظمة العربية للترجمة . ص 296

9. سبعون ,س .,جرادي ,ح .(2012) .الدليل المنهجي في إعداد المذكرات و الرسائل الجامعية في علم الاجتماع .دار القصبة للنشر والتوزيع. ص 234

10. طعمية ,ر .(1987) .تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية :مفهومه، أسسه، استخداماته .القاهرة :دار الفكر العربي .

11. عبد الحميد ,م .(1997) .بحوث الصحافة .القاهرة :عالم الكتب . ص 93

12. عبد الحميد ,م .(1980) .تحليل المحتوى في بحوث الإعلام .القاهرة :دار الشروق.

13. لارمي ,أ .,فالي ,ب .(2007) .البحث في الاتصال عناصر منهجية .. تر: م .سفاري وآخرون قسنطينة :مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة،جامعة منتوري .

14. محمد جمال ,ر .(1999) .مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية .مركز جامعة القاهرة.

15. محمود هناء ,ع .(1959) .التوجيه التربوي والمهني .مكتبة النهضة المصرية.

16. مصطفى عليان ,ر ,محمد غنيم ,ع .(2000) .مناهج وأساليب البحث العلمي ط 1. عمان :دار صفاء للنشر والتوزيع.

17. مصطفى عمر ,ا .(1994) .البحث الإعلامي مفهومه وإجراءاته ومناهجه .بنغازي :منشورات جامعة قار يونس.

الفصل الرابع: التحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل

تمهيد

تعتبر الرسالة الإعلامية نتاجا متكاملا من الأفكار والمعاني يتم صياغتها في قوالب متعددة من الرموز الإشارات والكلمات التي تتماشى مع المحتوى الظاهر وتتناسق معه. كما تحمل في طياتها مدلولات كامنة خفية تعكس عادة توجهات المرسل وإيديولوجيته الفكرية، السياسية، الثقافية أو الدينية...

فالخيارات الدلالية والمنهجية تُظهر مواقف صريحة وأخرى مبطنة مستترة، لذلك يرتقي تحليل المحتوى مع تحليل الخطاب إلى أعلى مستوياته بكشف المستور عن الرسائل الإعلامية ومحاولة سبر غورها بالتنقيب عن الإيديولوجية الضمنية فيها بعيدا عن تصريحات المرسل الرسمية ورسائله المكشوفة، وذلك من خلال ما يُعرف بالتحليل الاستدلالي وفق أُطر ومعايير موضوعية يُشترط الالتزام بها للوصول إلى الهدف المنشود.

أولا: إطار نظري ومفاهيمي

للوقوف على منهجية التحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل ومعرفة خصوصياتها وشروطها، لا بد من ضبط السياق المفاهيمي الذي تحمله ، حتى يتسنى لنا استيعابها وتوظيفها بشكل صحيح.

-مفهوم الإيديولوجية في الإعلام:

تعتبر الأيديولوجيا مصطلحا زئبقيا محكوما بالنسبية على المستوى المفهومي، وهي "واحدة من أكثر المفاهيم غير المحددة والمحيرة التي يمكن أن يجدها الإنسان في العلوم الإنسانية بصورة عامة والعلوم الاجتماعية بصورة خاصة، ليس فقط بسبب تنوع وتعدد المداخل النظرية التي تحدد معاني ووظائف مختلفة للأيديولوجيا، ولكن أيضا بسبب أنها مفهوم مشحون بالمضامين السياسية، ويتم استخدامه على نطاق واسع في الحياة اليومية بمعانيه المتشعبة. (خليفة و محمد إسماعيل ، 2006)

تُعرف الإيديولوجيا في السياق الإعلامي وفق تصور تيون فان دايك " Teun A Van Dijk" بأنها منظومات من المعتقدات، القيم، و المعارف المشتركة بين جماعات اجتماعية محددة، تعمل على تنظيم رؤيتها للعالم وتوجيه ممارساتها الاجتماعية وتظهر هذه المنظومات بشكل خاص في إنتاج الخطاب الإعلامي، بينيته ومضامينه. كمجموعة من القيم، تتحكمالإيديولوجيا في اختيار الموضوعات، تأطير الأحداث، انتقاء المفردات، ترتيب المعلومات وتمثيل الفاعلين الاجتماعيين، مما يجعل الخطاب الإعلامي إداة لإعادى الإنتاج أو تحدي علاقت الهيمنة والقوة داخل المجتمع، فهي بهذا لا تُفهم بوصفها آراء فردية معزولة، بل باعتبارها بُنى معرفية جماعية تؤثر في كيفية تفسير الواقع الاجتماعي وتقديمه إعلاميا، سواء تم ذلك بشكل صريح أو ضمني (Van & T, 1998)

يرى "Althusser Louis لويس ألتوسير " أن الإعلام يُعد من أهم الأجهزة الإيديولوجية في المجتمع باعتبارها نسقا من من التمثلات (صور، خطابات، مفاهيم، شعارات...) تعمل على إعادة إنتاج علاقات الهيمنة داخل المجتمع، تؤدي وسائل الإعلام دورا محوريا في ترسيخ وتثبيت هذه التمثلات وإضفاء الشرعية عليها.(Althusser, 1971)

يربط Norman Fairclough نورمان فيركلاف بين الإيديولوجيا والبنية اللغوية للخطاب الإعلامي، حيث تُبنى المعاني لغويا وتُسهم في إنتاج وإدامة علاقات السلطة والهيمنة داخل المجتمع .(Fairclough, 1995)

أما John B Thompson جون طومسون، فيتصور الإعلام وسيطا رمزيا للإيديولوجيا التي يعتبرها أشكالا رمزية تُنتج ويتم تداولها عبر وسائل الإعلام بهدف دعم علاقات السيطرة من خلال إضفاء المعنى والشرعية عليها.(Thompson , 1990)

فيما يؤكد Roland Barthes رولان بارت على البعد الأسطوري في الخطاب الإعلامي، حيث يرى أن الإيديولوجيا في الإعلام تظهر من خلال الأسطورة، أين تتحول القيم التاريخية والاجتماعية عادة إلى معان طبيعية وبديهية عبر الخطاب الإعلامي. (Barthes, 1957)

على المستوى العربي، يعتبر محمد عبد الحميد الإيديولوجيا الإعلامية منظومة من القيم والمواقف الفكرية التي تتجسد في الخطاب الإعلامي من خلال اختيار القضايا، زوايا المعالجة واللغة المستخدمة بما يعكس توجهات المؤسسة الإعلامية ومصالحها. (عبد الحميد، 2010)

إذن، للإيديولوجية فعالية في السيطرة على نمط التفكير ومنهجه، بعزل الناس عن الواقع، والزج بهم بهم في مسارب خاطئة، تدفعهم للفهم بطريقة معينة، وتبني معرفة مشوهة تُولد حالة من الوعي الزائف لدى أولئك الذين يعيشون في إطار فهمها للواقع... وفي هذا المنظور لايقتصر الأمر على كون الناس يعيشون حياة مغتربة أو مزيفة، بل إنهم لا يدركون أو لا يعرفون حتى كونهم مغتربين". (مانهايم ، 1980)

والإعلام اليوم بما يمكله من وسائل متطورة وتكنولوجيات واستراتيجيات ماكرة بات ذراع العولمة الكاسحة، ووسيلتها الناجعة لفرض نموذج موحد في الثقافة والفكر، وتحقيق الهيمنة الناعمة، فليس ثمة مبالغة بالقول إننا إزاء إيديولوجية إعلامية تتحدد في منظومة من الأفكار والتصورات، المعبر عنها من خلال العملية الاتصالية، بحيث يسعى القائمون على الإعلام والاتصال بإنتاج وتداول خطاب جذاب شكلا وموضوعاً قادر على فبركة واقع عصي على الفهم الموضوعي، يقتنع فيه المتلقي بما يلفه من أوهام ويؤمن بها على أنها أُس الحق والحقيقة، وما عداها باطل وفاسد (إسماعيلي ، 2019)

تعكس الإيديولوجيا في الإعلام المواقف والأفكار التي تميل عادة إلى التعبير عن مصالح جماعية أو فردية وغالبا ما تكون غير معلنة صراحة في نصوص الرسائل الإعلامية، بل تُستدل عليها من خلال أساليب العرض، السرد واللغة المستخدمة والملاحظ أن أغلب التعريفات التي تم سردها في اعتبار الإيديولوجيا في الإعلام منظومة قيم ومعان تنتج رمزيا بواسطة الخطاب الإعلامي مساهمة بذلك تأطير في الواقع الاجتماعي تأطيرا إيجابيا أو سلبيا حقيقيا أو زائفا حسب غايات الجهة القائمة عليها، وبالتالي تساهم باعتبار الإعلام قوة تأثير ناعمة في التأثير على الهيمنة وإعادة إنتاج علاقات السلطة.

- مفهوم المرسل

يعبر مصطلح المرسل عن الفرد أو المؤسسة التي تنتج الخطاب الإعلامي ضمن نسق إيديولوجي واجتماعي حيث تتحكم معتقداته وقيمه في اختيار الموضوعات، تأطير الأحداث واستخدام اللغة، ما يجعل الرسالة وسيلة لإعادة إنتاج أو تحدي علاقات السلطة. (Van و T، 1998) ص 24

يرى (Fairclough، 1995) أن المرسل هو العنصر الفعال في إنتاج الخطاب الإعلامي، حيث يتمثل دوره في إعادة إنتاج الإيديولوجيا من خلال الخيارات اللغوية والتصويرية وبالتالي يحدد كيفية فهم الواقع الاجتماعي من طرف الجمهور ، ص 17

يعتبر المرسل الجهة المسؤوولة عن إنتاج الرسالة الإعلامية سواء كان فردا أو مؤسسة، تقع على عاتقه مسألة اختيار الموضوع، زوايا التغطية، اللغة المستخدمة والأطر الإيديولوجية التي تُستعرض الرسالة من خلالها. (عبد الحميد، 2010)

قد يكون المرسل فردا أو جماعة، مؤسسة أو شركة، جمعية... فهو عموما القائم بالاتصال، رغم وجود الكثير من الاختلافات بين المختصين في تحديد طبيعة هذا الأخير وهويته ،فقد يكون قارئ الخبر للجمهور مباشرة، وقد يكون المرسِل الذي توصل للخبر وسلمه للقارئ ليذيعه مثلا، وقد يكون هذا الإرسال ورقيا أو آليا الكترونيا. بوسيط أو بدونه. وأي كانت صفته، فهو من تُنسب إليه الرسالة بكل ما تحمله من أفكار وقيم وما تصبو إليه من أهداف ضمنية أو صريحة، تتحكم فيه العديد من الاعتبارات بما فيها الإيديولوجية التي يتبعها.

- التحليل الاستدلالي :

يُعرف التحليل الاستدلالي عموما على أنه أسلوب بحثي ستهدف استخلاص المعاني والمضامين والإيحاءات غير المباشرة من البيانات والنصوص المراد تحليلها، أي أن الاستدلال يقف على ما لا يقال بصراحة من خلال الأدلة اللغوية والسياقية.

يُشير التحليل الاستدلالي إلى عملية تفسير البيانات أو النصوص لاستنتاج المعاني أو الأنماط أو الإيديولوجيات التي لم يتم ذكرها بشكل صريح. فهو منهج لا يكتفي بالنص الظاهر بل يحاول كشف المعاني الخفية والرسائل الضمنية . (Creswell , 2014)

يُستخدم التحليل الاستدلالي كأداة حاسمة في العلوم السياسية والاجتماعية لفهم كيف تُصاغ المواقف وتُشكل الآراء. و في علوم الإعلام والاتصال، يُستخدم التحليل الاستدلالي لاستنتاج الإيديولوجيات والمواقف الضمنية للمرسل وفحص اختيارات اللغة، التأطير، ترتيب المعلومات المعلومات والتمثيلات الاجتماعيةوقراءة المسكوت عنه في النصوص الإعلامية. (Van و T، 1998)

التحليل الاستدلالي عملية عقلية ومنهجية منظمة تستهدف الانتقال من المعلومات والمعطيات البارزة والظاهرة في النص إلى معان غير مُصرح بها، عبر تتبع قرائن لغوية وأخرى دلالية سياقية، يُستخدم هذا النوع من التحليل للمضامين الإعلامية للكشف عن الافتراضات المسبقة والمقاصد الضمنية والأنساق الإيديولوجية الكامنة.

التحليل الاستدلالي للإيديولوجيا (Ideological Analysis) هو عملية تفكيك للنصوص والخطابات للكشف عن القيم، المعتقدات، والتحيزات الكامنة التي تخدم مصالح طرف محدد. يهدف التحليل إلى كشف الدوافع، علاقات القوة، والوعي الزائف الذي يمرره المرسل لتبرير نظام اجتماعي أو سياسي أو ثقافي معين، مستخدما آليات منطقية وبلاغية للإقناع.

التحليل الاستدلالي أسلوب نوعي في تحليل المحتوى الإعلامي يركز على استنتاج الرسائل الضمنية، القيم والإيديولوجيات من خلال دراسة اللغة، الصور، الأطر وترتيب المعلومات (عبد الحميد، 2010)

ثانيا: خطوات التحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل

تتضمن منهجية التحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل مجموعة من الخطوات، يمكن تلخيصها كالآتي:

-دراسة اختيار الموضوعات : تُعد خطوة مهمة وأولية في تحديد ما يعمد المرسل إلى إبرازه وما يعمل على تهميشه من خلال التغطيات الإعلامية المختلفة التي يُقدمها. (Van و T، 1998)، وفي هذا السياق، يطرح المحلل تساؤلا: مالقضايا التي يُبرزها المرسل، وماهي الموضوعات التي يُهملها.

مثال: قناة إخبارية سياسية تركز على مظاهر العنف في احتجاجات معينة وتغفل مظاهر سلمية.

تغطيات إخبارية لأحداث الحرب تكشف مواطن الصراع لصالح طرف على حساب آخر.

فالموضوع هنا مرتبط بقيم إخبارية أو سياسية يتم الإفصاح عن بعض منها وحجب أخرى لغايات مختلفة كالانحياز أو التضليل أو التخويف ...

- فحص التأطير الإعلامي: تحليل زوايا التغطية واللغة المستخدمة لتقديم الحدث بطريقة معينة بما يعكس توجها ما لدى المستقبل. (Fairclough، 1995)، يتساءل المحلل كيف يقدم الحدث ؟ هل يُعرض بوصفه أزمة، تهديدا أم إنجازا...؟

مثال: استخدام كلمات مثل احتلال صهيوني –كيان صهيوني لتقديم مجريات الحرب على غزة بطريقة ما يُستشف من خلالها موقف المرسل الذي قد يتراوح بين التطبيع الإعلامي أو المعارضة.

استخدام كلمات مثل " تهديد " أو "فرصة" لتأطير الأحداث يعكس موقف المرسل.

- تحليل اللغة والمفردات أي دراسة المفردات، المصطلحات والتراكيب اللغوية التي يحملها النص والتي عادة ما تعكس حمولة إيديولوجية إيجابية أو سلبية مثلا ، يُستدل عليها من خلال الكلمات والألفاظ المنتقاة بعناية ودراسة. (Van و T، 1998)

مثال استخدام كلمة "استيطان " بدل "استعمار"، "قتلى فلسطينيين" عوض "شهداء"، هذه المصطلحات تعكس بوضوح إيديولوجية المرسل أو المصدر الإعلامية

- فحص البنية الخطابية وهنا تتم دراسة ترتيب المعلومات، العناوين،الصور، الجرافيكس والفيديوهات في النصوص الإعلامية مما قد يُمكن من كشف الرسائل المبطنة والقيم الضمنية التي يحملها المضمون الإعلامي، الألفاظ القمية، التوصيفات الإيجابية (عبد الحميد، 2010)
- التحقق من مصادر الخبر، حيث أن هذه الخطوة تُجيب على التساؤل التالي: من له حق الكلام؟ من يُقصى؟

تُعتبر العناصر السابقة مؤشرات يرتكز عليها المحلل في توصيف إيديولوجية المرسل، كما يمكن له الاستدلال عليها من خلال الحجاج ، حيث يعتمد المرسل على استراتيجيات حجاجية وإقناعية لتبرير موقفه

مثال : الاستدلال بالسلطة (خبراء، مؤسسات، هيئات رسمية)، الاستدلال بالسببية، التعميم والاختزال

- تحليل السياق الاجتماعي والسياسي أي ربط الرسالة الإعلامية بموقع المرسل في الهيكل الاجتماعي، السياسي والاقتصادي لفهم دوافع الإيديولوجيا. (Thompson ، 1990)
- استنباط نتائج التحليل من خلال الخطوات السابقة، يمكن للباحث استنتاج المواقف الإيديولوجية للمرسل من النص الإعلامي وتفسير تأثير هذه المواقف على الرسالة والجمهور مع

ربط البنية النصية واللغوية للرسالة بالقيم والإيديولوجيا الخاصة بالمرسل، وبالتالي، فالتحليل الاستدلالي يسمح بفهم أن كل رسالة إعلامية ليست محايدة بل مرتبطة بالمرسل ومواقفه الإيديولوجية. (Van & T, 1998)

غالبا ما تتجلى الإيديولوجية في البعد الضمني أكثر من التصريحات المباشرة من خلال الافتراضات المسبقة، المسكوت عنه، الثنائيات القيمية (نحن/ هم ، صواب / خطأ)

ثالثا: أهداف التحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل:

-كشف "وعي" المرسل: تحليل كيف يفسر المرسل الواقع بناءً على أفكار مسبقة (أيديولوجية) بدلاً من معطيات الواقع المجردة، لإضفاء طابع "العقلانية" على مصالح خاصة.

- البحث عن كيفية تبرير المرسل لعدم المساواة أو الهيمنة، وتمرير هذه الرؤية كأمر طبيعي (طبيعة الأيديولوجيا المهيمنة).

- رصد استراتيجيات المرسل (مثل الرموز، الشعارات، التلاعب اللغوي) لإكساب النص دلالات تداولية تؤثر في المتلقي.

- التحليل يهدف لفهم كيف يسعى المرسل لإنشاء هوية مشتركة، أو شرعنة أفكار حزبية/سياسية (كالليبرالية أو الإسلامية) لتوجيه الرأي العام.

-يبرز دور المرسل كفاعل إيجابي في إنتاج الخطاب الإعلامي

-الربط بين أفكار المرسل وسياقه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي لفهم أسباب إنتاج هذه الأيديولوجيا.

- تعزيز الوعي النقدي لدى الباحثين والمتلقي عموما تجاه الخطاب الإعلامي.

رابعا: أسس التحليل الاستدلالي

يقوم التحليل الاستدلالي لإيديولوجية المرسل على مجموعة من الأسس:

الربط بين النص والسياق الاجتماعي والسياسي.

تحليل ما يُقال وما هو مسكوت عنه.

الكشف عن الافتراضات الضمنية والمسلمات.

تتبع منطق الحجاج والتبرير داخل الخطاب.

خامسا: أدوات التحليل الاستدلالي

التحليل المعجمي والدلالي

تحليل الصيغ النحوية (المبني للمجهول، التوكيد، النفي...)

تحليل استراتيجيات الحجاج والإقناع

تحليل التمثيلات والصور النمطية

يتم استخدام بيانات العينة لسحب استنتاجات وتعميمات علمية، يُمكن من خلالها اختبار الفرضيات وتحليل العلاقات بين المتغيرات والتنبؤ بالتوجهات استنادا إلى عينة تمثيلية من مجتمع الدراسة. يتجاوز هذا النمط من التحليل حدود الوصف إلى الاستدلال، حيث يعتمد على رصد حركة الظاهرة أو ما يُعرف أحيانا بعلم دلالات الألفاظ، يتناول هذا العلم مقارنة المفردات اللغوية التي أُستخدمت في معنى معين (عبد العالي نجم، 2015)والمؤلف بالذات بمفردات اللغة الشائعة أي لغة الكلام، كما يهتم أيضا بالتحليل الداخلي للنص، وتنطوي هذه الطريقة على عدد من العمليات أو الإجراءات وهي:

- حصر الكلمات التي يشتمل عليها نص معين
- تصنيف الكلمات إلى أفعال وصفات
- تحديد الروابط بين الكلمات باستخدام الوسائل الرياضية.
- تحليل الخصائص التي تُميز أسلوب الكاتب
- اكتشاف أوجه التحريف في النص أو نواحي النقص فيه
- اقتراح الاستيفاءات اللازمة واستكمال الثغرات .

بهذا الشكل يُعد التحليل الاستدلالي الركيزة العلمية التي تُمكن الباحث من التعميم واتخاذ قرارات قائمة على الأدلة. يُمكن استخدام التحليل الاستدلالي الإحصائي في تحليل إيديولوجية المرسل يدويا أو باستخدام برامج الحاسوب عندما نريد التأكد من أن النتائج لم تحدث بالصدفة. على سبيل المثال :

-اختبار الفرضيات البحثية

-لمعرفة إن كانت النتائج ذات دلالة إحصائية

-لتعميم نتائج العينة المدروسة على المجتمع الأصلي .

يكشف الواقع أن وسائل الإعلام تلعب دورا حاسما في إنتاج المعتقدات حول السياق الاجتماعي لأنها تميل إلى تجاهل الآخرين أو إساءة تفسير حدث ما، ما يجعل التحليل الاستدلالي ذو أهمية بالغة في كشف إيديولوجية مرسل الرسالة الإعلامية،من خلال تفكيك البنى اللغوية والحجاجيةوالدلالية للخطاب، فالمرسل ليس ناقلا محايدا للمعلومة بل فاعلا إيديولوجيا يُعيد تشكيل الواقع وفق منظومته القيمية والمعرفية ، ومن ثمة ، فإن توظيف التحليل الاستدلالي يُسهم في تعزيز الدراسات النقدية للإعلام ويدعم بناء وعي نقدي لدى المتلقي والباحث على حد سواء

هوامش الفصل

1. Althusser, L. (1971). Ideology and Ideological States Appartuses In Lenin and Philosophy. New York: Monthly Review Press.
2. Barthes, R. (1957). Mythologies. Paris: Seuil.
3. Creswell , J. (2014). Research Design Qualitative,Quantitive and Mixed Methods Approaches (3 rd ed.). Sage.
4. Fairclough, N. (1995). Media Discourse. London: Edward Arnold. PP 14-17
5. Thompson , J. (1990). Ideology and Modern Culture. Cambridge , Polity Press.
6. Van , D., & T, A. (1998). Ideology,A Multidisciplinary Approach (1st ed.). London • Thousand Oaks • New Delhi: Sage Publication.P 8-9-188

7. إسماعيلي ,أ (أوت 2019) .إيديولوجيا الإعلام الجديد والوعي الزائف مقاربة في استراتيجيات الإقناع وصناعة الواقع .مجلة الدراسات الإعلامية. (8) ص ص79-64.

8. خليفة ,ع & .,محمد إسماعيل ,ف .(2006) .المدخل إلى الأيديولوجيا والحضارة .الاسكندرية جمهورية مصر العربية :بستان المعرفة للنشر والتوزيع.

9. عبد الحميد ,م .(2010) .تحليل الخطاب الإعلامي .القاهرة :عالم الكتب.

10. عبد العالي نجم ,ط .(2015) .مناهج البحث الإعلامي ط1 الاسكندرية :دار كلمة للنشر والتوزيع.

11. مانهايم ,ك .(1980) .الإيديولوجيا واليوتيوبا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ط 1 تر: الدريني , شركة المكتبات الكويتية.

الفصل الخامس التحليل السيميائي في بحوث الإعلام

تمهيد

يُعد التحليل السيميائي أحد الروافد الفكرية الهامة في الدراسات المعاصرة. فالسيمياء باعتبارها أحد الفروع النظرية التي نشأت في إطار الدراسات اللغوية والفلسفية، اتسعت لتصبح أداة تحليلية أساسية في مجالات عديدة على غرار الدراسات الإعلامية والثقافية. يقوم هذا العلم على دراسة العلامات والرموز والإشارات وكيفية إنتاجها للمعنى وتبادلها بين الأفراد والمجتمعات.

فالتحليل السيميولوجي سواء أُعتبر منهجية أم أداة أم أسلوبا، يبدو طريقة ناجعة ومفيدة في الملاحظة والتحليل، المعالجة والتأويل والاستنتاج . وبما أن وسائل الإعلام تقوم في جوهرها على إنتاج المعاني وتداولها عبر النصوص والصور والخطابات... فقد أصبحت السيمياء مدخلا مهما لفهم أعمق لوظائف الإعلام ومنتجاته وتأثيراته المختلفة. فتكون مدارج التحليل بهذا المعنى منهجية وأداة إجرائية تطبيقية فاعلة في دراسة المواد الإعلامية وسبر مكنوناتها بغية تحديد معطياتها الموضوعاتية تعريفا وتصنيفا، ترميز ا وتكميما

تفتح المقاربة السيميائية آفاقا معرفية جديدة للبحث الإعلامي تُخرجه من قفص دراسات التأثير والنماذج المعرفية الكلاسية الجامدة بولوجها إلى عالم المعاني والتنقيب عن مدلولاته الكامنة ومعرفة كيفية إنتاجها واشتغالها ومن ثمة استنباط القيم التي تؤسس لها.

أولا : مفهوم السيمياء

تعددت تعريفات السيميولوجيا وتشعبت في مختلف جوانبها بتعدد مشاربها ومدارسها، لكن في خضم كل ذلك، تمكنت المعاجم من ضبط المعنى المعجمي والاصطلاحي لها على أنها الإشارة (جيرو ، 1996)، وفي مجال آخر خارج اللسانيات، عبر الطبيب والفيلسوف "جالينوس" في المجال الطبي عن الأعراض التي تعتري المريض في المجال الطبي، (مرتاض ، 2005) واستعمل هذا المصطلح في هذا المجال ابتداء من عام 1752 بمعنى الدراسة النسقية للأعراض المرضية مرادفا لمصطلح آخر (Symptomatologie) تجمعها شعبة طبية واحدة تستدل على الأمراض بالأعراض البادية منها والخفية. إنه علم الأعراض المرضية الذي لا يزال يحيا في معظم معاهد الطب العربية والعالمية. كما نجد هذا المصطلح في الأفلاطونية إلى جانب النحو الذي يعني تعلم القراءة والكتابة ومندمج مع الفلسفة أو فن التفكير ، ويبدو أن السيميوطيقا اليونانية لم يكن هدفها إلا تصيف علامات الفكر لتوجيهها في منطق فلسفي شامل. (وغيلسي ، 2008)

السيمياء لغة أصلها وسمة ويقولون السومة والسيمة والسيمياء، بمعنى العلامة ، وقال الليث سوم فلان فرسه أي جعل له السيمة وُقال الأصمعي السمياء والسيماء ، وروي عن الحسن أنها معلمة ببياض أو حمرة وقال غيره مسومة بعلامة يعلم بما أنها ليست من حجارة. (عبد الله الثاني ، 2005) وهناك من يستعمل كلمة سيمياء "Sémiotique" على أنها أن لها نفس معنى كلمة سيميولوجيا " Sémiologie " وهناك من يفرق بينهما.

يتكون المصطلح من الأصل اليوناني Sémeion الذي يعني العلامة و Logos الذي يعني الخطاب إلا أن امتداداها الأكبر يعني العلم، بأنها علم قائم بذاته. بفضل أعماله، ذلك اللغوي البنيوي السويسري أسهم إسهاما كبيرا في هذا بروز العلم من خلال تقديم مفاهيم جديدة مثل عشوائية العلامة، والدال والمدلول، والمرجع. يقول سوسير: "اللغة نظام من العلامات، كالكتابة، والطقوس الرمزية، والإشارات العسكرية، وغيرها، واللغة هي أهم هذه الأنظمة. ويمكننا أن نتصور علمًا يدرس حياة العلامات عمومًا ضمن الحياة الاجتماعية: سنسميه علم العلامات." (Saussure , 1979)

والسيميولوجيا تتجه لتكون علم المعاني، تهدف إلى محاولة فهم عملية بناء المعاني، تتداخل مع الكثير من الميادين البحثية مادامت تهتم بفهم الظواهر المعرفية، الاجتماعية والاتصالية. وتنقسم مختلف المقاربات السيميائية إلى قطبين: المقاربة المتعلقة بالمعرفة وتُعنى بالبحث في عمليات المعاني، وهو مستوى السيمياء العامة وتشمل الفلسفة، علم المعرفة، علوم اللغة والمقاربة الاجتاعية الثقافية وتُعنى

بالبحث في عمليات الاتصال ومستوى السيمياء الخاصة والتطبيقية وتشمل الدراسات الثقافية والأنثروبولوجية وعلوم الإعلام والاتصال والأدب،(Domenjoz, 1998)

لهذا تعتبر السيميولوجيا مجالا متعدد الاختصاصات، تتداخل فيه الكثير من العلوم التي تُعنى بفهم كيفية إنتاج المعنى وتحليل الظواهر المرتبطة به في أبعادها الإدراكية والاجتماعية والثقافية والتواصلية على حد سواء والتالي فهي ميدان بحث شاسع يتجاوز كونه مجرد منهج أو اختصاص.

يُعرف جون مونان Georges Mounin السيميولوجيا بأنها ذلك العلم العام الذي يهتم بدرسة كافة أنساق العلامات أو الرموز أو الإشارات التي بفضلها يتم التواصل بين الأفراد، بينما نجد " صلاح فضل" و" محمد السرغيني" يُدرجانها ضمن العلم الذي يهتم بدراسة الأنظمة الرمزية الخاصة بدلالة الإشارات وأنظمة العلامات بمختلف مصادرها سواء كان لغويا، مؤشريا أو سننيا. (سيفون ، 2016)

بالإضافة إلى سوسير ، عكف آخرون على تطوير السيميائيات من بينهم رولان بارت (R.Barthes)وشارل بيرس (Charles Sanders Peirce) ، كما يشتغل بعض الباحثين العرب على المنهج السيميائي في أبحاثهم ودراساتهم العلمية منذ ظهور مجال السيميائيات منهم المفكر والأديب عبد الكبير الخطيبي الذي اقتحم بواسطة السيميائيات الثقافة المهمشة التي لم يكن يلتفت إليها الباحثون والتي تُشكل بطبيعة الحال جزء لا يتجزأ من التراث المغربي والهوية المغربية، مجالات كالأدب الشفوي، الرقص، الهندسة المعمارية والوشم، حيث سبر الخطيبي أغوار هذه الثقافة وألوانها المختلفة، يرى الخطيبي أنه على الرغم من أن السيميائيات تُعتبر في نظر البعض صورة زائفة للعلم على غرار مختلف العلوم الإنسانية التي لا تصل إلى مستوى العلوم الحقة،فإنه وجدها نموذجا مقبولا في الفن والفكر معا(Khatibi , 2008)

يقول بنكراد في تعريفه للسيميائيات بأن السيميائيات في معناها الأكثر بداهة هي تساؤلات حول المعنى إنها دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني، ففي غياب قصدية صريحة أو ضمنية لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالا أي مُدركا باعباره يُحيل على معنى. إن هذه القصدية هي أساس كل القضايا المعرفية التي عبرت عن نفسها من خلال مجموعة من المفاهيم الخاصة بالمعنى من حيث الوجود والمادة والتداول والسيرورة، فالوجود الإنساني باعتباره وجودا للمعنى وفي المعنى، أنتج مجموعة من المفاهيم عن هذا المعنى باعتباره غطاء سميكا للممارسة الإنسانية. (بنكراد ، 2003)

السيميائيات أو السيميوطيقا (Semiotics) أو السيميولوجيا (Sémiologie) علم يدرس العلامات أو الإشارات اللغوية وغير اللغوية، يتعدى مجال المنطوق إلى ما هو بصري كعلامات المرور ولغة الصم

والبكم والشفرة السرية ودراسة الأزياء وطرائق الطبخ والسينما والتلفزيون والمسرح والإشهار. وهو علم مبني على المنطق وفلسفة الأشكال الرمزية الأنطولوجية (الوجودية) والرياضيات واللسانيات.

تعبر السيميولوجيا عن كافة أنساق العلامات سواء بوصفها علامات لسانية أو غير لسانية تتم دراستها داخل المجتمع بتمظهراتها المختلفة ضمن أنساق محددة تعطي فهما للواقع عن طريق دلالات ومعان لا أوصاف محددة. تمتد لتشمل كافة أشكال الرموز والإشارات التي يبني بها الفرد جسوره الواصلية مع الآخرين. وهذا ماجعل علوم الإعلام والاتصال من أهم الحقول المعرفية التي انشغلت بالسيميولوجيا موظفة أسلوبها ومنهجيتها ومقاربتها في تحليل الظواهر الاتصالية والووقف على خصائصها وجوهرها لأجل فهمها فهما صحيحا.

ثانيا: تطورالسيمياء

إن محاولة التتبع المرحلي للسيميائية عبر مراحلها المختلفة، ومنذ بدايتها في الفكر الإنساني، لا يتّم إلاّ عن طريق البحث والتقصي عن العلامة في حد ذاتها وتناولها ليس بالأمر السهل من حيث هي كيان نفسي وثقافي وحضاري بشكل عام، إذ أنها تشكل خطابا انعكاسيا باعتبار طبيعتها الخطية في تحقيق عملية الإبداع والتواصل، لأنها لا تتوقف عند مفردات أحادية بل تتعداها إلى علاقات ارتباطية، (عبد الله الثاني ، 2005) ص 53. والأكيد أن النشاط السيميائي مرتبط بظهور الإنسان على وجه الأرض، فمنذ أن أحس بانفصاله عن الطبيعة وعن الكائنات الأخرى، وباستقامة عوده ، بدأ يبلور أدوات تواصلية جديدة تتجاوز الصراخ و الهرولة و الاستعمال العشوائي للجسد والإيماءات، وبتكوين إنسانيته الخاصة عن طريق أدوات للتواصل تقوم على أشكال رمزية، وعلامات ترتكز على التواضع الاجتماعي، وبهذا يكون قد كون ثقافة معينة قائمة على علامات خاصة تستحق الدراسة والتمحيص (الأحمر ، 2010)،

والفلسفة باعتبارها علما شموليا وحقلا معرفيا واسعا، ضمت في ثناياها علوما مختلفة، ووجهات نظر متباينة بوأتها مكانة مرموقة جعلت منها أُم العلوم، فما من علم حديث نتطرق إليه اليوم إلاّ وكان للفلسفة دور في تكوينه، وبلورة مفاهيمه. ويتفق مؤرخوه الفلسفة على أنها بدأت بمجهودات الحكماء السبعة، وأولهم "طاليس"، أما الأسلوب الذي تعالج به موضوعاتها، فهو أسلوب أو منهج عقلي برهاني منطقي صارم، ذلك أن الفيلسوف لا يقف موقفا ولا يقرر تقريرا دون أن يصحبه ببراهين عقلية منطقية تسلم بها جميع العقول. ويبقى السؤال سمتها الرئيسية، والشك عنوانها الدائم، وهي لا تفتأ تطرح الأسئلة

دون الاقتناع بأي جواب، وبما أن السؤال هو أصل المعرفة، فإن الفلسفة هي الخلفية التي يستقي منها أي علم مقوماته وقيمه بل حتى مشروعيته ، ولهذا فإن التأمل في العلامة وحيثياتها كان منشؤه فلسفيا.

وعلى غرار الفلاسفة، نجد العلماء والمفكرين قد اهتموا بالعلامة ودراستها منذ الأزل، وعبر كل مراحل الفكر، وبما أن الإنسان قد تأمل في العلامة منذ بدأ التأمل والتفكير فيمكن أن نتتبع مراحل تطورها و مختلف مفاهيمها بالشكل التالي: (الأحمر ، 2010)

ارتبط هذا المصطلح عند الإغريق "بالمدرسة الشكلية "Septicism" ومنطلقها هو أن حواسنا تخوننا وأن المتخصصين يناقض بعضهم بعضا، وعلينا التشكيك فيما يُقدم لنا، وقد بلغت هذه الدراسة أوجها في الإسكندرية.

بقيادة الفيلسوف ايينديموس "Aenesidemus" الفكرية في القرن الأول الميلادي، والذي قام بتنظيم وضم كل المبادئ البحثية في عشر صيغ، وهي مستقاة من تحليله للعلامات، ومنطلقه أن العلامات ليست ظاهرة ومتجلية بالضرورة ، فلو لم تكن مستترة أحيانا لظهرت جلية للجميع، وهذا ما يشّكل البذور الأولى التي ولدت المنحى يالسيميائي الحديث. ومن العلاقة التي جمعت هذه المدرسة الفلسفية مع الدراسات الطبية نتجت هناك عدة تصنيفات لهذه العلامة ، حيث قام الطبيب الفيلسوف "سيكتوس أمبريكوس) "Sextus Empricus (ق2م) بتصنيف العلامات المستترة ، كما قام "جالينوس Galenus (ق3 م) بالتمييز بين العلامات العامة التي تدل على أكثر من شيء والعلامات الخاصة التي تدل على شيء محدد (الأحمر ، 2010)، فمن خلال المرض وأعراضه التي تظهر على ملامح الشخص تتجلى الدلائل التي بموجبها يُعرف المرض، إذ أنها العوامل المساعدة على فهمه حيث يقول جالينوس : ثُّم إن أصحاب الرأي والقياس يأخذون من تلك الأعراض دلائل على السبب ، ويستخرجون من علم السبب العلاج والمداواة.

وظواهر المرض يُستدل عليها بعلامات ومن هنا يمكن القول أن الأعراض هي دوال بتعبير "سوسير "حديثا، أي العنصر الأول من الدليل، سواء أكان دليلا لغويا أم غير ذلك، فالدليل غير اللغوي يمكن أن يكون لغويا إذا عبرنا عنه بالقول -مثلا- فأعراض المرض إذن هي بمثابة الدوال التي تستحيل إلى مدلولات بعينها، وهي المرض ذاته بملامحه أو الداء، وفهم الدليل طريق لمعرفة الدواء وبالتالي فما يظهر من أعراض يُستدل عليه بعلامات، (حوشي ، 2009) ومن هنا نستطيع أن نقارب التواصل بالعلامات لغوي وغير لغوي . ويجد مدلولا للدال الذي يواجهه، ومن هنا فالتواصل يربط بين الطبيب والمريض من خلال سؤال الأول للثاني عن شكواه، فمن خلال اللّغة والأعراض يهتدي الطبيب إلى المرض.

كما اهتم "أفلاطون" بالعلامات اللّغوية وطابعها المحاكاتي وخاصيتها الاعتباطية، كما أكّد أن للأشياء جوهرا ثابتا وأن الكلمة أداة للتوصيل ، وبهذا يكون بين الكلمة ومعناها تلاؤم طبيعي بين الدال والمدلول فلهذا كان اللفظ يعبر عن حقيقة الشيء ، كما أشار إلى ما تمتاز به الأصوات كأداة تعبر عن ظواهر عديدة. (عبد الله الثاني ، 2005) وقد شكّلت ملاحظات "أفلاطون " حول العلامة اللّغوية منبع تقليد فكري،وقد أطلق عليها لفظ " Semeion " الذي يرادف العلامة اللسانية وهي تدل على الأعراض المرضية symptome، إلاّ أن " أرسطو" جعل هناك فرقا بين العلامة اللسانية والسميون Semeion حيث اعتبر العلامة قضية برهانية إما ضرورية وإما احتمالية من خلال إنتاج شيء على شيء. فالعلامة اللسانية عنده تفتقر إلى القدرة على الاستدلال، بينما يمتلك السميون Semeion القدرة التي تؤهله للانخراط في العملية الاستدلالية (يوسف ، 2005)

وفي كتاب "العبارة" مايميز بين "الكلام "و" الأشياء" "و الأفكار" "و الكتابة" ، ليفحص خصوصية كل عنصر من هذه العناصر،" حيث لاحظ الكتاب من خلال تتبعه للكلام فروقا بين الكلام والأشياء والأفكار فقال بأن الأشياء هي ما تدركه الحواس، بينما الأفكار هي أداة معرفة الأشياء ويبقى الكلام عبارة عن أصوات متمفصلة في وحدات تخبر عن الأفكار، وبذلك يكون له السبق في تحديد فحوى التوسط الإلزامي بين الحدود المكونة للعلامة، كما أضاف إلى العناصر الثلاثة السابقة عنصر الكتابة، وكأّن العناصر المتمثلة في الدال والمدلول هي أشياء وكلام وأفكار (بنكراد ، السيميائيات النشأة والموضوع، 2007) وهذه قضايا سيميائية دون أدنى شك.

كما أنّه عالج قضية التراجيديا والكوميديا أيضا من زاوية المحاكاة، وإن كان قد وظّف مصطلح علامة (Semeion)، فقد قصد بها "الإشارة "و" الحجة "و" العرض" أو العلامة الطبيعية (مثل الندب الذي يساعد في التعرف على شخص)، وقد استعملت مشتقات هذه الكلمة بوفرة في الفصلين العشرين والواحد والعشرين من "فن الشعر" وذلك في معرض الحديث عن أجزاء الخطاب (التوهامي العماري ، 2007)، كما ميز بين الدلالة والدلائل في قوله ": وقد يؤت بالتفكيرات من الصادقات ومن الدلائل كي تكون لا محالة كل واحدة من هاتين هي واحدة من تينك...فالدلائل منها ما هو بمنزلة الجزء من الكل، وما كان من هذا النحو اضطراريا فهو دلالة (حوشي ، 2009)، وما كان منه غير اضطراري فليس بمسمى كالفصل من الفصول، وقد أعني بالاضطرارية تلك التي تكون منها السلوجسمات (المقايسات) وما كان من الدلائل هكذا فهو دلالة ، فهذه الدلالة تمس الدلائل في لغة الخطاب المكتوب أو الشفهي، في حين أنها تمس الدلالة فيما هو غير لغوي.

يسجل تاريخ السميولوجيا كذلك مساهمة الرواقيين فيه بعد حوالي قرن من إسهامات أرسطو من خلال حضورهم في دراسة العلامة، بل إنهم أول من قال أن العلامة دال ومدلول، وهذا لا يتقصر على العلامة اللغوية فحسب، بل كما وضح أمبرتو إيكو أيضا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية (الأحمر ، 2010) ص 23، ثم توالت اهتمامات الرواقيين الذين أسسوا نظرية سيميائية تقوم على التمييز بين الدال والمدلول والشيء. والرواقيون هم من العمال الأجانب في أثينا، وأصلهم الحقيقي يعود إلى الكنعانيين الفنيقيين ومعهم ظهر لأول مرة في الحضارة الإغريقية من لا يتكلم اليونانية كلغة أصلية " وهؤلاء حسب "إيكو" اكتشفوا أن الاختلاف في أصوات اللغات وحروفها، أي تشكلها الخارجي الذي يُدعى بالدال ينبغي ألا يخدعنا، فوراء هذه الاختلافات الشكلية الظاهرية بين اللغات البشرية توجد مرجعيات ومدلولات متماثلة تقريبا (بن مالك ، 2002) وقد ميزوا بين ثلاثة عناصر في وجود كل علامة بحيث أنها تجمع بين ثلاثة مكونات: مضمون العلامة، والعلامة وما هو موجود فعليا، وميزوا بعد ذلك بين العناصر النفسية وغير النفسية، فالصوت والشيء محسوسان، أما مضمون العلامة وهو ما يتطابق مع المدلول السوسوري نفسي، لأنه صورة مجردة عن الشيء (بنكراد ، السيميائيات النشأة والموضوع، 2007).ومنه فمفهوم العلامة عندهم كان يتمثل في تلك العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تربطها أو تعينّها في العالم الخارجي. ص 14

إلى جانب الرواقيين، تعتبر أبحاث الجزائري " القديس أوغسطين" ذات الأصول الفلسفية مساهمة من خلال محاولته تشكيل نظرية تأويلية يتم تطبيقها على النصوص المقدسة.، ويُعتبر أول من طرح السؤال" ماذا يعني أن نُفسر ونُؤول ؟" ، وتكمن مساهمته في في حقل السيميولوجيا في تأكيد إطار الاتصال والتواصل عند معالجته لموضوع العلامة. (الأحمر ، 2010) ص 24

ساهمت أنشطة المفكرين الألمان والانجليز في العصور الوسطى في إرساء معالم نظرية العلامات والإشارات، ومن أبرز مفكريها " جون لوك" في كتابه: " مقال حول الفهم البشري" وذلك في محاضرات في السيميولوجيا السنة الثالثة سنة 1969، وقد استعمل " لوك" في مقاله " Simiotica" ليقصد به العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل من خلالها معرفة نظام الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتها. (بنكراد ، 2007، ص 14)

أما عند العرب، فيمكن القول أن التفكير السيميائي نشأ في أحضان علوم مختلفة، كعلم النحو والبلاغة وعلم التفسير وعلم التصوف، فقد ربط العرب قديما بين هذه المعطيات وبين ما أسموه بعلم أسرار الحروف وقد تعددت في ذلك دراسات ابن خلدون وابن سينا والفرابي والغزالي... وعليه، لم يكن

التراث العربي عن مثل هذه المشاغل فقد أولى المفسرون عناية كبرى بكافة الأنساق الدلالية تصنيفا وكشفا عن قوانينها وقوانين الفكر، بما أن التراث العربي لا يتوفر على تسمية تفي بهذا الغرض، فقد تم اقتراح لفظ سيمياء للتعبير عن هذا العلم . (يوسف ، 2005)

وفي العصر الحديث، كانت الولادة الحقيقية لعلم السيمياء مع عالمين من أعلام الفكر الإنساني الحديث هما العالم اللغوي السويسري Ferdinand de Saussure "فرديناند دي سوسير" والفيلسوف الأمريكي Charles Sanders Peirce شارلز سندرس بيرس. وتولد عن أفكارهما وأعمالهما تطور كبير في علم السيميولوجيا، وتشعب مجالاته. فقد كانت التباشير لأولى لهذا العلم مع عالم اللسانيات " دي سوسير" الذي تنبأ في محاضراته التي جمعها طلبته بعد وفاته سنة 1916 بولادة علم جديد يُعنى بدراسة العلامات ، ويرى البعض أنه في الفترة التي تنبأ فيها "دي سوسير" بعلم السيميولوجيا كان في الضفة الأخرى "بيرس" منشغلا بإبراز معالم هذا العلم، مصطلحا عليه إسم السيميوطيقا، محددا موضوعه في دراسة جميع المعارف الإنسانية .

ثالثا: أنواع السيمياء

يمكن التمييز بين اتجاهيين سيميولوجيين متمايزين حسب أبحاث دوسوسير :

- سيميولوجيا التواصل

لا تقتصر أبحاث السيولوجيا على دراسة معاني العلامات أو الدلالات بصفة مطلقة أو عامة، بل تطورت لتشمل مجالات بحثية متخصصة في ميدان الإعلام والاتصال، نظرا لتطور هذا الأخير وتطور وسائله ورسائله وتطور الصورة سواء كانت سينيمائية، تلفزيونية أو فتوغرافية، فضلا عن العلاقات العامة والإشهار وصولا إلى الإعلام الجديد وتعلق الجماهير بما تثقدمه الوسائط الجديدة من محتويات، مما أدى إلى دراسة وتحليل لرسائل التي سمحت باستقطاب واحتواء عدد هائل من الجماهير. (بوعروري ، 2024)

تنطلق سيميولوجيا التواصل من منطلق أن الدليل أداة تواصلية، حيث يأخذ قيمته من خلال الأداء الذي يؤديه خلال العملية الاتصالية ، بمعنى أنها تدرس طرق التواصل التي تؤثر على الأشخاص، (شايب ، 2021) حيث اعتبر "إريك بويسنس" بالإضافة إلى " مونان ولويس بيريطو" وغيرهم ممن اعتبروا أن الدلائل والعلامات وسيلة تواصلية تقتصر على تحقيق التواصل القصدي أي أنها تؤدي وظيفة التبليغ ، ومنه تُبنى العلامات على أساس الدال والمدلول والقصد المرتبط بالتأثير على الغير. (سيفون ، 2016ص 9)

وميز أصحاب هذا الاتجاه أثناء تناولهم للعملية التواصلية بين أمرين هما: (شايب ، 2021)

الدلائل : وتمثلها الوحدات التي تتوفر على قصد التواصل

الأمارات أو الإشارات :indication و هي الوحدات التي لا تتوف على قصد التواصل

فالسيمياء انطلاقا من هذا التصور موضوعها الدليل القائم على القصدية التواصلية، فإن لم يقم عليها، فالحديث عندئذ يتعلق بالأمارات أو الإشارات، ولا مجال حينها للمنافسة السيميائية.

كما ذهب أصحاب هذا التوجه إلى تقسيم الأمارات الخارجة عن نطاق الممارسة السيميائية إلى ثلاثة أنواع :

الأمارات العفوية : وتمثلها الوقائع الحاملة للإشارة دون أن تكون هذه الوقائع قد أُنتجت لهذا الغرض

مثال لون السماء قد يشير إلى حالة البحر يوم الغد

الأمارات العفوية المغلوطة : ومثلها اللكنة التي توحي لنا بأن المتكلم أجنبي وغريب عن البلد من خلال طريقة كلامه.

الأمارات القصدية : مثل إشارات المرور.

إذن موضوع السيميولوجيا في هذا الاتجاه هو تلك العلامات القائمة على القصدية التواصلية لذا سُميت بسيميولوجيا التواصل، و هي حلقة عامة في تطور السيميائيات الحديثة نظرا لأهمية موضوعها ومجالها.

وبالنظر إلى أهمية الاتصال في الحياة الاجتماعية، نشأ هذا الاتجاه الذي يُعنى أساسا بالوظائف البنائية اللغوية الاتصالية، إذ يقول ماتز" إن سيميولوجيا التواصل تقترح مبدئيا دراسة اللغات، العلامات والدلالات..."(Metz, 2000) . في إشارة منه أن الفعل التواصلي يتحقق عن طريق وجود ما يحدد حدوث التواصل، وهذا ما أشار إليه " بريطو"، إلى أن استعمال العلامات من يحدد التواصل، أي حدوث فعل تواصلي بين مرسل ومرسل إليه عن طريق " إمارة" أو إشارات محددة قائمة على قصدية التواصل (بلخيري و جابري ، 2017)، لهذا سُميت هذه الأخيرة سيميولوجيا التواصل، التي تهدف عبر علاماتها أماراتها وإشاراتها إلى الإبلاغ والتأثير.

- سيميولوجيا الدلالة

انطلاقا من كون العلامات تحمل دلالات مختلفة، جاء أصحاب سيميولوجيا الدلالة لتشكيل اتجاههم كرد فعل على سيميولوجيا التواصل (شايب ، 2021).

ويُعتبر الفرنسي "رولان بارت" من أهم المركزين على الدلالات في السيميولوجيا والمساهمين في تحديد موضوع البحث السيميولوجي في ميدان علوم الإعلام والاتصال، فارتكزت أبحاثه على عمليات إنتاج الدلالات في مختلف السياقات (أدبية، إشهارية، دعائية، صحفية...)، فالتحليل السيميولوجي حسب بارت الوسيلة المثالية لتحليل مضمون العلامات والتعرف عليها خاصة الصور منها، للوصول إلى الدلالة المضمرة أو المعنى العميق للصورة . (Barhtes, 1978)

ولما كانت الأشياء تحمل دلالات وكانت للدلالة أهمية في الواقع، نشا في مجال السيميائيات تيار يبحث في هذه المسألة ويعزى للفرنسي " بارث" الذي أوضح أن جانبا هاما من البحث السيميولوجي المعاصر مرده _دون انقطاع_ إلى مسألة الدلالة (أمعضشو فريد ، 2004). حيث نجد جان " كلود" يؤكد في كتابه " المنهج السيميولوجي" أنه بإمكانه إنتاج الدلالة وتحقيق التواصل عن طريق أنساق سيميولوجية لغوية وغير لغوية ، وهي حسب " بارت" مؤول الأنساق بمختلف أنواعها.(Domenjoz, 1998)

استعمل " بارت" العلامة بدل الدال والمدلول التي استعملها دوسوسير، وقسم مصطلحات الدلالة في مقاله " عناصر السيميولوجيا" إلى دلالة حقيقية، مجازية وإيحائية بالإضافة إلى مصطلح التعبير والمحتوى. محاولا إسقاط المقاربة اللسانية على ظواهر سيميولوجية متنوعة كالموضة، الصورة، الإشهار النصوص الأدبية، التراث، المسرح ...

ج- سيميولوجيا الثقافة

نعني بسيميوطيقا الثقافة أو الثقافات دراسة الأنظمة الثقافية باعتبارها دوالا وعلامات وأيقونات وإشارت رمزية لغوية وبصرية، بغية استكناه المعنى الثقافي الحقيقي داخل المجتمعي، ورصد الدلالات الرمزية والأنتروبولوجية، الفلسفية والأخلاقية. ولا تقتصر هذه السيميوطيقا على ثقافة واحدة أو خاصة، بل تتعدى ذلك إلى ثقافات كونية تتسم بطابع عام، قوامها: الانفتاح والتعايش، التواصل والتكامل، التعددية والتهجين، الاختلاف والتنوع ، التسامح والتعاون، المثاقفة وتداخل النصوص (التناص)، تعدد اللغات والثقافات...

ومن جهة أخرى، تهتم سيميو طيقا الثقافة بخصوصيات كل ثقافة مستقلة داخل نظام سيميائي كوني. وتعنى أيضا بالعوالم والأقطاب الثقافية الصغرى والكبرى ضمن ثنائية المركز والهامش، والاهتمام بالحوار في علاقته بالصراع الثقافي. ومن ثم، تقدم لنا سيميوطيقا الثقافة المبادئ النظرية والأدوات المنهجية لمقاربة الظواهر والأنظمة الثقافية، بغية البحث عن مبدأ الكفاءة، والبعد التواصلي، الخاصية الإبداعية. علاوة على دراسة مبدأ التبادل في الأوساط الثقافية، مثل: تبادل المعارف الأكاديمية والمهارات الاحترافية والممارسات المهنية... (حمداوي ، 2017)

وهناك قضايا مهمة شتى يمكن أن تشتغل عليها سيميوطيقا الثقافة، مثل :الإبداع، الآداب، اللغة والفن . (حمداوي ، 2017)

راج هذا الاتجاه في روسيا على يد "لومتان" ، ايفانوف إيما في ايطاليا، امبرتو ايكو ، روسي لاندي وغيرهم. ويرى هؤلاء أن العملية الإدراكية عند الإنسان تسير وفق ما تُمليه الثقافة بواسطة أنساقها الدالة والتي تعمل على تأطير ممارسات الإنسان داخل المنظومة الاجتماعية . ويعتمد أصحاب هذا التوجه تقييما ثلاثيا للعلامة وهو الدال + المدلول + المرجع، وبالتالي، فالثقافة حسب هذا الاتجاه عبارة عن إسناد وظيفة للأشياء الطبيعية وتسميتها، وهذا الاتجاه العام يقر بأن العلامة لا تُكتسب دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة (عواد ، 1980)

رابعا: السيمياء في المجال الإعلامي

لا تزال البحوث السيميائية في حقل علوم الإعلام والاتصال عموما محتشمة في ظل هيمنة المنظور الوضعي السلوكي في جل بحوثها والذي استغرق وقتا طويلا في مساءلة تأثير وسائل الإعلام على المتلقي . وطغيان البحوث الميدانية والكمية في معظم الإشكاليات الإعلامية المطروحة بالإضافة إلى الاهتمام بتحليل المحتويات الإعلامية بالتركيز على التكميم دون الاكتراث للمعاني الخفية التي تحملها الرسالة والاكتفاء فقط بالنظر في ظاهر المنتج الإعلامي، ورغم أن السيميولوجيا قدمت رؤية جديدة لفهم المنتجات الإعلامية والثقافية والفنية، إلا أن البحوث العلمية في مجال علوم الإعلام والاتصال في المنطقة العربية لم تنفتح كثيرا على الدرس السيميائي. ففي هذا الإطار تبين متابعة ما كُتب عن السيميائيات وتطبيقها في المجلات التي اهتمت بها، مثل الفكر المعاصر (الكويت)، وفصول (مصر) وعلامات (المغرب) وعلامات في النقد (السعودية) أو شبكة الانترنيت، فإن قسما كبيرا منها عبارة عن ترجمة لكتابات

المختصين من لغات أجنبية: الفرنسية، الانجليزية والإسبانية والبقية هي نتاج نقاد الأدب وأساتذة الأدب أما مساهمة أساتذة علوم الإعلام والاتصال، فهي متواضعة. (العياضي ، 2010)

وقد أبدت السيمياء اهتماما بعلوم الإعلام والاتصال، وبمضامين وسائل الإعلام تحديدا لاستكشاف المعاني والقيم،وعلاقات القوة ضمن النص الإعلامي سواء كان ورقيا، سمعيا أو سمعيا بصريا. وشكلت تيارات مختلفة تنوعت حسب مواضيع الدراسة، أبرزها السرد الصحفي، الشريط المرسوم، الكاريكاتير المسرح،الإعلان، السينما، الفنون التشكيلية،اصورة، التلفزيون، المرئيات واللباس، الوسائط الجديدة والثقافة (العياضي ، 2010)

وهذا ما أدى إلى ظهور عدة توجهات ومدارس لتحليل المحتوى اللفظي وغير اللفظي انطلاقا من المقاربة السيميائية لتوسيع الفهم حول المواد المصنعة في وسائل الإعلام منها مدارس تحليل الخطاب الإعلامي، ومن أبرز باحثيها "هملسيف"، والتحليل السيميولوجي للمضمون الإعلامي بداية من أعمال "بارت" منذ ستينات القرن الماضي حول خطاب الصورة الإشهارية، الصورة الفتوغرافية والسينيمائية، وكان انتشار التلفزيون حافزا لتقدم هذا النوع من البحوث خصوصال التحليل السيميولوجي للصورة المتحركة وكذا التقارير الإخبارية المصورة. (عكوباش ، 2014)

فقد وظف " كريستيان ميتز" السيمياء في دراسته للأشرطة والأفلام السينمائية باعتبارها علامات سمعية وبصرية عالجها حسب ثلاثة مستويات معالجة سيميولوجية متمثلة في مستوى التقاط الصورة المشاهد السينيمائية ، مستوى التركيب لتُتوج بحاثه ودراساته بكتاب "Essais sémiotique " متحدث فيه عن " سميولوجيا السينما" (صفاح و عباسة ، 2021)

وبعد أبحاث " ميتز" بدأت الأعمال سيميولوجية بالتطور، أين تم تطبيقها في مجال دراسة اللافتات والصور الإشهارية، نظرا لتطور الإشهار وإمكانية دراسته بتطبيق المقاربة السيميولوجية. فيرى توسان " أنه وسيلة للتعبير الأيقوني والسمعي البصري في عصرنا هذا. (كمال ، 2001)

لم تلبث الدراسات السيميائية في مجال الإعلام أن اتسعت لتشمل كافة الأشكال الاتصالية الأخرى متجاوزة بذلك الرسائل الإشهارية والصور فقط كدراسة القصة المصورة سيميولوجيا لـ "دوريل" خصوص الفتوغرافية منها، ثم برز لبحث السيميائي في قراءة اللوحات التشكيلية مع "لويس شيفر ومارتان" في كيفية قراءة الأشكال والألوان لأهميتها الإبستيمولوجية باعتباره علامات تسمح بمعرفة محتوى الموضوعات والمعاني الخفية لها، كما تم استعماله من طرف "هيلبو" (توسان ، 1994) ص 82 في

دراسة سيميولوجيا المسرح الذي ينصب على تحليل النص والتنظيم الشكلي له ... (السلاوي ، 1983) وغيرها من الأشكال الاتصالية التي تتمتع بقابلية تطبيق البحث السيميولوجي عليها، وببروز الميديا بتطبيقاتها وممارساتها كنتيجة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، أصبحت بحوثها تستخدم المقاربة السيميائية، فظهرت سيمياء مواقع التواصل الاجتماعي وسيمياء الصور الرقمية والإشهارات الرقمية و سيمياء الدردشة وغيرها من الأشكال

وبالحديث عن الصورة الرقمية، على اختلاف أشكالها، نجد أنها أصبحت أحد الاهتمامات البحثية في السيمياء، التي تعتبرها كل تصوير تمثيلي مرتبط مباشرة بالمرجع أو السياق الممثل بعلاقة التشابه المظهري، أو بمعنى أوسع، كل تقليد تحاكيه الرؤية في بعدين (الرسم والصورة) أو ثلاث أبعاد (النقش، فن ، تماثيل) وتُعتبر الصورة في السيمياء البصرية وحدة نظامية مستقلة قابلة للخضوع والتحليل .

إن أهم ما في الصورة هو مسألة القرءة السيميولوجية باعتبارها إعادة إنتاج المعنى لذات الصورة أو الفعل أو الأثر الناتج عنه وذلك عن طرق ثُنائية التفكيك والتركيب ،أي تفكيك الصورة بداية من وصفها وتفكيك النص والأشكال والألوان... فهي تدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، إذ تقوم بالتركيز على الفاعل الذي يبحث المعنى (المستخدم) في هذا العالم الافتراضي ذو الحس السيميائي. (بصافة ، 2018)

أما النصوص الرقمية فقد أصبحت، فهي أحد مصادر الإلهام السيميائي خصوصا في ظل التحولات التي شهدتها المضامين الرقمية التي أصبح المستخدم يُنتجها ويستهلكها في آن معا. مما جعل هذا الإنتاج المتداول في النصوص الرقمية مصدرا مهما في تشكيل بعض الخبرات والمعارف التي بحوزتنا الآن محاولين فهم وتحليل الأنساق اللسانية السيميولوجية والدلالية التي تحملها.

هوامش الفصل

1. Barhtes, R. (1978). Leçon. Paris: Edition le Seuil.
2. Domenjoz, J. (1998). L'approche sémiologique. Retrieved 02 10, 2026, from SCRIBD : https://fr.scribd.com/document/917602585/l-Approche-Semiologique
3. Khatibi , A. (2008). Le scribe et son ombre. Paris: Edition la Différence.
4. Metz, C. (2000). Essais sémiotiques (1 ed.). Klincksieck.

5. Saussure , F. (1979). Cours de Linguistique Générale. Payothèque.

6. الأحمر ,ف .(2010) .معجم السيميائيات ط. .1لبنان ، الجزائر :الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف.

7. التوهامي العماري ,م .(2007) .حقول سيميائية السيميائيات الاجتماعية ، سيميائيات المسرح سيميائيات التلقي .منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والأدب. ص 48 .

8. السلاوي ,م .(1983) .الاحتفالية في المسرح الغربي الحديث .العراق :دائرة الشؤون الثقافية للنشر.

9. العياضي ,ن .(أكتوبر 2010) الاتصال والسيميائيات استراتجية بناء المعنى .مجلة الاتصال والتنمية.23

10. أمعضشو فريد (ماي2004) .المنهج السيميائي .مجلة ضفاف ,ص ص .86-63

11. بصافة ,أ .(2018) .آليات قراءة الصورة الإشهارية في مواقع شبكات التواصل الاجتماعي .مجلة الخطاب والتواصل ,(2)1 ,ص ص.34-10 .

12. بلخيري ,ر ,جابري ,س .(جوان 2017) إشكالات تطبيق منهج التحليل السيميولوجي دراسة تطبيقية في الأبعاد السوسيوثقافية لصورة المرأة في الإعلانات التلفزيونية .مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية (2)10، ص ص 502-485

13. بن مالك ,ر .(2002) .السيميائية أصولها وقواعدها) .ع .مناصرة .21 (.Ed ,

14. بنكراد ,س .(2003) .السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها .الدار البيضاء :منشورات الزمن سلسلة شرفات.

15. بنكراد ,س(مارس 2007) .السيميائيات النشأة والموضوع .مجلة عالم الفكر (3)35. ص 13

16. بوعروري ,ه .(2024) .التحليل السيميولوجي في بحوث الميديا الجديدة .مجلة ,Imago,(2)23 ص ص.599-582

17. توسان ,ب .(1994) .ما هي السيميولوجيا . تر: م .نظيف ,الدار البيضاء :دار افريقيا الشرق.

18. جيرو ,ب .(1996) .علم الإشارة السيميولوجيا ط 1م . تر: العياشي ,طلاس للدراسات والترجمة والتوزيع.

19. حمداوي ,ج .(2017) .سميوطيقا الثقافة يوري لوتمان نموذجا . مجلة تمثلات. (1)2 ص ص 59-82

20. حوشي ,ع .(2009) .نظام التواصل السميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم .سطيف :جامعة فرحات عباس.

21. سيفون ,ب .(2016) .محاضرات في السيميولوجيا .الجزائر :جامعة المسيلة.

22. شايب ,ن .(2021) .الاتجاهات البحثية للتحليل السيميولوجي الخاصة ببحوث الاتصال الرقمي قراءة في الأطر المعرفية والرهانات الإبستيمولوجية .مجلة معالم للدراسات الإعلامية والاتصالية . (1)3. ص ص 141-161

23. صفاح ,أ .,عباسة ,ف (15جويلية 2021) علوم الإعلام والاتصال ما بين السيميولوجيا العامة وسيميولوجيا الاتصال .المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات .3 .(4) ص ص 119- 127

24. عبد الله الثاني ,ق .(2005) .سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات الإشهارية في العالم .وهران :دار الغرب للنشر والتوزيع.

25. عكوباش ,ه .(01جانفي 2014) .المقاربة الإعلامية للرسالة الإعلامية واستكشاف القيمة .مجلة العلوم الاجتماعية ,(1)8 ,ص ص37 -50 .

26. عواد ,ع .(1980) .معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية ط. 1المغرب :المركز الثقافي العربي.

27. كمال ,ع .(جوان2001) سيميولوجيا الصورة الفتوغرافية بارت أنموذجا .تاريخ المراجعة 11 فيفري 2026 -https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-81647
%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%
A7-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D8%AA%D9%88%D8%BA%D8%B1%D8%

A7%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%AB-
%D9%86%D9%85%D9%88

28. مرتاض ,ع .(2005) .دراسة سيميائية ودلالية في التراث .منشورات تالة.

29. وغيلسي ,ي .(2008) .إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد .ط 1 .الجزائر : منشورات الاختلاف.

30. يوسف ,أ .(2005) .الدلالات المفتوحة؛ مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة .ط .1الجزائر : منشورات الاختلاف.

الفصل السادس مقاربات التحليل السيميائي

تمهيد

تعتبر السيميائيات إحدى التوجهات البحثية التي ظهرت وتطورت مواكبة تيار ما بعد الحداثة، حيث أسهم في تطويرها باحثون كثر، ابتكروا مقاربات تتقاطع في مجملها في تحليل الظواهر اللغوية، الدلالية الاجتماعية،التواصلية والإعلامية... وبدأت بذلك تخطو نحو التطور في مسارات معينة لتنتقل إلى عمق المعنى وتبحث في ماهيته من حيث كونه عملا ناتجا عن اتحاد عنصري للدال والمدلول بعدما كان اهتمامها متمثلا في البحث عن تطورها وتغييرها...

وكان هذا ثمرة جهود ثلة كبيرة من الباحثين والمفكرين والنقاد، فإذا ورد ذكل السيمياء كعلم ينبغي ذكر سوسير وشارل بيرس، وإذا ورد الحديث عن المنهجية النقدية والاستراتيجية المطورة في قراءة الخطابات الإبداعية أو قراءة النص بوصفه ممارسة دالة يتعين ذكر " رولان بارت" و " جوليا" و" جاك لاكان"، وإذا ما طُلبت في الفلسلفة، يرد إسم " كاسيرر" في رمزية الأشكال، فإذا ما ورد الحديث عن مفهومها وجدتها فثمة سيميولوجيا " سوسير" بخلفياتها اللسانية وسيميوطيقا " بيرس" بمرجعيتها المنطقية.

ورغم تعدد المختصين في مجال التحليل السيميولجي الذي ذهبوا رؤى ومشارب في الدراسات السيميولجية لظواهر مختلفة دلالية، تواصلية وثقافية، إلا أنها لا تخرج عن كونها تراكمات معرفية تتفق في مجملها على تطوير السيمياء ومناهجها ومقارباتها، وقد تم التركيز على أكثر المساهمين في هذا المجال وهم " فرديناند دي سوسير"، "شارل سندرس بيرس"، و "ورلان بارت" بما يخدم المجال الإعلامي.

أولا: المقاربة اللسانية (فرديناند دي سوسير)

يعّد **Ferdinand de Saussure** دي سوسير من الأقطاب المؤسسين لعلم السيمياء، "ففي مجموعته التي طبعها نقلا عن طلابه باسم "محاضرات في اللسانيات العامة"، كان غرضها معروفا هو البحث في علم اللسانيات على أسس بنيوية ولم يكن الهدف مباشرة إلى إقامة علم السيمياء. (فاخوري ، 1990)

وفي ذلك يقول من خلال محاضراته:"إّن اللغة نسق من العلامات يعبر عن أفكار، ومنه فهي مشابهة للكتابة، وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية وأشكال المجاملة، والإشارات العسكرية... إلخ، إنها وفقط الأهم بين كل الأنساق ... (وغيلسي، 2009)" واعتبر من هذا المنطلق أيضا أّن موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجلها (مومن ، 2005).

كما نلحظ أّن هذا العلم ارتبط بعلم النفس والاجتماع سّماه دي سوسير السيميولوجيا، وفي نظره أّن "عالم النفس هو الذي عليه أن يحدد بوضوح مكانة السيميولوجيا ما دامت ترتبط بعلم النفس العام وأما اللساني، فدوره يكمن في بيان وتحديد الشيء الذي يجعل اللغة نظاما خاصا في مجموعة الوقائع السيميولوجية (فاخوري ، 1990، ص 29) " ومن ثم فإّن مهمة اللساني لا تنهض وحدها إلا بالتكامل مع عالم النفس.

ولم تكتف اللغة بارتباطها بعلم النفس، بل تجاوزته إلى علم الاجتماع باعتبار اللغة منظومة اجتماعية لا تتأتى إلا بملكة اللسان، حيث عّبرت السيميولوجيا عند دي سوسير عن الوقائع الإنسانية وعلاقتها باللغة، باعتبارها جزءا من اللسان لها أهميتها ودورها "وإن كانت اللغة في الوقت نفسه ما هي إلا نتاج اجتماعي لملكة اللسان المتميز بالتعّدد والاختلاط، والذي ينتمي إلى المجالين: الفردي الاجتماعي والذي يصعب تصنيفه في أية فئة من الوقائع البشرية، وما هذا إلا لقصورنا وعجزنا عن معرفة اكتشاف وحدته على عكس اللغة التي تعّد كلا في حد ذاتها مما جعلها قابلة للتصنيف (جيرو ، 1996، ص 14)

هذه المفاهيم وأخرى كانت مرتكزات أساسية لوضع علم اللسان، وكما اشتمل أيضا على العلامة ومفهومها عند دي سوسير "والتي جرى تطبيقها من طرف أتباعه لكون النسق الأكثر تعقيدا وشيوعا على مجالات أخرى من العلامات، وعلم العلامات واعتباطية الدال والمدلول من أكثر المواضيع التي تحَّمس لها دي سوسير وأعطاها الأولوية في أبحاثه.

تتكشف أفكارالسيميولوجيا التي أتى بها دي سوسير كانت تدور في إطاراللسانيات وتحليلها البشرية إلا أنها لفتت انتباه السيميولوجيين في الوقت نفسه، حيث نظر"دي سوسير" إلى السيميولوجيا بمنظار لساني وليس بمنظار فلسفي، فقد كانت تفسيرات "دي سوسير" وأفكاره السيميولوجية محدودة كونه تطّرق إليها أثناء حديثه عن الإشارة اللغوية فقط، فاللغة – لاعتقاده- هي نظام إشاري من أنظمة إشارية تدخل كلها ضمن إطارالسيميولوجيا (جيرو ، 1996، ص ص 12-13)

وفي هذه الفترة كان دي سوسير يعمل على قيام اللسانيات العامة وموضوع اللسانيات بخاصة كإسهام

في السيميولوجيا وأنظمة الدلائل .

عُرف دي سوسير بالثنائيات التي أتى بها من خلال المرجعية المعرفية اللسانية التي تبناها :

-التاريخي/ الآني Diachronique/ Synchronique

-اللغة / الكلام Langue/ Parole

-الخط الاستبدالي/ الخط الركني .

وشكلت هذه الثنائيات المحور الذي اتخذه دي سوسير في شكل تفرعات ثنائية اشتهر بها في أبحاثه العلمية، وعرفت بدقتها ووضوحها عّززت توسعها في ساحة الأبحاث السيميائية الغربية. (لطروش ، 2019)

الدليل اللساني عند دي سوسير :

تعريف العلامة :

جرت العادة على الاستعمال الشائع لكلمة "Signe" علامة بمعنى الدال، وفي خلاف ذلك عن المفهوم الشائع يعّرف دي سوسير العلامة "Signe" بأنها المركب بين الدال والمدلول بحيث أنه يستحيل تصور العلاقة دون تحقيق الطرفين، بل إن كل تغّير يعتري الدال يعتري المدلول والعكس بالعكس (جيرو ، 1996)

في مرحلة مبكرة، أكد دي سوسير أن الدليل اللساني هو ارتباط الصورة الصوتية "Image acoustique" والمفهوم الذهني، وبالتالي عكس ما يتبادر إلى الخاطر، فالدال اللغوي أي الصورة الصوتية (جيرو ، 1996) هو على غرار المدلول أي المفهوم الذهني ذو طبيعة مجردة :"...يوضح المخطط التالي :

(حسن عبد العزيز ، 1983)

ومن هنا، فإن الصورة السمعية ذلك الأثر النفسي للصوت أو التمّثل المرتبط بحواسنا، يندرج تحت هذا التمييز الذي يضعه دي سوسير بين مستويين "النفسيPsychique ، والمادي Matériel

فعلى المستوى النفسي يكون حصول الصورة السمعية والمفهوم، أما على المستوى المادي، فيوجد الصوت المادي والشيء الخارجي Chose أي ما يُعرف حاليا باسم المرجع والمرجوع إليه Référent

أكثر التفاصيل،توّضح في هذا المخطط :(فاخوري ، 1990، ص 30-31)

المستوى النفسي: الصورة السمعية ــ المفهوم .

المستوى المادي: الصوت المادي ــ الشيء (الخارجي)

كما عبر أيضا دي سوسير عن وجهة نظره أنه " لا علاقة مباشرة للغة بأشياء، فالمدلول هو صورة ذهنية تنتمي إلى العلامة اللغوية وليس إلى الشيء الواقعي الموجود خارج اللغة. كما أعطى توضيحا لمفهومي الدال والمدلول حسب المفهوم الدوسوسيري فإن "المدلول هو المفهوم أوالفكرة، مستوى رسالة قابلة للنقل، أما الدال فهو الجوهر المادي المسند إليه حمل هذه الفكرة على سبيل المثال يسند حمل الفكرة للجوهر الصوتي أي المنظومة الصوتية بالنسبة للدليل اللساني.

فالعلاقة التي تجمع الدال بالمدلول اعتباطية من خلال ذلك يجب فهم الاعتباطية على أنها عدم وجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، على عكس ما يمكن أن يحصل في حدو معينة في الكلمات المحاكية صوتيا لدلالتها أي ليست هناك علاقة مبررة (مرسلي و وآخرون ، 1995)

ومثال على ذلك، أن العلاقة بين الدال والمدلول غير قائمة على تعليل وتبرير أن المتصور الذهني لا تربطه أية علاقة داخلية بتتابع الأصوات التالية: الهمزة والضمة والثاء والتاء والتنوين الذي يُقدم له دالا ، (دي سوسير ، 1985) إذ لا وجود لرابط منطقي بينهما

مثال : لا وجود لرابط منطقي بين تسمية الطاولة (دال) وتصورها كمجسم خشبي (مدلول) إلا اصطلاح تم الاتفاق عليه. وهذا ما يُعرف بالاعتباطية عند " سوسير"

ومن ناحية أخرى،يُقر "دي سوسير" أن صفة الاعتباطية ليست معناها أن الدليل اللساني ينم عن اختيار المتكلم، إذ لا يستطيع أن يُؤسس تغييرا بدليل انبثق عن اتفاق مجموعة لغوية ما، فهي ليست راجعة لاختيار حر يقوم به متكلم اللغة، إنما تعني بالاعتباطية أن الدال غير معلل أي اعتباطي بالنسبة للمدلول الذي لا تربطه به أية علاقة في الواقع.

-نموذج عن تحليل سيميائي لـ " دي سوسير"

- النص الإعلامي :

تشهد المدينة خلال الأيام الأخيرة ارتفاعا متواصلا في أسعار المواد الأساسية ، ما انعكس بشكل مباشر على القدرة الشرائية للأسر ذات الدخل المحدود ، وقد عبر عدد من المواطنين عن قلقهم من استمرار هذا الوضع في ظل غياب حلول ملموسة، بينما أكدت الجهات المعنية أنها تعمل على اتخاذ إجراءات من شأنها التخفيف من حدة الأزمة خلال الفترة المقبلة.

- تحليل العلامات اللغوية

أ/ الحقل المعجمي الاقتصادي

الدال المدلول

ارتفاع متواصل ← زيادة مستمرة في الأسعار

أسعار المواد الأساسية ← تكاليف المعيشة اليومية

القدرة الشرائية ← إمكانية الاستهلاك والدخل

الأزمة ← اختلال اقتصادي عام

يساهم هذا الحقل في بناء صورة ذهنية عن ضغط اقتصادي مستمر

ب/ الحقل المعجمي الاجتماعي

الدال المدلول

الأسر ذات الدخل المحدود ←فئة اجتماعية هشة

قلقهم ←حالة خوف وعدم اطمئنان

المواطنين ←المجتمع المتأثر بالأزمة

يحول النص الظاهرة الاقتصادية إلى قضية اجتماعية إنسانية.

ج- الحقل المعجمي السياسي – المؤسساتي

الدال المدلول

غياب حلول ملموسة ← تقصير أو تأخر رسمي

السلطة/ المؤسسات ← الجهات المعنية

وعود أو تدخلات مستقبلية ← إجراءات

يُشير ضمنيا إلى مسؤولية السلطة دون تصريح مباشر

- العلاقات الدلالية ضمن النسق

ينتمي النص إلى اللسان الإعلامي الإخباري

يُعد تجليا للكلام داخل نسق لغوي مشترك

الدوال المختارة مألوفة في الخطاب الصحفي ، ما يمنح النص مصداقية ظاهرية

- الاعتباطية وبناء المعنى

لا توجد علاقة طبيعية بين

ارتفاع ⟷ الأزمة

قلق ⟷ الوضع الاقتصادي

المعنى ناتج عن التوافق الاجتماعي على دلالة هذه الألفاظ في السياق الإعلامي

- المستوى الإيحائي للنص

رغم الطابع الإخباري يحمل النص إيحاءات

متواصلا ← استمرارية الأزمة

غياب حلول ملموسة ← نقد ضمني

خلال الفترة المقبلة ←تأجيل وطمأنة شكلية

يتأرجح الخطاب بين التحذير والتهدئة

- الوظيفة السيميائية للنص

وظيفة إخبارية : نقل واقع اقتصادي

وظيفة إيحائية : إثارة القلق
وظيفة تنظيمية: ضبط ردة فعل الجمهور عبر وعد الحلول.

ثانيا: المقاربة الفلسفية/الثلاثية (شارل سندرس بيرس)

يعتبر " بيرس" السيميولوجيا علم الإشارات الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية ، حيث يؤكد هذا بقوله" ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في هذا الكون كالرياضيات والأخلاق والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصريات ، الكيمياء وعلم التشريح المقارن وعلم الفلك ، علم النفس وعلم الصوتيات وعلم الاقتصاد، وتاريخ العلم والكلام والسكوت، الرجال والنساء والنبيذ وعلم القياس والموازين، إلا على أنه نظام سيميولوجي " (جيرو ، 1996 ، ص 10)

وبقوله هذا، يكون "بيرس" قد عرض نظريته مما جعله من أهم مؤسسي الطرح السيميولوجي، وإن لم يتمكن من صياغته المبادىء العامة لها في بحث موحد نظرا للتنوع والعمق في التناول، شأنه شأن "دي سوسير" في ذلك، فقد فشلا في في تقديم عمل منفرد منسجم ومتماسك، غير أن التعريف الذي يقدمه " بيرس" للعلامة يختلف عما قدمه " دي سوسير"، فمخططه للعلامة ثلاثي، كما ربط الموضوع بالتأويل (الرويلي و البازغي، 2000 ،ص 108) ، ويتمثل في:

علامة أو إشارة بوصفها ممثلا ينوب أو يحل محل الشيء

الموضوع أو المادة المشار إليها

المحلل

"والمفهوم الأول هو ما عُني به الماثول والمستحضر بأنها الشيء الذي يقوم لشخص ما مقام شيء آخر من حيثية ما، وبالتالي كما يشرح المؤلف، فالعلامة من جهة تتوجه لشخص ما تولد في ذهنه علامة أو صورة مساوية للعلامة الأخرى"، حيث يرتسم في ذهن القارئ ما يمثله التعبير "Interprétant" الذي تربطه صلة بموضوعه " Objet" ليس من كل الحيثيات إنما بالنسبة إلى فكرة أو معنى يسميه بيرس أساس الماثول أو أساس المستحضر.The ground of the representamen (فاخوري ، 1990، ص 90)

من خلال هذا التثليث للعلامة عبر هذه المستويات (الإشارة، الموضوع، المعنى أو المحلل) تُدرس التجارب الإنسانية على حسب اعتقاد "بيرس"، وهذا فإن المدلول هو معنى الإشارة ، يمثل العلاقة أفقية بين إشارة وأخرى وهذا ما يجعل المدلول إشارة تحتاج بنفسها إلى ملول آخر، إن هذه العملية التحويلة بين

الإشارة ومدلولها تتجلى بالعلاقت القائمة بين الكيمة المعجمية ومترادفاتها، ولذلك لأن أي إشارة يمكن ترجمتها إلى إشارة أخرى أكثر تطورا وشمولية. (جيرو ، 1996، ص 12)

يُميز "بيرس " بين ثلاثة أنواع من العلامة : الأيقونة، المؤشر والرمز.

فالأيقونة حسبه، هي أي شيء يؤدي وظيفته كعلامة، انطلاقا من سمات ذاتية تُشبه المرجع أو المشار إليه، وبهذا تقوم الأيقونة على المشابهة بين العلامة ومدلولها أو مرجعها، (الرويلي والبازغي ،2000 ، ص 109)

مثال 1: صورة الشخص في بطاقة الهوية

مثال 2: خريطة مدينة

مثال 3: رموز تعبيرية عن الحزن "إيموجي"

فالعلاقة هنا تشابه، وفي هذا السياق، ارتبطت الأيقونة بتقسيمها إلى ثلاث عناصر مهمة تمثلت في: الصورة، وهي تشارك المدلول بالصفات البسيطة (مثال1)، والتمثيل البياني (مثال 2) وأخيرا الاستعارة (مرتاض، 2005، ص18) (مثال 3)

أما المؤشر، فقد اعتبره " بيرس" علامة حُددت بموضوعها الحركي، بموجب علاقتها الحقيقية التي تتراسل معه، لكن هذا التراسل ليس له أي قصد تبليغي، يرتبط بالموضوع لعلاقة سببية أو وجودية

مثال 1 السماء الراعدة ليس لها أي نية في التواصل مع عالم الإصاد الجوية رغم ذلك فهي مؤشر لنزول المطر أو وجود عاصفة، وهذا ما يفسر العلاقة السببية أو الوجودية التي تربط الرعد كمؤشر بنزول المطر كموضوع. (مرتاض، 2005، ص17)

مثال2: آثار الأقدام على الرمال مؤشر على مرور شخص

مثال 3: صوت صفارة الإنذار مؤشر يدل على حالة الطوارئ.

وأما الرمز فهو حسب بيرس يؤسس على الاتفاق الجمعي البسيط (وغيلسي، 2009، ص244)، وبهذا يتفق مع " دي سوسير" في فكرة الاعتباطية، ويقوم الرمز من خلال التفسير الذي يُقدمه " رومان جاكبسون" شرحا لنظرية الفيلسوف الأمريكي على أساس المجاورة المتعارف عليها بينه وبين المدلول

والمكتسبة بالتعلم، لذلك لا يحص الرمز إلا بقاعدة تُحدد علاقة المجاورة، وهو لا يستلزم أدنى شبه أو اتصال خارجي مع المدلول. من هذا القبيل العلامات اللغوية (فاخوري ، 1990 ، ص 27)

مثال1 كلمة شجرة

مثال2 شعار شركة Nike√

فالعلاقة بين الأمثلة السابقة هي اتفاق جماعي

-نموذج تطبيقي سيميائي وفق مقاربة "بيرس"

تحليل صورة إعلامية إنسانية

شكل رقم 2 يوضح صورة صحفية، المصدر (Pintrest)

- تقديم العينة:

نوع المادة: صورة صحفية

المجال: الإعلام الإنساني

السياق : تغطية إعلامية لأزمة إنسانية (حرب/ لجوء)

وسيلة النشر : موقع إخباري / منصات التواصل الاجتماعي

الجمهور المستهدف: الرأي العام الدولي

- القراءة الوصفية للصورة (المستوى التقريري)

تُظهر الصورة طفلان صغيران يتفحصان كتابا وسط خراب وخيام منصوبة على الأوحال، تبدو على وجهيهما علامات الحيرة والحزن والخوف، بينما بغلب اللون البني والرمادي الباهت على المشهد الذي يُظهر من خلال الخلفية أطفالا آخرين ، مع غياب واضح لأي ملامح للحياة الطبيعية، لا تحتوي الصورة على أي نص مرافق أو تعليق.

- التحليل السيميائي وفق النموذج الثلاثي لبيرس

أ- الممثل Representamen وهي الصورة الفتوغرافية بوصفها علامة بصرية عناصرها: الأطفال، الحقيبة، الدمار، الخيم، الكتب، الأوحال، الألوان القاتمة والممثل هنا بصري أيقوني يعتمد على المشاهدة المباشرة.

ب- الموضوع Objet، تشير العلامة إلى الواقع الإنساني للحرب،تأثير النزاعات على الطفولة، انقطاع التعليم والحياة الآمنة. الموضوع لا علاقة له بالطفل فحسب، بل يعبر عن وضع اجتماعي إنساني أوسع.

ج- المفسر Interpretant المعنى المتكون في ذهن المتلقي:

شعور بالتعاطف والحزن

إدراك فداحة الحرب على الفئات الهشة

إحساس بالمسؤولية الأخلاقية اتجاه الضحايا.

المفسر هنا وجداني وأخلاقي بالدرجة الأولى

- تصنيف العلامات حسب بيرس

أ- الأيقونة

صورة الطفل : تشابه مباشر مع الواقع

الخيم والدمار: تمثيل بصري للحرب واللجوء

العلاقة تشابه

ب- المؤشر

الدمار: مؤشر على وقوع قصف سابق

الكتاب وسط الوحل والخيم : مؤشر على انقطاع الدراسة

ملامح الوجه مؤشر نفسي على الصدمة والخوف

العلاقة : سبب/ أثر

ج- الرمز

الطفل رمز البراءة والضحية

الحقيبة المدرسية رمز المستقبل والتعليم

اللون الرمادي رمز اليأس واللاستقرار

العلاقة اتفاق ثقافي واجتماعي

- العلاقات الدلالية في الصورة

تداخل الأيقوني مع المؤشري يعزز الإقناع الواقعي

الرمز يحمل الصورة دلالات أخلاقية وإنسانية.

غياب النص اللغوي يفتح المجال لتعدد التأويلات

- السياق التداولي للصورة

المنصة الرقمية : وسائل التواصل ← سرعة الانتشار

التوقيت: أثناء تصاعد الأحداث

الخلفية الثقافية : الطفل كقيمة إنسانية كونية

السياق يضاعف التأثير العاطفي للصورة

- الوظيفة الاتصالية للصورة

وظيفة تعبيرية: نقل المعاناة

وظيفية إقناعية : كسب تعاطف الجمهور

وظيفة تعبيئية: حث على التضامن أو الدعم

- الخلاصة السيميائية

تكشف الصورة من خلال تفاعل الأيقونة والمؤشر والرمز، عن خطاب إعلامي إنساني يهدف إلى بناء معنى أخلاقي عالمي ، حيث يتحول الطفل من فرد معين إلى علامة دالة على مأساة جماعية، وتُستثمر العلامة البصرية لإنتاج تأثير وجداني قوي لدى المتلقي.

ثالثا: المقاربة الثقافية والدلالية (رولان بارت).

يعتبر رولان بارت من أهم منظري السيميائيات، يُصنف تارة بكونه بنيويا على خطى دي سوسير وأحيانا ما بعد بنيوي،ساهم مساهمة فعالة في تجديد النقد الأدبي وتحديث السيميائيات وجعلها قادرة على التعامل مع النصوص الإبداعية والأدبية المختلفة برؤية جديدة وتصورات حديثة وفق ملامسة العلامات المؤسسة لها من منظور تفكيكي وفق غاية جمالية.

وتكمن أهمية المشروع السيميائي البارتي في قدرته على الاكتشاف وكشف وتحليل كم كبير من علامات الثقافة الشعبية ليس الغربية فقط بل حتى تلك الموزعة على بقاع أخرى مختلفة من العالم، لتصبح في إطار المنهج السيميائي علامات لثقافة شعب ما وبالتالي تصبح سمات أساسية لتوصيف حضارة شعب معين.

تتجلى الأهمية النقدية للسيميائيات حسب الباحث" بيتر بيريكلس تريفوناس Peter Pericles Trifonas" في كونها تساعد المنظرين على خلق ميتا لغة Meta-langue لغة أو خطاب نقدي قادر على تحليل أشكال التمثلات وبينياتها باعتبارها أجزاء مشفرة داخل منطق النظام.(Pencles Trifonas, 2001)

في هذا الإطار قام " بارت" بتطوير المنهج السيميائي بعد استفادته من أعمال " دي سوسير"و آخرين وتمكن من نيل اهتمام عدد كبير من النقاد والمهتمين بمجال السيميائيات، حيث جاء بمشروع جديد مستفيدا من لسانيات " دي سوسير"وفي هذا الصدد يقول: " رغم التقدم الكبير الذي أحرزته فكرة "دي سوسير" تلك، فإن علم الأدلة يبحث عن ذاته بتؤدة، وبرا ان السبب بسيطا، فقد اعتقد سوسير الذي ردد الدلائليون الرئيسيون أفكاره ونقحوها، أن اللسانيات ليست سوى قسم في علم الأدلة العام، إلا أنه من غير الأكيد قطعا أن تكون الحياة المجتمعية المعاصرة أنظمة أدلة غير اللغة البشرية، لما لهذه الأخيرة من سعة وأهمية".

ويؤكد بارت على أن السيميائيات لا يمكن أن تكون مجالا مستقلا بذاته بل هي جزء لا يتجزأ من علم اللغة أواللسانيات عموما لأنها في نظر "بارت" عالم من صور وأشياء وسلوكيات بدلالات كثيرة لكنها لا تنفصل عن اللغة (بارت ، 1987) ، ومن أجل تأسيس مشروعه اعتمد بارت على أربعة محاور كبرى:

-اللسان والكلام؛ في اللسان، يقول بارت" لغة بلا كلام، إنه مؤسسة مجتمعية ونظام من القيم، في الوقت ذاته وباعتباره مؤسسة مجتمعية فهو ليس فعلا قط، ولا يخضع لأي نية مسبقة، إنه القسم المجتمعي من اللغة وليس في مقدور الفرد وحده أن يخلقه أو أن يُغيره، وهو أساس عقد جماعي على كل من يرغب في التواصل أن يخضع له كلية" (Barthes , p 34، 1970). وفي مقابل اللسان المؤسسة والنظام نجد الكلام وهو أساسا فعل فردي للاختيار والتحقق وهو مكون من التركيبات التي تستطيع الذات المتلكمة بفضلها استعمال شفرة اللسان قصد التعبير عن فكرها الخاص. (Barthes1970 , p 35)

ولأن بارت يؤمن بقيمة هذه العلاقة الجدلية بين مفهومي اللسان والكلام مادام وجود أحدهما مرتبط بوجود الآخر، فقد عمل على تطبيقهما على مختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية مثل الأزياء والأطعمة

-المدلول والدال؛ يرى بارت أن الدلليل مصطلح صعب التحديد ومرد هذا الغموض حسبه هو " تواجده في معاجم مختلفة (من اللاهوت حتى الطب) ثم بسبب تاريخه الغني (من الانجيل إلى السيبرنطيقا) لذلك يجب أن نتحدث قليلا – قبل العودة إلى الفهم السوسيري –عن المجال المفهومي الذي يحتل فيه مكانة ، هي فضلا عن ذلك، الواقع أن " الدليل" يندرج حسب مشيئة الباحثين ضمن سلسلة من المصطلحات المُترادفة والمتنافرة ، فالمنافسات الرئيسية للدليل هي إشارة، قرينة،أيقونة، رمز، كتابة تصويرية،ولنحدد أولا العنصر الذي تشترك فيه كل هذه المصطلحات بحيث تُحيل جميعها بالضرورة إلى علاقة بين طرفين ولكن هذه السمة لا يمكن أن تمير أيا من المصطلحات عن باقي السلسلة.

ولحل هذا الإشكال، لابد من البحث عن ثنائيات أخرى أو اختلافات في المعنى وبالتالي يقترح هذه السمات في شكل ثنائية حضور/ غياب ووفق مقولات متنوعة: التمثيل والمشابهة والمباشرية والمطابقة والوجودية. (Barthes , pp 61-62، 1970)

- التمثيل أن تشمل العلاقة التمثيل النفسي لواحد من الجانبين
- المشابهة أن تتخلل العلاقة أولا مشابهة بين الجانبين
- المباشرية أن تكون علاقة مباشرة أو غير مباشرة بين الجانبين
- الوجودية أن تكون العلاقة حاملة لنسبة وجودية مع الشخص الذي يستخدمها (Barthes، 1970)

-المركب والنظام؛يُعرف بارت المركب بأنه " تأليف للأدلة يرتكز على مدى، وهذا المدى في اللغة المنفصلة امتداد سطري ذو بعد واحد ، غنه السلسلة الكلامية، لا يمكن النطق بعنصرين دفعة واحدة، تستمد كل لفظة هنا قيمتها من تعارضها مع سابقاتها ولاحقاتها،"

إن الألفاظ في السلسلة الكلامية تتحد بالفعل حضوريا، أما النشاط التحليلي الذي ينطبق على المركب فهو التقطيع، وأما الصعيد الثاني، فهو صعيد تداعي الألفاظ وتجميعها، تتجمع الوحدات التي تشترك في وجه من أوجهها في الذاكرة وتؤلف بذلك فئات تسودها علاقات متنوعة.

أما النظام، فهو حسب بارت يرتكز على العلاقات الاستبدالية بين مختلف الوحدات اللغوية التي من الممكن أن تستبدل بعلامة موجودة في الجملة وأخرى موجودة في الذاكرة، مؤكدا على أهمية المركب والنظام باعتبارهما يُشكلان صعيدي اللغة، كما أن بلوغ المعنى والدلالة يمر عبرهما (Barthes. PP 91-92، 1970) ، وبالتالي، فهو يؤكد على أن دراستهما تحتاج إلى عمق من أجل تحديد واستكشاف الظواهر التي تُساهم في تغليب صعيد على آخر.

-التقرير والإيحاء؛ انطلاقا من قوله أن كل نظام دلائلي يضم صعيدين إثنين، صعيد العبراة وصعيد المحتوى وأن الدلالة تتحقق من خلال العلاقة التي تربط بينهما، فإن بارت يفترض أن يصبح نظاما لهذه العلاقة بين الصعيدين فقط عنصرا في نظام ثان، في هذه الحالة، يكون -حسب تعبيره- امتداد له.مما يفرز نظامين متداخلين بطريقة منفصلة عن بعضهما البعض، وهذا الانفصال يتحقق بطرقتين مختلفتين من خلال مستوى اندماج النظام الأول في الثاني ليصبح مجموعتين متعارضتين حيث النظام الأول يصبح صعيدا تعبيريا ودالا للنظام الثاني. هذه الحالة هي ما يُعرف بالدلالة الإيحائية. (Barthes، 1970) ص 135-136

وعن ما بعد البنيوية، يمكن اعتبار " إمبراطورية العلامات L'empire des signes" واحدا من أهم المؤلفات التي تُمثل مرحلة "بارت" ما بعد البنيوية،انتقل فيه الاهتمام من تفسير أنظمة العلامات إلى الرغبة في التخلص من سلطتها وتأثيرها، وبصفه نصا، يُمثل هذا المؤلف تحولا واضحا من استعمال عناصر السيميائيات الشكلية أو المبادئ التوجيهية في اللسانية البنيوية إلى دراسة الظواهر الحقيقية للممارسات الثقافية باعتبارها صورا ونصوصا قابلة للقراءة. (Barthes, 1970).

يُعتبر الفرنسي "رولان بارت" من بين أهم من ركز على الدلالات في السيميولوجيا، ومن بين أهم المساهمين في تحديد موضوع البحث السيميولوجي في ميدان علوم الإعلام والاتصال، فارتكزت أبحاث مؤسس الاتجاه الدلالي على عمليات إنتاج الدلالات في مختلف السياقات (أدبية،إشهارية، دعائية، صحفية...) (Barthes , Leçon, 1978)

إذ يعد التحليل السيميولوجي عند رولان بارت الوسيلة المثالية لتحليل مضمون العلامات والتعَّرف عليها خاصة الصور منها، للوصول إلى الدلالة المضمَّرة أو المعنى العميق للصورة.

حاول بارت تجسيد المقاربة اللسانية على الظواهَر السّيميولوجية كالموضة،الصورة، الإشهار، النصوص الأدبية، التراث.، فلو حاول بارت دراسة الموضة في الميديا الجديدة مثلا،يُطبق عليها المقاربة اللسّانية تفكيكا وتركيبا عن طَّريق الاستقَّراء، وتحديد وحداتها الدالة، والمدلول الّتعبيري في مضموّها، أو محتواها ومقصديتها الاجتماعية. (بوعروري، 2024)

وعن المفاهيم المركزية عند ورلان بارت نجد:

الدلالة الأولى: يُشير إلى المعنى المباشر الوصفي الظاهري

ما نراه أو نسمعه دون تأويل

الدلالة الثانية: المعنى الإيحائي، الثقافي، القيمي ، يتأثر بالسياق الاجتماعي والإيديولوجي

مثال: صورة جندي يرفع العلم

دلالة أولى : جندي + علم

دلالة ثانية: الوطنية، التضحية، البطولة.

الأسطورة : نظام دلالي من الدرجة الثانية

تُحول القيم التاريخية إلى حقائق طبيعية وبديهية.

مثال: الجندي = بطل بالفطرة

تُخفي الأبعاد السياسية والتاريخية

وعن الصورة الإعلامية، يؤكد بارت في مقاله " بلاغة الصورة " أن الصورة الإعلامية تتكون من:

1-الرسالة الأيقونية غير المشفرة← مانراه مباشرة (الأشكال)

2-الرسالة الأيقونية المشفرة ← القيم الثقافية (الكرم، الفقر، الحداثة...)

3-الرسالة اللسانية ← العنوان، التعليق، الكابتشن

النص اللغوي:يوجه المعنى أو يكمله

نموذج تطبيقي

مثال تطبيقي لصورة إعلامية

صورة فتاة تحمل رضيعا على ظهرها وبيدها رغيف في حي فقير

الدلالة الأولى: طفل + خبز

الدلالة الثانية : الفقر، الحرمان

الأسطورة: الفقر قدر طبيعي لا نتيجة سياسات

الإعلام هنا لا يصف فقط بل يطبع واقعا اجتماعيا

يرى بارت أن الإعلام لا يقدم معلومات بريئة بل يُنتج معنى إيديولوجيا مغلفا بالطبيعي، والأسطورة تعمل على نزع الطابع التاريخي وإخفاء الصراع مع جعل الواقع يبدو بديهيا. وعن خطوات التحليل ، يقترح "بارت" المنهجية التالية:

تحليل المادة الإعلامية

وصف الدلالة الأولى

استخراج الدلالة الإيحائية

كشف الأسطورة الإعلامية

تحليل الوظيفة الإيديولوجية

تشمل مقاربة بارت المجالات الإعلامية التالية:

-تحليل الإعلان التجاري

-تفكيك الصورة الصحفية

-دراسة الخطاب السياسي

-فهم التمثلات الإعلامية (المرأة، الفقر، السلطة).

تتيح مقاربة "رولان بارت" في الإعلام تجاوز المعنى الظاهر للرسائل الإعلامية نحو تفكيك بنيتها الدلالية والإيديولوجية من خلال الكشف عن آليات الانتقال من الدلالة إلى الأسطورة، حيث يتحول التاريخي إلى طبيعي، والنسبي إلى مطلق.

هوامش الفصل

1. Barthes , R. (1978). Leçon. Paris: Le Seuil.
2. Barthes, R. (1970). L'Empire des signes. Paris : Skira .
3. Pencles Trifonas, P. (2001). Barthes and the Empire of Signs. Cambridge:Icon Books.
4. أبو ديب ,ك .(1981) .جدلية الخفاء والتجلي -دراسة بنيوية في الشعر .دار العلم للملايين.
5. أعمار ,م .(2003) .الدراسات السيميائية بالمغرب محاولة تركيبية .مجلة علامات.(20)
6. الرويلي ,م &.,البازغي ,س .(2000) .دليل الناقد الأدبي. ط 2 . الدار البيضاء ,المغرب :المركز الثقافي العربي.
7. بارت ,ر .(1987) .مبادىء في علم الأدلة. ط 2. تر: البكري ,اللاذقية :دار الحوار.

8. بوعروري ,ه (15ديسمبر 2024) التحليل السيميولوجي في بحوث الميديا الجديدة. 23.(2) ص ص 582 - 599

9. جيرو ,ب .(1996) .علم الإشارة السيميولوجيا. ط1. تر: العياشي منذر ,طلاس للدراسات والترجمة والنشروالتوزيع.

10. حسن عبد العزيز ,م .(1983) .مدخل إلى علم اللغة، .دار النمر للطباعة.

11. حسين ,ج .(2003) .المسبار في النقد الأدبي .دمشق :اتحاد الكتاب العرب .

12. حمودي ,م .(2009) .تجربة القراءة النقدية عند عبد الله الغذامي مخطوط دكتوراه.

13. خرمازة ,م .(2002) .ملامح النقد الحداثي في الجزائر بين النظرية والتطبيق، بحث مقّدم لنيل شهادة الماجستير .جامعة وهران .

14. دي سوسير ,ف .(1985) .دروس في الألسنية العامة . تر: .قرمادي وآخرون ,الدار العربية للكتاب.

15. راشدي ,ح .(2004) .تلقي السيميائية في النقد الأدبي بالجزائر .ملتقى الخطاب النقدي العربي املعاصر -قضاياه واتجاهاته .-خنشلة .

16. فاخوري ,ع .(1990) .تيارات في السيمياء. ط 1. دار الطليعة للطباعة والنشر.

17. لطروش ,ن.(15ديسمبر 2019) السيميائية المفهوم والنظرية .مجلة أدبيات, ,1 (2)ص ص 132-119

18. مرتاض ,ع .(2005) .دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث .منشورات تالة .

19. مرسلي ,د .وآخرون .(1995) .مدخل إلى السيميولوجيا (نص-صورة) .تر: ع .بورايو الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.

20. مومن ,أ .(2005) .اللسانيات -النشأة والتطور ط 2. الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية.

21. وغيلسي ,ي .(2009) .مناهج النقد الأدبي. ط 2 .الجزائر :جسور للنشر والتوزيع .

الفصل السابع: تحليل الصورة الرقمية

تمهيد

تُشكل الصورة مهما كانت بساطتها وشكلها محور اهتمام الدارسين في العلوم الإنسانية كونها تُوحي بإشكالية تستوجب الدراسة والتحليل، فهي على وضوحها لا تخلو من غموض، تحمل خلف إطارها تعددا في المعاني، يستطيع مشاهدها العادي أن يرى ما تسمح به حاسة الصبر خاصته، ومستواه الفكري وانتماءاته الاجتماعية وبيئته السوسيوثقافية، لكنها بالنسبة للدارس الباحث، رسالة بصرية مثقلة بالدلالات المخفية خلف رموزها الملونة بالسياقات المجتمعية المحددة زمانيا.

وقد أفرزت الثورة الرقمية في الآونة الأخيرة تغييرات جد متسارعة تمثلت في الانفتاح على العالم الافتراضي أعاد بدوره صياغة منظومة العلاقات التفاعلية الاجتماعية، ولعل من أهم هذه العوالم الفضاء السيبيراني الأكثر قوة وحركية وفاعلية في المجتمع.

حيث ساهمت الثورة الرقمية في إنتاج بيئة اتصالية جديدة تعتمد على خطاب الصور الرقمية كلغة تواصل بديل للخطاب المقروء والمسموع. أصبحت توفرسرعات خارقة للزمن تعد بالثواني في التقاط الصور، إنتاجها وإرسالها عبرالمنصات الرقمية ومو اقع التواصل الاجتماعي التي يقبل عليها الكثير من المستخدمين لتصبح بذلك ملاذ الكثير منهم لما تحمل من قوة وفاعلية في التعبير .مما أسس لثقافة جديدة في التعامل مع الصور الرقمية واستوجب الوقوف عنندها بالتحليل والدراسة من خلال منهجية محكمة تعطي مؤشرات موضوعية عما تحمل الورة الرقمية من دلائل ومعان خصوصا في السياق الإعلامي والتواصلي.

أولا: مفهوم الصورة الرقمية

الصورة

في اللغة العربية كلمة تعني هيئة الفعل أو الأمر وصفته، لكنها عادة ما تعرف اصطلاحا في التراث المخصص بأنها أشيء أنجز لكي مرئيا، وفي حدود معين، مرتبط غالبا بوسائل الإعلام والاتصال وهذا الشيء قد يكون تمثيلا مرئيا لشيء طبيعي واصطناعي، مادي ومعنوي... عبارة عن رسم صورة فتوغرافية لوحة فنية، إشارة إرشادية، لافتة إشهارية، صورة علمية (فلكية، طبية، إرصادية...) فيقوم صاحبها بعدد من الخيارات لإخراج عمله في أحسن مظهر ممكن، حيث التأثير، زاوية الرؤية، الألوان، النص المرفق... وهي العناصر التشكيلية التي تستهدفها أي شبكة تحليلية. (دليو ، 2019)

تمتد كلمة صورة Image بجذورها إلى الكلمة اليونانية القديمة أيقونة "Icon" ، والتي تشير إلى التشابه والمحاكاة، وقد ترجمت إلى Imago وفي اللاتينية و Image في الانجليزية. فمصطلح الصورة مشتق من كلمة اللاتينية تعني المحاكاة، ومعظم الاستخدامات القديمة والحديثة لهذا المصطلح تدور حول المعنى نفسه ومن ثم توجد معان متقاربة وربما مترادفة مع هذا المعنى مثل: التشابه، النسخ، إعادة الإنتاج،الصورة الأخرى ... (عبد الحميد ، 2005)، فالصورة في الأصل اللغوي " نسخة " عن شيء أو " تقليد " له.

يعرفها فرجون كإطار للاتصال والتعليم على أنها: " وسيلة نقل الرسالة إلى المتلقي بأقل قدر من التحريف أو الخطأ، ويتوقف أثرها على مضمونها من جهة وعلى مستقبل الرسالة وقدرته على استيعاب مغزاها وفهم أبعادها، والقدرة على فك رموزها بدقة من جهةأخرى" (فرجون ، 2004)

وهي الصور التي تلتقط بواسطة آلات التصوير المعروفة، وقد تكون الصور الفوتوغرافية صورا لأشخاص أو مناظر طبيعية أو أشياء عادية يستخدمها الإنسان في حياته أو غير ذلك. يتم إنتاج وإخراج هذه الصور بعد معالجتها رقميا بواسط الحاسوب والبرمجيات المخصصة لذلك ، تتسم بسهولة المشاركة والاسترجاع ومرونة التعديل والتخزين والاستخدام في جالات عديدة عند الحاجة.

الصورة الرقمية هي الصورة التي تم التقاطها باستعمال كاميرا رقمية مباشرة لتنسب إليها، أو تداولها عن طريق دعامة رقمية إلكترونية، إما عن طريق الماسح الضوئي لإدخالها في الحاسب الآلي، أو ما يتم رسمه وتشكيله بالبرامج الراسمة في الحاسوب إضافة إلى ما يلتقطه البعض بالهواتف الذكية ليتم استخدامها

فيما بعد في مجالات عدة حسب طبيعة الصورة ومحتواها، خاصة ونحن في عصر تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة. (عبد الحميد ، 2005، ص 15)

أدت الصورة الرقمية المولدة بالكومبيوتر إلى تحولات جذرية في الثقافة الإنسانية، نظرا لدورها كمعلومة مع سهولة الحصول عليها والتعامل معها، ثم تخزينها ومن شواهد تلك المتغيرات، أن فقدت الصورة الزيتية كونها صور فريدة ووحيدة، وفقدت الصور الضوئية كونها تعبيرا ذكيا لصانعها، بينما في المقابل لعبت الصور الرقمية دورها المعلم لكونها ذات شكل معلوماتي محملة بها.(Rouillé , 2004,) تلك المعلوماتية التي اعتبرها بل جيتس Jitss Bel حين سأله أحدهم عن ثروته التي تتعاظم فقال" :إن ثروتي بسبب المعلومات المتاحة في شبكة الانترنت وليس بسبب التقنية ذاتها"

(Jitt,.2006, p 2)

هي بيانات رقمية ذات صيغة محددة وهذه البيانات تمثل معلومات عن الصورة فضلا عن القيم اللونية للنقاط المكونة للصورة. يتم تمثيل الصورة الرقمية في الحاسوب كمصفوفة ثنائية الأبعاد من القيم الرقمية التي تمثل كل منها شدة الإضاءة لوحدة صورية، هذه القيم يستخدمها ماسح الصورة لعرض اللون في الشاشة في الموقع الذي تمثله كل قيمة من هذه القيم. أن عملية الوصول الى هذه الوحدات الضوئية من قبل الماسح تعتمد على التقنية التي تم بموجبها تمثيل هذه الوحدات، وهذا بدوره يعتمد على عدد الخلايا الثنائية المستخدمة لتمثيل كل وحدة. (حكمت إسماعيل ، 2007)

وليس من مبالغة في القول أن الصورة الرقمية هي عبارة عن بنية دلالية تروم جذب الفضاء العقلي إلى الفضاء الفيزيائي من خلال استعارة معاني مفاهيمه التقليدية في بناء المفاهيم الفريدة للفضاء المعلوماتي وعلى هذه الشاكلة، تكونت بنية ثقافية لتبادل المعلومات والمعارف ساهمت في "توافر أرضية خصبة لإنشاء مجموعة من الفضاءات التخيلية التي أسست لحوار رقمي بين الحضارات والثقافات" .

(Rouillé , 2007,pp 21-23)

إن قوة الخطاب البصري الرقمي ونجاحه المتواصل مستمد من قدرته على منح الأفراد أدوات عصرية لفرض ذواتهم وبناء هوياتهم وتأكيد تمايزهم عن الآخرين دون أدنى إكراه أو مضايقة أو قيد.. ولم يعد بذلك الحديث عن أعلام الصورة التقليدية التماثلية، بل كذلك عن الخطاب المرئي الذي أبرزته التكنولوجيا الجديدة والذي يتسم بخاصية "السرعة" و"الحمولة المعلوماتية" (Vettraino ;2009 , p 3)

فضلا عن كون تلك المعطيات التكنولوجية المعاصرة، باتت الصورة الرقمية بناء مركب، أي أنها لم تعد تخدم التمثيل الأيقوني وحده ولا الصوت ولا بقية العناصر التعبيرية، كل وحدة منفصلا، بل أصبح الخلط المشترك بينهما جميعا متاحا، وبيسر تتشكل محيطات جديدة مازجة تلك العناصر المنفصلة، فتصبح الصورة مصاصة للصوت ومضاف إليهاالحركة والرسم والكلمة، وبهذا التكامل تكون الصورة الرقمية جوهر مختلف قادر على الناشر نظرا لسرعة الانتقال وتوافر المؤثرات الأخرى بالإضافة إلى المضمون أو المعلومة المجملة ضمنيا وعلنا. (عبد الحميد ، 2005 ، ص 24،25)

الفتوغرافيا الرقمية : Digital Photography إذا كانت الصورة الفوتوغرافية بصفة عامة، والصحفية خاصة، قد ازدادت قوة وتأثيرا في هذا العصر بفضل التطورات التقنية المتلاحقة في هذا الحقل،فإن ثمة تطور تقني آخر قد لحق بالفوتوغرافيا الصحفية في السنوات الأخيرة،مثل ثورة حقيقية في عالم التصوير الصحفي وهو ما يسمى بالكاميرا الرقمية . Digital Camera تلك التقنية التي حولت الفوتوغرافيا بعامة والصحفية بخاصة، من عالم الفوتوغرافيا الفيلمية إلى عالم جديد يعتمد على التقنية الرقمية، وهو ما يعرف بالفتوغرافيا أو التصويرالرقمي وفي ظل الإنتاج الإلكتروني للصحيفة واعتماد تقنية الفوتوغرافيا الرقمية،تصبح بذلك كل مراحل ما قبل الطبع الخاصة بفن الصورة الصحفية ، تتم في ظل تقنيات رقمية ، بدءا من التقاط الصورة وانتهاء باستخراج الصفحات الفيلمية للصحيفة جاهزة لبدء مرحلة الطبع،لتكتمل بذلك الحلقة التي كانت لا تزال مفقودة في ظل الإنتاج الرقمي للصورة الصحفية،والمتمثلة في عملية التقاط الصورة الفوتوغرافية بعدسة المصور الصحفي (النجار ، 2003، ص ص 25-26).

هي الصور التي يتم تخزينها بشكل رقمي على الجهاز ويمكن تعديلها باستخدام البرامج المخصصة للتعديل على الصور مما يجعلها تتميز بالقدرة على التلاعب والتضليل أحيانا، تختلف الصور الرقمية عن التقليدية التي تم تصويرها على ورقة الألياف الضوئية ولا تستطيع تعديلها بشكل سهل.

تتبوأ الصورة مكانة هامة في الدراسات التحليلية والسيميائية،فقد اقترنت بمصطلح آخر يُسمى ثقافة الصورة، ويعنى هذا التوجه برصد الرؤى المختلفة المحيطة بالصور ودلالاتها ومعانيها وتأثيراتها، وكيفية النظر إليها كرمز وكوسيلة وكناقل للمعرفة. وقد حدثت تغيرات جوهرية في ثقافة الصورة والتعامل معها، وكذا في النظر إليها، ويرجع هذا إلى التطور التكنولوجي، إذ بدأت ثقافة الصورة تتشكل بطبيعة الفترة الزمنية، وأصبحت تتضمن مجموعة محددات من الموضوعات والأنشطة وبُنى الاستهلاك والإنتاج للتمثيلات المعرفية الرمزية التي تدور حولها حتى أن البعض يقارن ما يحدث من تحولات جذرية في ثقافة

الصورة الآن وخاصة الصور الرقمية باكتشاف الكتابة وميلاد فن التصوير الزيتي، واختراع التصوير الفوتوغرافي؛ فالصور الرقمية تعد بمثابة ميلاد لأداة جديدة في المعرفة. (عبد الحميد ،2005، ص 42)

ثانيا: الإنتاج الرقمي للصورة

تقنيا يمكن القول أن الصورة الرقمية تتحقق بفضل قدرات الحاسب الآلي على تحويل النظام الإيقوني إلى تيار متصل من النبضات الكهربائية التي يتم تقطيعها على عينات صغيرة جدا وترقيمها وفق الأرقام المكافئة الثنائية التي تتكون من رقمين: الصفر والواحد، مما يسمح لقرص الذاكرة على الحاسب استقبالها وتخزينها ثم إعادة عرضها. (بيومي ، 2006، ص 8)

لقد كان أول اكتشاف للتحدي الذي تمثله الصورة الرقمية في كتاب "الصور الفيديوية الصورة في عصر الكمبيوتر " الذي وُزع في معرض المصورين في لندن عام1991،إذ رأى الكتاب أن انتقال الصورة من الغرفة المعتمة قد فجر قدرة جبارة على إنتاج أصول للصور تشاهد على الشاشات الإلكترونية جنبا إلى جنب مع الشاشات والنسخ الورقية،وقدرة هائلة مماثلة على التلاعب بها وتشكيلها ونقلها كوحدات إلكترونية معلوماتية عبر أسلاك الهاتف .وقد شبه مؤلف الكتاب "جوناثان كيراري" و"وليم ميتشي" الانفجار الرقمي للصورة مع أوائل التسعينات من القرن العشرين بما حدث في ثلاثينات القرن التاسع عشر من تحدي الصورة للرسم .

وإذا انتقلنا إلى مستوى آخر من التحليل، فإن انتشار الصورة وتقدمها في عصر الحداثة كان مرتبطا بنهضة الأساليب الإمبريقية والعلم الإيجابي والتنظيم جنبا إلى جنب مع تقدم علوم الفيزياء والأنثروبولوجيا والفلك والبيولوجيا التي قدمت الصورة كدليل على مصداقيتها، ولكن في عصر مابعد الحداثة التي احتكرت فيه تقريبا الطبقة الرأسمالية العابرة القومية التقدم التكنولوجي، ومع تزعزع الثقة في إمكانية العلم في تحسين أحوال البشر،أصبح للتكنولوجيا القدرة على محاكاة الواقع والتقليدي بل إدعائه أيضا،اليد الطويلة في عالم الصور ما بعد الحداثي بحيث لا يمكن الإدعاء مطلقا بأن ما تراه هو العالم الحقيقي. (حكمت إسماعيل ، 2007)

فالصورة الرقمية جعلت من المهم فهم التحديات التي أدخلتها التكنولوجيا على عمليات الإدراك ورؤية العالم المتشظية التي يتعذر معها الإمساك بيقين .لقد رأى "فريديريك جيمسون" أن الفضاء الحضري الجديد لما بعد الحداثة (كما في الفنادق) يشهد تحولات بصرية بفعل الصورة أسرع من الوسائل

الاجتماعية لفهمها، ولذا فإن الصورة تعاني حالة اغتراب ما بعد حداثي عن الخبرات الثقافية التي تستمر في الإدعاء بأنها تعبر عنها. (حكمت إسماعيل ، 2007، ص 77)

فقد أصبحت عملية التصوير متاحة للجميع وليست حكرا على المصورين، بما أن مصممي الصور والمصورين الرقميين- كما أصبحوا يسمون – يملكون القدرة على إلغاء الصور، والتقاط غيرها في الزمن الآني إذا وجدوا أنها غير ملائمة، ويمكن الاطلاع عليها من خلال شاشة صغيرة داخل الكاميرا ذاتها، أو تحميلها على جهاز الكمبيوتر، أو على وسائط إلكترونية أخرى مثل الأقراص المضغوطة أو قرص الفلاش... بل ولهم القدرة على تداولها عبر المواقع الإلكترونية في الإنترنت . (بيومي ، 2006)

ثالثا: أصناف الصورة

لقد تطورت التكنولوجيات الرقمية الحديثة لوسائل الاتصال، فأصبحت صورا ذات أصناف عديدة، وقسمها" بول الماسي" " Paul Almassi " بوضعه خطاطة تصنيفية للصور ، حيث جاء بالتصنيفين التاليين:

الصنف الأول: تندرج ضمنه الصور السينيمائية (السينما، التلفزيون، الفيديو...) أو ما يُطلق عليها بالصور المتحركة.

الصنف الثاني: وهي الصور الثابتة وتنقسم إلى :

- صور جمالية
- صور نفعية: تضم الصور الوثائقية، الإشهارية والإخبارية.

ومهما كان نوع الصورة، فإن لها وظيفة رئيسية وأخرى ثانوية : التسجيل،التواصل،الإقناع والانتقاد. (زرقين و خواني ، 2020)

- الصورأحادية اللون: عادة ما يتم تمثليها باللونين الأبيض والأسود رغم أننا نستطيع استخدام أي لونين آخرين، كل بكسل في الصورة يتم تخزينه بوصفه بتا واحدا (إما 1 أو 0) ويمكن تسميتها أيضا بالصورة الأحادية اللون، حيث أنها لا تحتوي على أي لون، غالبا ما تنشأ الصور الثنائية في معالجة الصور الرقمية كأقنعة أو كنتيجة لبض العمليات مثل التجزئة وفي بعض أجهزة الادخال والإخراج كالطابعات الليزرية وآلات الفاكس وشاشات الحاسوب.

- الصور ذات التدرج الرمادي: حيث أن كل بكسل تحوي درجة محددة من اللون الرمادي بين 0-255 . كلما ابتعدنا من الصفر باتجاه الـ 255 يصبح لون البيكسل أفتح، ويتم التعبير عن كل بكسل بـ 1 بايت، غالبا ما تكون نتيجة لقياس شدة الضوء في النطاق الواحد من الطيف الكهرومغناطيسي مثل الأشعة تحت الحمراء، الضوء امرئي، الأشعة فوق البنفسجية وغيرها.
- الصور الملونة : وتضم

صور 8 بت الملونة وهي وسيلة لتخزين معلومات الصورة في ذاكرة جهاز الحاسوب أو في ملف الصورة، كل بكسل يتم تمثيله ببايت واحد أو 8 بت والحد الأقصى لعدد الألوان التي يمكن عرضها في وقت واحد هو 256 لون، حيث يتم إعطاء كل رقم من الـ 256 لون درجة من الأحمر الأخضر والأزرق.

صور 24 بت الملونة كل بكسل يتم تمثيله بـ 3 بايت، وفي الغالب تُمثل بالنموذج اللوني أحمر – أخضر-أزرق ينتشر استخدامه ينتشر استخدامه في الصور الفتوغرافية أو رسومات معقدة ذات جودة عالية لأنه يدعم حتى 16.777.216 لونا مختلفا على الأقل، مع العلم أنه يمكن للعين البشرية تمييز ما يصل إلى عشرة ملايين لون، ولأنه يمكن تمثيل هذا النوع من الصور بـ 4 بايت عوضا عن 3 بايت وهذا البايت الزائد لحفظ تأثير خاص على الصورة كالشفافية مثلا. (Bernd, 1995)

رابعا:مستويات قراءة وفهم دلالية الصورة

لقد حظيت مسألة قراءة الصورة بنوعيها الثابتة والسمعية البصرية باهتمام بالغ في عصر الثقافة العالية،ومجتمع القرية الكونية، فكانت مجالا للبحث والدراسة بين تخصصات عديدة بداية من الفلسفة واللسانيات مرورا بالعلوم الاجتماعية والسوسيولوجيا الاتصالية وصولا إلى السيميولوجيا، فوضعت مجموعة من التعريفات متنوعة بتنوع المداخل المعرفية سابقة الذكر، غير أنها التقت عند مفهوم " الخيال الاجتماعي" الذي يرتكز عليه فهم الصورة في مستويات القراءة الثلاث:

طبيعة الصورة، تحليل مكونات الصورة، المنظور التأويلي / تأويل الصورة.

يرى الباحث " ج ديراند" J. Derand " فكرة أن خيال المجتمع يشكل نفسية جماعية مستقلة، تنشط كروح الجماعة التي تتجدد ضمنها مجموعة المحتويات الأسطورية، الثقافة،الشعبية، الحكايات المانحة للقيم، والمهيكلة للنظرة الفهمية للعالم في وقت ومكان محددين (Grazeuneuve, 2012, pp

(64-63. وانطلاقا من هذا الاعتبار، فإن قراءة الصورة البصرية تختلف بالضرورة من مجتمع لآخر أولا بسبب المرجعية الثقافية للمرسل أو الرسالة والجمهور المتلقي وثانيا أن القراءة السيميولوجية للصورة تشترط انتقال القاريء من المستوى التعييني إلى المستوى التضميني، وهي عملية إدراكية لها علاقة مباشرة والرابط الثقافي –الاجتماعي لهذا الأخير ، يجعله يتجاوز مرحلة تلقي الخطوط والألوان إلى مرحلة القراءة الموجهة وفق ما يحمله من دلالات ومعان وخلفيات سوسيوثقافية ,Grazeuneuve) (2012، مما يخلق عدة قراءات للصورة الواحدة.

سيميائيا، تخضع الصورة لعدة مستويات من التحليل، نجملها في المستويات التالية :

أ- المستوى التعييني: يُمثل الانطباع الأولي بمجرد التعرض للصورة المرسلة، إذ لا يتعدى مستوى الإحاطة بمحتويات الصورة الظاهرة بشكل عام، وهو ما عبر عنه " روين بانوفسكي" R Panovsky" : " إني أجد نفسي أمام مجموعة من الخطوط والألوان في مستويات قياسية اكتشفها بصورة عفوية، فسيميولوجيا، يجد المتلقي نفسه أمام دال ممثل لمدلول، معين ومترجم لشيء (موضوع) خارجي ، نشأت بينهما (الدال والمدلول) علاقة تسجيل أو تطابق محظ، بين ما هو معروض في الصورة من الواقع، فالصورة هي رسالة بصرية تحمل عدة معاني مرئية ناتجة عن اتحاد الدال بالمدلول. (زرقين و خواني ، 2020)

ب- المستوى التضميني يعرف بانه ما وراء الصورة المعنى فهو مستوى القراءة الرمزية والتفكيك أي تفكيك الرسالة البصرية إلى عناصر تُتيح الرؤية من السطح نحو العمق، للوصول إلى المعنى المعطى، فهي محاولة من المشاهد تفسير الصورة بل الرسالة البصرية وفقا لانطباعاته وانتماءاته الفكرية الثقافية ومحيطه الاجتماعي، واضعا بعين الاعتبار لسياق الذي أُنتجت فيه الصورة والبعدين الزماني والمكاني اللذان طُرحت فيهما الرسالة، وهنا يمكن أن يتقاسم ثقافة التفسير والفهم مجتمع بأكمله أو فئة من الجمهور تربطهم خصائص مشتركة كالتخصص الأكاديمي ، او العادات والتقاليد أو الثقافة المشتركة. (زرقين و خواني ، 2020)

ت- المستوى التقريري: وهي مرحلة اختصاص، يقوم فيها الباحثون والدارسون بقراءة الصورة بعين ناقدة ، يتم التفتيش فيها عن ما وراء المعنى كما تعتبر مرحلة التأويل وضبط تفسيرات منطقية لمحتوى الرسالة البصرية والتي تُستعرض في شكل استنتاج لجملة من التحليلات الجامعة لعناصر المرحلتين السابقتين، أين يربط الدارس بين أجزاء الصورة ويُفسر علاقاتها والإطار الذي أُنتجت وبُثت فيه دون إهمال لشخص المرسل ومشاربه الثقافية الإيديولوجية وتكوينه الاجتماعي

لتكون جميعها مؤشرات يبني على أساسها المتلقي أو الدارس استنتاجاته في بحث المعنى العميق للرسالة البصرية والذي لا يخلو بدوره من المخزون السوسيوثقافي للخيال الاجتماعي والموروث المجتمعي والتكوين المعرفي والانتماء الأكاديمي لهذا الدارس.

يضع تحليل الصورة سيميائيا العامل المجتمعي ويفتح جوانب ومجالات استقبالها، ما يُتيح فرصا لتعدد القراءات ضمن العمليات الاتصالية التي يشهدها المجتمع. (زرقين و خواني ، 2020)

حسب بارت، تقوم مقاربة الصورة سيميائيا بوصفها رسالة على ثلاث مرا حل بحثية متكاملة تتضمن كل مرحلة خطوات إجرا ئية خاصة هي:

-الدراسة الشكلية الوصفية: تتضمن:

1 -الدراسة المورفولوجية: وهي السيرورة الدلالية لبناء الصورة شكلها، خطوطها ومحاورها التركيبية.

2- الدراسة الفوتوغرافية: وهو المجال الذي يتم فيه مساءلة العناصر الفنية المتعلقة بالتأطير اختيار الزوايا وما يقابلها من جانب المتلقي من حركة العين ووضع المركز البصري بالإضافة إلى الجدلية الفتوغرافية (الظل / الضوء.)

3- الدراسة التيبوغرافية: ويتم فيها تحليل الإرسالية اللسانية من حيت طريقة كتابتها (حجم البنط –قياس السطر – طراز الحرف) طريقة وضعها والمسا حة المخصصة لها.

-دراسة الألوان: يتم تحليل قوة الألوان المستعملة، طبيعتها ومدى طغيانها أو العكس.

-دراسة الشخصيات: أي تحديد الأشخاص في الصورة، سنهم، جنسهم، ملابسهم، ويندرج هذا المحور الدراسي العام أي الدراسة الشكلية بخطواتها الإجرا ئية فيما يعرف سيميائيا بتحديد طبيعة الدليل . وهي في محور "بارت" تسمى التعيين وتعني الد لالة الأولى والمعنى المشترك مع الدليل (يخلف، 2012)

- الدراسة التضمينية الأيقونية : وتتضمل الخطوات الإجرا ئية التالية:

أ- دراسة الأبعاد السيكولوجية للصورة من خلال:

ـ تحليل المعطيات الفتوغرافية كالتأطير، اختيار الزوايا، الإضاءة.

ـ تحليل وتفسير الأبعاد التيبوغرافية (لماذا أختير هذا البنط أو ذاك النوع مل الكتابة؟.)

ـ تحليل سيكولوجي للألوان وإيحاءاتها المختلفة.

ب ـ دراسة التضمينات الإجتماعية والثقافية للصورة من خلال:

ـ تحليل المدونات التعينية.

ـ تحليل مدونة الحركات والإشارات.

ـ تحليل مدونة الوضعيات.

ـ تحليل سوسيوثقافي للألوان.

والدراسة الأيقونية بخطواتها المختلفة هي ما يعرف في ميدان السيميولوجيا بفنية الكشف عن الدلالة الخفية لنظام الدليل، وهي تُعرف في محور نظرية "بارث" بالتضمين، هذا الأخير هو ذلك الجزء الإنساني لسيرورة الإدراك، الجزء الذي يناهد الخبرة الذاتية للفاعل ويشير إلى القيم الثقافية الخاصة بمفكك الرموز.

وضمن هذه الدراسة الأيقونية العامة سوف يتم دراسة مستويات التعيين الإدراكي والمعرفي والمستوى التضميني المتعلق بالإيديولوجيا، وهو أعمق مستوى في تحليل الصورة لارتباطه بقيم ودوافع المتلقي. (إسماعيل و هابة طارق ، 2018)

وتتم هذه المرحلة التحليلية استنادا إلى مستويين: الإدراكي والمعرفي

وتختص الدراسة الأيقونية بتحليل القيم الثقافية التي يتفاعل فيها الدليل من خلال تحليل الرموز والإشارات والاستعارات الأيقونية في تحليل التفاعل الحركي بين هذا الدليل والمادة والموضوع. (يخلف، 1996)

-الدراسة ا لألسنية: وهو المحور الذي يتم فيه دراسة علاقة الجانب ا لألسني بالجانب الأيقوني (الصورة) من خلال وظيفتي الترسيخ والمناوبة:

1- وظيفة الترسيخ أو الإرساء تتسم الصورة بالتعدد الدلالي إذ تقدم للمتلقي عددا كبيرا من المدلولات لاينتقي إلا بعضها ويهمل البعض الآخر، ومن ثمة فإن النص اللفظي يوجه إدراك المتلقي

ويقود قراءته للصورة بحيت لا يتجاوز حدودا في التأويل، فالنص اللغوي يمارس سلطة على الصورة مادام يتحكم في قراءتها أو يكبح جماحها الد لالي.إنه يقوده نحو معنى منتقى مسبقا.

2- وظيفة المناوبة أوالربط – التدعيم ، وتتم حين يقوم النص اللغوي بإضافة دلالات جديدة للصورة، بحيت أن مدلولاتها تتكامل وتنصهر في إطار وا حد.

وقد تتجاوز الوظيفتان وتتعايشان في الملفوظ الواحد، عدا أن هيمنة إ حداهما على الأخرى لا تعدم الدلالة، فطغيان التدعيم على الترسيخ معناه أن المتلقي ملزم بمعرفة اللسان لإدراك فحوى الرسالة .في حين أن طغيان الترسيخ معناه أن الملفوظ قائم على الحشو، وأن جهل المتلقي باللغة قد لايحرمه من استيعاب د لالة الصورة. (صميطي و بخوش ، 2009)

هوامش الفصل

1. Bernd, J. (1995). Digital Image Processing Concepts, Algorithms, and Scientific Applications (3rd ed.). Springer-Verlag Berlin Beideiberg GmbH.
2. Grazeuneuve, J. (2012). La communication de masse. Paris: Edition Panel.
3. Jitt, B. (2006). Vers une richesse numérique. Paris: édition Gallimard.
4. Rouillé , A. (2004). l'image numérique : défit du siècle. Paris: Edition Payet.
5. Rouillé , A. (2007). L'Image Numérique. Paris: Edition Gallimard .
6. Vettraino, M. (2009). de la bande dessinée à l'image numérique,. Paris: Edition Dunod.
7. إسماعيل ,ز .هابة طارق .(مارس 2018) .المقاربة السيميولوجية لرولان بارث في تحليل الصورة مجلة الإعلام والمجتمع. ص ص6 -19 .(1)2
8. النجار ,س .(2003) .تكنولوجيا الصحافة في عصر التقنية الرقمية .ط .1القاهرة ,مصر :الدار المصرية اللبنانية.
9. بيومي ,ع .(2006) .الصورة الرقمية في عصر الإنترنت، .القاهرة :دار المعارف.

10. حكمت إسماعيل ,ي .(2007) .الوثوقية في الصور الرقمية.(12) .

11. دليو ,ف .(2019) .شبكة التحليل الصورة الثابتة نمذجة بيداغوجية لبعض المرجعيات السيميولوجية .مجلة الاداب والعلوم الاجتماعية ,16(04) . ص22 .

12. زرقين ,ا & .,خواني ,أ (31 ديسمبر 2020) .مستويات تحليل الصورة :من العتبات السيميولوجية إلى المقاربات السوسيولوجية .مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية. 6(2) .ص ص 96-118

13. صميطي ,ع & .,بخوش ,ن .(2009) .الدلالة والمعنى في الصورة .ط .1. الجزائر :دار الخلدونية.

14. عبد الحميد ,ش .(2005) .عصر الصورة :الايجابيات والسلبيات .الكويت :عالم المعرفة، المجلس الثقافي للثقافة والفنون والآداب.

15. فرجون ,خ .(2004) .الوسائط المتعددة بين التنظير والتطبيق.ط 1.الكويت :مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

16. يخلف ,ف .(1996) .دور الصورة في التوظيف الدلالي للرسالة الإعلانية . دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من إعلانات مجلة الثورة الإفريقية رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال .جامعة الجزائر.

17. يخلف ,ف .(2012) .سيميائيات الخطاب والصورة .ط 1.بيروت :دار النهضة العربية.

الفصل الثامن تحليل المحتوى الرقمي الو اقع والآفاق المستقبلية

تمهيد

أفرز المعطى التكنولوجي عدة تغيرات جوهرية في العدة المنهجية، البحثية المعرفية والسوسيوتقنية على مستوى كل الدراسات والأبحاث الإنسانية بما فيها الظواهر النفسية السيكولوجية، السياسية، الثقافية الاقتصادية والإعلامية... حيث فرض معطيات جديدة واستبعد أخرى خصوصا فيما يخص طرق وأدوات البحث في العلوم الإنسانية عموما وعلوم الإعلام والاتصال بوجه خاص، فظهور أشكال عديدة من النشر الرقمي، وتعدد مستويات التفاعلية وتباين الوسائط الرقمية، جعل الأدوات البحثية تنزلق هي الأخرى في تيار البيئة الرقمية وفتح الباب أمام أكبر الإشكاليات المعرفية فيما يخص صلاحيتها لدراسة وقياس الظواهر الرقمية بشكلها الكلاسيكي وضروة تكييفها تماشيا مع المستجدات الرقمية المتحولة باستمرار.

ولعل أهم هذه الوسائل تحليل المحتوى بصرف النظر عن الجدل القائم بشأن تصنيفه منهجا أم أداة بحثية، فتطور المحتويات الرقمية الاتصالية واتخاذها أشكالا متعددة تتراوح بين مضمون شخصي مؤسساتي أو تجاري... متعدد الوسائط، مزودا بروابط تشعبية ومعززا بأشكال مختلفة من التفاعلية... فرضت تغييرات يُفترض أن يتبناها تحليل المحتوى ليتناسب وخصوصية الفضاء الرقمي.

والملاحظ في الساحة البحثية والأكاديمية على الأقل على مستوى عربي أو محلي قلة الدراسات التحليلية للمضامين الاتصالية الرقمية، وإن ما وجدت ، فهي متواضعة محتشمة، وأحيانا سطحية لا تنم عن دراسة جادة معمقة أو إلمام كاف بخصوصية الظاهرة من جهة و الاستجابة لمعطيات البيئة الرقمية من جهة أخرى دراسة وكتابة وبحثا، مما يستوجب تسليط الضوء على تحليل المحتوى للمضامين الاتصالية والإعلامية الرقمية للوقوف على خصائصه وإمكانياته والصعوبات التي تعترضه.

أولا: مفهوم تحليل المحتوى الرقمي

يكثر الحديث اليوم عن تحليل المحتوى الرقمي لما يحيط بهذا المفهوم من عناصر مستحدثة تتماشى والبيئة الرقمية التي تتسم بسرعة التفاعل مع المعلومة، الأمر الذي حتم نموذج جديد وتحديث مستمر لهذه التقنية بصورة متنامية وعالمية الذي استوجب البحث في أهم العراقيل المنهجية التي تحول دون الاستعمال المنهجي الصحيح لهذه التقنية. أضف إلى ذلك مجموع العناصر المرتبطة بالنص قيد التحليل الذي أصبح يرتبط بأساليب الإقناع وإمكانية رجع الصدى وتنوع في أساليب الغرض الإلكتروني وسوق المنافسة والصناعة الإعلامية عموما... (قاسم و علان ،2025 ، ص 60-67)

تحليل المحتوى الرقمي أداة لجمع البيانات، يدرس المحتوى المتوفر على المنصات الرقمية كشبكات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية لتحديد الاتجاهات والموضوعات وتأثيرها على الجمهور، ويشمل تحليل النصوص والصور والفيديوهات ومختلف أشكال النشر الرقمي، ويتطلب أدوات وتقنيات جديدة لمواجهة تحديات الإعلام الرقمي (السرعة، التفاعل، البيانات الضخمة)، يستخدم أساليب كمية وكيفية لتحويل البيانات الرقمية إلى رؤى واستراتيجيات محتوى مؤثرة، ويهدف إلى فهم الجمهور وبناء محتوى جذاب ومخصص.

ويعتبرتحليل المضمون _ في هذا الصدد _ وصفا بنائيا، تصنيفيا،تفسيريا وتأويليا للنتائج المتوخاة من الدراسة والتفكير في معانيها (التأويل المرتبط بالعمليات العقلية) وكذا تحليل النصوص المختلظة سوا كانت خطبا سياسية أووثائق تاريخية أومقالات ميدانيةأوملاحظات أو جداول إحصائية أو برامج إعلامية (قاسيمي و لراري ، 2021) ، وكل ما يحتويه الويب من صور وفيديوهات، أخبار وبرامج ومحتويات الصحف والقضايا التي تهتم بهاوالأخبار التي تُروج لها . فإن الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية مقيد بسلسلة من الإجراءات المنهجية التي تسمح له بالتحليل الموضوعي البعيد عن الانحراف في التأويل الذاتي أو التفكير أوالانسياق نحو الأفكار والمعتقدات الشخصية. (قاسم و علان 2025، ص ص 60- 67)

يحيط بتحليل المحتوى الرقمي كمفهوم عناصر مستحدثة تتماشى والبيئة الرقمية التي تتسم بسرعة التفاعل مع المعلومة ، الأمر الذي حتم نموذج جديد وتحديث مستمر لهذه التقنية بصورة مستمرة والبحث في أهم العراقيل المنهجية التي تحول دون الاستعمال السليم منهجيا ومعرفيا لهذه التقنية إضافة إلى مجموع العناصر المرتبطة بالنص قيد التحليل الذي أصبح يرتبط بأساليب الإقناع

وإمكانية قياس الصدى والتنوع في أساليب الغرض الإلكتروني وسوق المنافسة الإعلامية والصناعة الإعلامية الرقمية عموما.

يتسم تحليل المحتوى بالعديد من الخصائص الذكية والمتنوعة والتي تتماشى وطبيعة الوسائط المتاحة وطرق النقل والنشر إلى جانب تعدد مصادر المعلومات التي تمكن من إمكانية مواكبة الأحداث والمستجدات والتفاعل مع المحتوى من خلال المشاركة، التعليق والرسائل الإلكترونية.

ثانيا: أشكال تحليل المحتوى الرقمي

توفر الانترنيت مادة يستغلها الباحث بالتحليل على شكل فئات تساعده على قراءة محتوى تلك النصوص والبيانات التي غالبا ما تساعد القارئ على اكتساب المعارف والمهارات والحصول على الأخبار بأسط الطرق وأسهلها. وبالتالي يتخذ المحتوى الرقمي الأشكال التقنية التالية:

-الرموز التعبيرية: لايكاد يخلو أي محتوى من استخدام الرموز والتعبيرالضمني الذي أصبح مادة مستهلكة بشكل كبير من طرف مستخدمي الانترنت وكذا أصحاب العلامات التجارية. وتُعد هذه الرموز جزء أساسي من لغة الويب، تزداد شعبية استخدامها على الصعيد العالمي، حتى أصبحت أهم أدوات نقل الأفكاروالمشاعر في وقتنا الحاضر باعتبارها نوعا من أنواع اللغة غير اللفظية، حتى أن بعض الباحثين ذهب إلى أن الرموز التعبيرية ستكون لغة المستقبل مستندين إلى إحصائية تفيد بأن هناك 11 مليار رسالة نصية تُرسل كل يوم حول العالم منها ستة مليارات رسالة تتضمن واحدة منهارموزا تعبيرية (عبد الفتاح ، 2021)

-الروابط : على اعتبار أنها الوسيلة أو للربط بين صفحات الويب ببعضها البعض وكذا تحسين النصوص ذات الغرض الكمي – فان الرابط – يتم النقر عليه للدخول إلى النص، الصورة أو الموقع المراد التفاعل معه بالقراءة المشاركة والتعليق.

هو وسيلة لربط المستندات والنصوص الحية وصفحات الويب بعضها البعض، وعادة ما تكون كلمة أو جملة أو صورة، يتم النقر عليها لقراءة هذا المستند (النوايسية ، 2015، ص 72)

-الفيديو: هذا الشكل من المحتوى الرقمي كثير التداول على المواقع الإلكترونية والقنوات الفضائية والروابط ذات البعد التسويقي، الإشهاري، التعليمي والترفيهي، له دور كبير في شد انتباه المستخدم للشبكة العنكبوتية من خلال صدى الجمهور.

- الصوت: بعد ظهور الطباعة، أصبح الصوت الإذاعي مؤثرا في انتباه وأذواق وآراء واتجاهات المستمعين مع الثورة الرقمية، أصبح الصوت كمحتوى رقمي بأشكاله المختلفة أكثر استحسانا واستخداما لجيل اليوم.

- الصورة : تعتبر الصورة أكثر أشكال المحتوى الرقمي تأثيرا من الناحية الاتصالية، فالصورة تضم المعاني والرموز والمؤثرات وتمثل أسلوبا جديدا للمعرفة. كما تمتلك قوة تأثير على الجمهور من خلال اعتبارها نصا مرئيا مفتوحا على اللغات بقراءات متعددة ومخزون دلائلي يجعل منها أداة للتواصل بامتياز على المستوى العاطفي، الإدراكي والمعرفي، وإلى جعلها وسيطا حواريا بين الجمهور والمشهد الثقافي والمعرفي عموما. (قاسم و علان ، 2025)

-النص: عبارة عن كلمات أو جمل أو فقرات تستخدم لتوصيل الأفكار والحقائق المتعلقة بجميع جوانب حياتنا، وليس غريبا أن يستخدم النص في الوسائط المتعددة في:

-إعداد العناوين.

- توصيل المعلومات بشكل جمل وفقرات.

- وصف الصور والرسومات.

- تعليمات استخدام البرامج التطبيقية. (مبارك ، 2020)

ثالثا: تطبيق تحليل المحتوى في الفضاء الرقمي بين الفرص والصعوبات المنهجية

يختلف الباحثون فيما تعلق بتحليل المحتوى فهناك من ينظر إليه على أنه منهج قائم بذاته. وهناك من يرى أنه مجرد أداة لجمع البيانات .وبصرف النظر عن كونه آداة أو منهجا، يبقى تحليل المحتوى أو المضمون له استخدام واسع من طرف الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية وخصوصا في مجال الإعلام والاتصال.

إن الدراسات المتعلقة بالانترنيت خصوصا ما تعلق بالجيل الثاني web 2-0 لا يمكن إخضاعها لفئات "المضمون ماذا قيل؟ وفئات الشكل كيف قيل؟" دون مراعاة لخصائص الظاهرة التي تتميز بما يلي (جدعون ، 2022):

-المرونة بحيث يتميز بالتغير المستمر والتجدد الدائم، سواء بإلاضافة أو الحذف أو قد يختفي تماما وهنا تكمن إشكالية أخرى خصوصا في غياب الأرشفة لهذه المجتمعات؛ فلو تصورنا أن باحثا في علوم الإعلام والاتصال بدأ بحثه على إحدى هذه المجتمعات الافتراضية ولتكن مثلا "تجمعا خاصا بالأساتذة الجامعيين" ونظرا لظروف تكون المجموعة تم حلها وبالتالي ضمورها واختفائها دون وجود أرشيف لها، في هذه الحالة يقع الباحث في إشكالية تهدد بحثه، لذا لا بد من دراسة مجتمع بحثه دراسة دقيقة قبل الخوض فيه، وعليه أن يربط الافتراض بالواقع حتى يتمكن من الاستمرار في بحثه، خصوصا إذا كان بحثه محصلة لسنوات دراسة(ماستر،ماجستير،دكتوراه.) ...

-اختلاف طبيعة المجتمع الافتراضي تماما عن طبيعة وسائل ومضامين الإعلام التقليدية، وذلك من حيث دمج أكثر من وسيط في المضمون الواحد (نص/صورة/فيديو/روابط...) إضافة إلى اختلاف اللغة ومستوياتها، حيث تدمج مثلا الأيقونات ضمن النص والصورة والفيديو... وهذا راجع للطبيعة التفاعلية التي أتاحتها التكنولوجيا، ومنه يجب التعامل مع ذلك بطريقة تختلف عن المنظورالتقليدي.

-الطبيعة التفاعلية لمضمون هذه المجتمعات مما يجعلها تقترب من نمط المحادثة، وما يترتب على ذلك من صعوبة ضبط النص الذي سيخضع للتحليل، وهنا على الباحث أن لا يغفل السياق الاتصالي الذي تم فيه تداول المحتوى .

- إشكالية المعاينة، وبالعودة لمجتمع البحث وعادة ما يكون وثائقي في حوامله الفيزيائية، كما يقول أحد الباحثين "البيانات التي يجمعها الباحث مقصورة على دليل وثائقي (جرائد، مجلات، برامج تلفزيونية...) (تمار ، 2007) وعليه، فإن المجتمع الذي سيحلله الباحث في هذه الحالة معلوم مسبقا وهذا التوجه المنهجي يضبط مسبقا، لكن الأمر يختلف تماما بالنظر لطبيعة المجتمعات، فيستحيل على الباحث تحديد ذلك مسبقا بشكل نهائي، وفي حالة المجتمعات الافتراضية يستحيل تطبيق المعاينة الاحتمالية، لذا لابد من اللجوء إلى العينات غير الاحتمالية رغم مساوئها المنهجية ومنها بالتحديد العينة المتاحة، وكرة الثلج، وفي هذه الحالة، يقع الباحث في إشكالية أخرى وهي عدم التمكن من تعميم نتائج بحثه طالما كان الاعتماد على العينات القصدية. وغير ذلك من الخصائص التي جعلت هذه المجتمعات زئبقية بما تحمله الكلمة من معنى، ومنه نسجل أن فئات التحليل التقليدية المتعارف عليها لدى الباحثين، لن تكون لها فعالية ضمن هذا المجال. (جدعون ، 2022)

سمح ظهور الانترنت بفتح آفاق جديدة لمستخدمي أداة تحليل المحتوى، من حيث عملية البحث والوصول إلى المعلومة على خلاف طرق التوثيق الورقية، خاصة وأن كثيرا من الصحف والمؤسسات أصبحت تتيح على مواقعها الإلكترونية الرسمية ما يُعرف بالأرشيف الإلكتروني، أين يستطيع الباحث الرجوع إلى المادة المراد تحليلها مباشرة دون ضرورة الرجوع إلى المؤسسة، كما أن محتوى الويب يتصف بالإيجاز، ما يُساعد الباحث في اختصار وقت تحليل النصوص لأن حجمها أقل من الورقي، بالإضافة إلى أنواع المضامين المختلفة التي يمكن تحليلها كمواقع الأخبار والمؤسسات ومواقع التواصل االجتماعي والمدونات الإلكترونية، إلا أن هذه الإيجابيات لا تلغي ولا تغطي جوانب القصور والعجز التي تواجه الباحث عند تحليله للمضمون الإلكتروني، فعلى الرغم من التزايد الملحوظ في عدد البحوث التي تهتم بالويب كوسيلة اتصالية، إلا أن عدد دراسات تحليل المحتوى يُعد غير كاف وغير واضح المعالم (مبارك ، 2020، ص 83)، وقد يرجع ذلك إلى الأسباب الآتية :

- الجهد المبذول والوقت الذي يقضيه الباحث في تصفح المحتوى الإلكتروني أكثر من جهد ووقت تصفحه للمحتوى الورقي، ويرجع ذلك إلى توهج الشاشة وأثره على التركيز، عدم وضوح الخط في كثير من الأحيان بسبب عدم تناسق لونه مع لون الخلفية المستخدمة، ضعف تدفق الانترنت، التنقل من صفحة إلى أخرى بحثا عن المحتوى،تزاحم الروابط وكثرتها بالإضافة إلى الإعلانات والإشعارت على الموقع ما يبطئ عملية البحث ويُشتت انتباه الباحث ...

- نقص خبرة الباحثين في استعمال التقنيات والبرامج التكنولوجية،لأن التعامل مع الويب يحتاج إلى مهارة إتقان تطبيقاته وكيفية توظيفها، وخصائص كل أداة وشروطها (مبارك ، 2020، ص 84)

-الخلط بين مفهومي التحليل والتقييم، حيث نجد أن أغلب دراسات المحتوى هي دراسات تقييمية سطحية لما ينشر، وليست تحليلا عميقا يسمح بوصف المحتوى وإد ارك المعاني التي يتضمنها. (مبارك ، 2020)

-خلط الكثير من الباحثين بين الوسائط الرقمية وقلة خبرتهم بخصوصية كل وسيط رقمي ومنهجيتة وطريقة تحليله فتحليل موقع إلكتروني يختلف كثيرا عن تحليل صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي وتحليل صحيفة بنسخة pdfيختلف عن تحليل صحيفة بصيغة Floopy أو Html وغيرها

- قلة المراجع المنهجية _بحسب اطلاعنا _ في تحليل المحتوى الرقمي، وقلة الدراسات الأكاديمية التي تخوض في هذا النوع من الدراسات، حيث يتعامل معظم الباحثين مع تحليل المحتوى الرقمي بذات

الأسلوب والمنهجية التقليدية الكلاسيكية ذون مراعاة خصوصية البيئة الرقمية وما أضافته هذه الأخيرة من عناصر يستوجب أخذا بعين الاعتبار في التحليل محتوى الويب في مقدمتها التفاعلية والروابط التشعبية والوسائط المتعددة وغيرها. وهذا ماأدى إلى تطبيق تحليل المحتوى بطريقة سطحية لا تُراعي الشروط المذكورة آنفا.

- ميل الغالبية الساحقة من الباحثين إلى دراسة تأثيرات الانترنيت في سياقات مختلفة على المستخدم وتفضيل الدراسات الميدانية التي تستخدم المقابلة والاستبيان في المقام الأول، وعدم الاكتراث لما يُنشر على البيئة الرقمية، وفي الوسط الجامعي ، لمسنا تغليب الدراسات الميدانية على التحليلية حتى تلك التي تتبع تحليل المجتوى التقليدي خصوصا من قبل الطلبة المقبيلن على التخرج في مستويات مختلفة، سواء تعلق الأمر بطلبة الليسانس أو الماستر أو حتى طلبة الدكتوراه.

لقد طرح الباحث ماكميالن (دليو ، 2015) في هذا السياق عددا من الأسئلة حول دراسة محتوى الشبكة: كيف نتعرف على وحدات المعاينة؟ كيف نجمع البيانات ونصنفها بحيث تكون قابلة للترميز مع العلم أن محتوى الشبكة يتغير بسرعة؟ كيف يتم حل قضايا حقوق المؤلف في حالة تحميل الباحثين صفحات الشبكة بغية تحليلها؟ كيف يتم توحيد وحدات التحليل ونحن نتعامل مع خصائص الوسائط المتعددة للشبكة (نصوص، صور، مقاطع فيديو...)؟ وكيف يتم التحقق من صدق وثبات التحليل المعلوماتي بالحاسوب؟ وهي الأسئلة المتكررة التي يطرحها أي باحث عند تحليله لمحتوى الويب فيما يخص الإجراءات المنهجية وقد يرجع ذلك إلى:

-في كثير من الحالات، لا يوجد إطار محدد يمكن سحب العينة منه، با لإضافة إلى الطبيعة المتغيرة لمضمون الانترنت ، إذ أنه في كل لحظة تظهر مواقع جديدة، وتختفي أخرى، فضلا عن الإضافات والتعديلات المستمرة (زغيب ، 2009، ص 22)

- إشكالية وجود بيانات يمكن أن تكون ذات دلالات غير دقيقة لبعض جوانب استخدام مواقع الإعلام الاجتماعي، فعدد مرات المشاهدة على اليوتيوب لا يعكس كثافة مشاهدة مقاطع الفيديو المنشورة عليه كذلك عدد المعجبين بصفحة ما على فيسبوك لا يعني أنهم يتابعونها باستمرار ويتفاعلون معها

- لا تغطي فئات التحليل التقليدية المتعارف عليها في أداة تحليل المضمون متطلبات تحليل المحتوى المنشور على تطبيقات الإعلام الاجتماعي (صلاح ، 2015)

- الخوف من الاتهام باختراق خصوصية المبحوثين، وانتهاك أخلاقيات مهنة البحث العلمي، من خلال الاطلاع على صفحات مستخدمين قد لا يدركون أو لا يوافقون على توظيف ما نشروه كمادة بحثية

- صعوبة التعامل مع الكم الهائل من البيانات وتدفقها عبر الويب في وقت لاتسمح فيه بعض الوسائل كفيسبوك بعملية تجميع البيانات آليا، والبعض الآخر يحتاج لخبرة فنية مثل التعامل مع API على التويتر.

- يصعب تقسيم رسائل الإعلام الاجتماعي إلى فئات قابلة للعد والقياس،لأنها غير ثابتة ومتغيرة باستمرار

ولا حدود نهائية لها يمكن الوقوف عندها وتحليلها (بخيت ، 2015)

- عدم مراعاة السياق كوحدة تحليل من خلال التعامل مع المضمون الإلكتروني بطريقة آلية وتقنية (استخدام البرامج)، دون اللجوء إلى عملية القراءة المتأنية، بناء المعنى، تحليل الأفكار والتأثيرات الاجتماعية، الثقافية، الحضارية والخلفيات الفكرية وا لإيديولوجية...

- إن محتوى المواقع الإلكترونية يتجاوز حدود النص ذاته إلى كل ما هو متاح على الموقع من معلومات تشمل النص أو النصوص الفائقة، وسهولة القراءة، كما يتعرض الباحث عند التحليل لمجموعة من الوسائل والوسائط المتعددة والتي تتعلق بالمستوى الأفقي، وكذا الوسائل الفائقة المتعلقة بالمستوى التشعبي (بن عيشة ، 2018)

- تتيح مواقع التواصل الاجتماعي استقبال تعليقات الجمهور ومشاركاتهم، ولا تضع عوائق أو حواجز على هذه المشاركات، أو على تصفح المحتوى الموجود عليها واستخدامه، وقلما توجد أي حواجز على ما يضيفه الجمهور، فهي تتسم بأنها مفتوحة أمام مساهمات الجمهور وإضافاتهم فيجد الباحث نفسه أمام محتوى ينتجه مسؤول الصفحة أو الموقع، وآخر ينتجه الجمهور على شكل تعليقات ومنشورات.

- وفرة المحتوى وسيولته، فمقدار المعلومات المخزنة على الانترنت صار يقدر بالتيرابايت وهو قدر ضخم جدا من البيانات، ما يؤشر إلى تحويل كل مستخدمي الانترنت إلى منتجين للمحتوى الاتصالي الذي يتراوح بين سياسي، اقتصادي، ترفيهي،...) (الفلاحي ، 2017)

رابعا: آفاق تطوير تحليل المحتوى الرقمي

لتطوير تحليل المحتوى الرقمي، ينبغي استيعاب الفروقات الجوهرية بين وسائل الإعلام الكلاسيكية والوسائط الرقمية الجديدة، وخصوصيتها التي حتمت ابتكار فئات جديدة تتماشى معها خصوصا على مستوى فئات الشكل، كما ينبغي على الباحث إدراك الاختلافات المنهجية بين وسيط وسيط آخر لمعرفة كيفية التحليل الصحيح، فمثلا تحليل صفحة على منصة انستغرام تختلف عن تحليل موقع إخباري فضلا عن التسليم بتنوع أشكال المحتويات وتعددها.

عند الحديث عن تحليل محتوى الويب لايُمكن إغفال معايير جودة المواقع الإلكترونية، لأن تحديد الكثير من فئات التحليل تستند على هذه المعايير، وهذا ما يغفل عليه عدد من الباحثين، فطبيعة بناء الموقع الإلكتروني تختلف تماما عن المحتوى في أي وسيلة أخرى لأنه خاضع لمعايير الجودة التي نحكم من خلالها على مدى كفاءة وفعالية الموقع في تحقيق الهدف، والتي يُمكن اختصارها فيما يلي (حسن و أبو الرُب، 2012):

- المعيارية والإبحار: يقصد بالمعيارية جودة تنظيم المعلومات داخل الموقع ،بحيث تكون المعلومات التي يعرضها الموقع مقسمة ومصنفة إلى مجموعات واضحة.أما جودة الإبحار، فيقصد بها جودة روابط الموقع واحتوائه على الأدوات الرئيسية مثل قائمة التصفح وأداة البحث الداخلية .ويمكن إجمال مؤشرات المعيارية والإبحار في: الاتساق، دعم الإبحار، أداة البحث الداخلية، عمل الروابط بشكل صحيح،غنى الروابط بالمعلومات، لا يوجد صفحات يتيمة، هيكل منطقي للموقع، قائمة التصفح بسيطة.

- المحتوى: يقصد بجودة المحتوى أن يتضمن الموقع جميع المعلومات التي يحتاجها المستخدمون بفئاتهم المختلفة، ويعرض الموقع أيضا المعلومات بشكل واضح ودقيق يتناسب وتوقعات المستخدمين ويجذبهم لقراءته،ويمكن إجمال مؤشرات المحتوى في: حداثة المعلومات، مدى مناسبة المعلومات، دقة المعلومات دقة القواعد، توفر المعلومات عن المؤسسة ونشاطاتها.

- سهولة الوصول: يقصد بجودة سهولة الوصول أن الموقع مفهرس بطريقة جيدة من قبل محركات البحث، ويسهل توقع عنوانه الإلكتروني والوصول إليه. أما جودة وسائل الاتصال، فتعني أن الموقع غني بمعلومات تسهل على المستخدمين الاتصال بالمؤسسة بأساليب مختلفة، ومن مؤشرات الوصول ووسائل الاتصال: سهولة ايجاد الموقع والوصول إليه، معلومات الاتصال بنا، طلب المساعدة/ خدمة الزبون التوافق، دعم اللغات.

- التصميم: يقصد بجودة التصميم أن الموقع مصمم بطريقة مميزة، وفريدة من نوعها، من ناحية الصفحات والصور والخطوط والألوان. ومن مؤشرات ذلك: تصميم جمالي/ فني، استخدام مناسب للصور،اختيار مناسب للخطوط والألوان، تصميم مناسب للصفحات.

-سهولة التفاعل مع الموقع: يقصد به سهولة تعامل المستخدمين مع الموقع وإجراء العمليات الأساسية بكل سهولة مثل: التسجيل على الموقع، تغيير المعلومات، التصفح، الوصول للمعلومات. إضافة إلى أن الموقع غني بالمعلومات المساعدة لإجراء العمليات الأساسية على الموقع. وفي حالة حدوث أي مشكلة فإن الموقع يتفاعل مع المستخدم ويوجهه لمعالجة المشكلة بأسلوب واضح وبسيط.

كما أن هناك اعتبارات أخرى تسهل على الباحث إجراء بحوث تحليل المحتوى الإلكتروني نذكرها منها:

- محاولة الاستفادة من فكرة الدمج بين معايير جودة المواقع الإلكترونية، ومعايير تقييم الكتب والدوريات الإلكترونية.

-ضرورة الدمج بين الأسلوب الكمي والكيفي عند التحليل، حتى لا يكون البحث أرقاما وإحصائيات فقط تهمل سياق نشر المحتوى وظروفه وحتى تفاعلات الجمهور معه

-محاولة الإلمام بخصائص ومميزات وعيوب الوسيلة الاتصالية التي ينشر من خلالها المحتوى الإلكتروني المراد تحليله، وذلك قبل الشروع في عملية بناء استمارة التحليل، من أجل ضبطها بما يتوافق وهذه الخصائص.

-بناء الاستمارة واختبار ثباتها في فترة زمنية وجيزة من أجل تفادي إشكالات التحديث والتغيير والحذف التي تطرأ على المحتوى.

-الابتعاد عن القولبة والنمطية في تحديد فئات تحليل المضمون الإلكتروني، مع ضرورة إسقاط خصائص وخدمات الموقع أو التطبيق الإلكتروني من جهة، وخصائص كل أسلوب عرض من جهة أخرى

-اختيار العينة بما يتناسب وخصائص كل وسيلة ومعدل النشر، فمثلا، قد نعتمد عينة الأسبوع الصناعي في حالة النشر اليومي المنتظم، أو قد نعتمد على العينة القصدية في اختيار منشورات مؤسسة إعلامية فترة الانتخابات .

-عدم إهمال مشاركات الجمهور في الموقع لأنها جزء لا يتجزأ من المحتوى الذي نشر على الموقع (مؤسسة أو فرد)

-ضرورة تحليل الرموز التعبيرية وفق ثقافة كل منطقة وعاداتها الاتصالية، بالإضافة إلى ضرورة تحليل السياق الذي ذكرت فيه.

-استخدام الأساليب البحثية المناسبة والاعتماد على النظريات الحديثة التي تناولت هذه المجتمعات فمن غير المنطقي استخدام نماذج أو نظريا ت الإعلام التقليدية التي تعتمد على أحادية الاتجاه من أجل معالجة ودراسة مجمع متشابك وبالغ التعقيد، فالمتلقي في حالة اندماج مع المنتج أو المرسل، "خاصة وأن تعقد العلاقات وتشابكها التقني والاجتماعي وبين الفرد والبنية الاجتماعية، ينفي وجود علاقة رأسية مباشرة بين السبب والنتيجة في علوم الاتصال ، ومثال ذلك الاستعانة بتقنية تحليل الشبكات بالاعتماد على البرمجيات المخصصة لذلك والمناسبة Web crawlers* وتدعيم ذلك بأسلوب تحليل المحتوى، حيث يمكن الربط بين تحليل المضمون المنشور في هذه المجتمعات، وطبيعة تكوينها والعلاقة التي تربطها، وهنا يمكن أن نشير إلى صعوبة تحليل المحتوى المتعلق بالمضمون الاتصالي للفضاء الرقمي والتي عادة ما تأخذ طابع المحادث وما تحمله من تعقيدات من لغة ورموز تعبيرية وأيقونات (العياضي ،2014 ، ص 124)

ينبغي الاستعانة بالأدوات البحثية المناسبة إذ اقتضى الأمر حتى يكون التحليل عميق ومتكامل معرفيا،لا يقف عند حدود التحليل الكيفي السطحي فقط ولا يكتفي بظاهرية الأفكار وجاهزيتها فحسب بل يغوص في عمق المعاني المبطنة محاولا ربطها بالسياق الاجتماعي والإعلامي والثقافي الذي طُرحت فيه، ممثال ذلك تعزيز تحليل محتوى مادة اتصالية رقمية معينة بالتليل السيميائي الذي يكشف المستور ويعطي دلالات كيفية عن القيم والمعاني المبطنة.

هوامش الفصل

1. الفلاحي ,ح .(2017) .التفاعلية وما بعد التفاعلية في الإعلام الجديد .لبنان :دار الكتاب الجامعي

*تستخدم هذه التقنيات في تتبع شبكة الروبط والإحالات الموجودة في مجتمع الدراسة على شبكة الانترنيت حيث تكشف العلاقة بين هذه المجتمعات وشكل الارتباط وأنواعه ومساره ،حيث يمكن من خلال ذلك الإجابة على سؤال: "من؟/ "ماذا؟"

2. النوايسية ,غ .(2015) .مصادر المعلومات الإلكترونية في المكتبات و مراكز المعلومات ط 1عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع.

3. بخيت ,ا .(2015) .الإشكاليات النظرية والمنهجية لبحوث وسائل التواصل الاجتماعي قراءة تحليلية .وسائل التواصل الاجتماعي التطبيقات والإشكالات المنهجية .المملكة العربية السعودية : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ص ص 02-01 .

4. بن عيشة ,ع .(2018) .تحليل المحتوى الإعلامي .عمان :دار أسامة للنشر والتوزيع .

5. تمار ,ي .(2007) .تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين. ط1. الجزائر :طاكسينج كوم للدراسات والنشر والتوزيع.

6. جدعون ,ز (13دسيمبر 2022) .صعوبة تحليل المحتوى في الفضاء الرقمي .مجلة الحوار الثقافي ص ص148 - 170

7. حسن ,ل & .,أبو الرُب ,ع .(2012) .إطار نظري لتقويم جودة المواقع الأكاديمية .المجلة العربية الدولية للمعلوماتية. (1)1 . ص ص12-6 .

8. دليو ,ف .(2015) .تقنيات المعاينة في العلوم الإنسانية والاجتماعية .الجزائر :دار هومة للنشر والتوزيع .

9. زغيب ,ش .(2009) .مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات الإعلامية . ط .1 القاهرة :الدار المصرية اللبنانية.

10. صلاح ,م .(2015) .الإشكاليات المنهجية في دراسة تطبيقات الإعلام الاجماعي .مؤتمر وسائل التواصل الاجتماعي-التطبيقات والإشكالات المنهجية .المملكة العربية السعودية ::جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ص ص .(.5-6)

11. عبد الفتاح ,أ .(2021) .استخدام طلبة الجامعات للرموز التعبيرية الإيموجي بمواقع التوصل الاجتماعي وانعكاساته على إدراك جودة الصداقة الافتراضية .4 (58) .ص ص 1809-1864

12. قاسم ,س. علان ,أ(جوان2025) مفاهيم ومكونات تحليل المحتوى الرقمي وصعوباته المنهجية . مجلة متيجة للدراسات الإنسانية 5(2) . ص ص 67-60

13. قاسيمي ,ن. لراري ,ع .(2021) .المنهجية التطبيقية .دار التل للطباعة والنشر .

14. العياضي ,ن .(2014) .وسائط جديدة وإشكاليات قديمة :التفكير في عدة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية .المجلة الجزائرية للاتصال,(22) ص 124

15. مبارك ,ر .(2020) .الإشكاليات المنهجية في تحليل محتوى الويب .(19)المجلة الجزائرية للاتصال.

الفصل التاسع نموذج تطبيقي (تحليل محتوى مدونة إلكترونية بيئية)

تمهيد

على المستوى النظري، يبدو الإسهاب في شرح تحليل المحتوى والخوض في حيثياته وجوانبه المختلفة بإسهاب سهل لفهم والاستيعاب، لكن على مستوى التطبيق، تعترض المحلل والطالب خصوصا وأن تحليل المحتوى بصيغته الكلاسيكية عصي على ثلة كبيرة من الطلاب، لسببين أساسين أولهما أن التدريب على استخدام هذه الأداة يكاد يكون منعدما في العديد من الأقسام على مستوى جامعات الوطن، إذ يكتف معظم الأساتذة بتدريسه كمحاضرة وبحث ضمن مقياس مناهج وتقنيات البحث في علوم الإعلام والاتصال للسنة الثانية لياسنس والذي على كثرة موضوعاته، وضيق الوقت، لا يتسنى التعمق في دراسته نظريا وميدانيا. وأما السبب الثاني، فيمكن في أن الدراسات التحليلية تيار بحثي غير مُحبذ للكثيرن من الطلبة الذين يعزفون عنه ويجدون ملاذا في الدراسات الميدانية التي تحتكم إلى الاستبيان كثيرا والمقابلة أحيانا، فتلك موضة بحثية في الجامعة.

استنادا لما سبق طرحه والذي يُشرح الوضع الواقعي لتدريس تحليل المحتوى والمنهجية عموما ، وعطفا على ما سبق تناوله في الفصول الفارطة، ارتأينا تعزيز محتوى الكاتب بمثال ميداني تفصيلي يُراعي خطوات تحليل المحتوى الرقمي ويشرح مقتضيات كل مرحلة ونخص بالذكر فئات ووحدات التحليل لأنها الأصعب في الضبط واستكمالا لها يتخذ تحليل المحتوى الرقمي باقي خطوات نظيره في زيه الكلاسيكي من تحليل للبيانات وتفسير كمي وكيفي لها واستخلاص النتائج وهذا طبعا بعد ضبط الاستارة وتحكيمها وإجراءات الصدق والثبات المتعارف عليها والتي سبق شرحها بتفصيل، لضمان جاهزية وصلاحية الأداة لقياس ما يُفترض قياسه.

أولا: بطاقة تعريفية لمدونة المنظمة العالمية لحماية البيئة " OMPE"

تعتبر مدونة "OMPE " مدونة تابعة للمنظمة العالمية لحماية البيئية وتسميتها واردة عن اختصار "Organisation Mondiale pour la Protection de l'Environnement"، هذه الأخيرة تأسست بفرنسا عام 2013 على يد رجل الأعمال والإيكولوجي الفرنسي."Gilles Lazzarini" .تمتلك هذه المنظمة مكاتب في مدن فرنسية عديدة منها "باريس " Paris "و" نيس..." Nice "

يعالج موقع المنظمة مواضيع بيئية ذات طابع عالمي وليس على مستوى بلد أو قارة فحسب، وتكمن قوة وخصوصية المنظمة في كونها جزءا من الإدارة العالمية والمستعرضة لقضايا البيئة بكل أمانة وشفافية مما يجسد بصمتها وتميزها في العالم. وتعتبر منظمة عالمية غير حكومية مستقلة عن أي هيئة أو تجمع سياسي، إيديولوجي أو ديني وتسير المنظمة بفضل تبرعات أعضائها وتبرعات ومنح الشركات والمستفيدين.

للمنظمة هدف أساسي هو حماية كوكب الأرض، حيث تساعد على تصحيح أخطاء الماضي المرتكبة في حق البيئة من خلال السعي لاستعادة بيئة عالمية صحية، وتسعى المنظمة جاهدة لضمان بيئة نظيفة ومستقبل مستدام لأطفالنا والأجيال القادمة.

من المواضيع التي تتناولها التنوع البيولوجي، إزالة الغابات، نوعية الهواء والماء، تغير المناخ، الطاقة، مكافحة التلوث بكافة أنواعه ...في سبيل حماية كوكب الأرض .

يغطي الموقع الإلكتروني للمنظمة كافة نشاطاتها ومهامها وفعالياتها ويحتوي على العديد من الأقسام من بينها المدونة، وسجلت المنظمة نشاطات وتعاملات مختلفة مع وسائل إعلام عالمية وعربية من بينها الإذاعة الوطنية الجزائرية، " RCF radio"، "BBC Afrique"، ..."France Culture"يغطيها موقعها الرسمي كما عرضت بعضها على رابط المدونة.

أما عن المدونة، فهي أحد أقسام الموقع الأساسي للمنظمة، في حال النقر عليه يتم إحالة المستخدم إلى رابط الكتروني آخر تابع للموقع ولكن ناشط باسم المدونة ويحتوي مجموعة من التصنيفات والمدونات مندرجة ضمن أرشيف إلكتروني مرتب من الأحدث إلى الأقدم، كما تعزز المدونة نشاطاتها بروابط وصفحات على أغلب مواقع التواصل الاجتماعي في مقدمتها الفايسبوك والانستغرام. (1907(

رغم التصفح المعمق مليا للمدونة، لم يتم العثور على أي ملف شخصي يعرض هوية المدون أو سيرته عبر المدونة التي ينشط من خلالها كما هو معمول بع في الكثير من الحالات، وقد تم الإطلاع على الموقع

الرسمي للمنظمة على اعتبار أن أعضاء المنظمة من الصحفيين والناشطين الإيكولوجين لهم علاقة وطيدة بالمدونة

وتم الحصول على بعض المعلومات البسيطة المتعلقة بصاحبة المدونة:

"Julia Perez "ناشطة إيكولوجية ومصورة فوتوغرافية مختصة في الطبيعة والحيوان وهي عضو من أعضاء منظمة "OMPE" مكلفة بالتحرير والكتابة عن نشاطات المنظمة وتغطية الأحداث والأخبار البيئية عبر العالم في موقع المدونة وذلك باللغتين الفرنسية والانجليزية.

-تتوفر في المدونة كل المزايا التقنية للتدوين الإلكتروني بداية من واجهة المدونة أو ما يعرف بالصفحة الرئيسية إلى باقي أقسامها وبواباتها، ويتميز موقعها بالخصائص التالية:

-سهولة الوصول إلى الموقع وتصفحه .

-توفر المواد التي يتيحها الموقع باللغتين الفرنسية والانجليزية .

-وجود الأرشيف الإلكتروني للتدوينات مرتبة من الأحدث إلى الأقدم منذ 2016

-يتميز الموقع الإلكتروني للمدونة بالنشر المتواصل دون انتظامه، حيث نجد أن التدوينات لا تخضع لأي دورية منتظمة في الكتابة .

-إمكانية البحث عن المعلومة أو أي تدوينة من خلال شريط البحث .

-استخدام تقنية الوسائط المتعددة.

-تعرض التدوينات الحديثة دوما على الصفحة الرئيسية.

-استخدام خاصية الروابط التشعبية والنصوص الفائقة في بعض التدوينات البيئية .

-يعرض الموقع بعض البيانات المتعلقة بالمدونة التابعة رسميا للمنظمة كصفحتها عبر الفايسبوك والانستغرام.

-خاصية مشاركة المحتوى عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

-تنظيم محتويات المدونة وفق العامل الزمني من خلال الصفحة الرئيسية تقود إلى المواضيع المباشرة.

أما فيما يخص التدوينات، فيمكن استخلاص الخصائص التالية:

-مكونات أساسية ممثلة بعنوان المدونة، إسم كاتبها، نص التدوينة البيئية وتاريخ نشرها، أما الاختيارية فتتمثل في التعليق وبعض الروابط أحيانا.

وعموما، يمكن اتخاذ العديد من التصنيفات كمعيار لتحديد نوع المدونة:

-مدونة شارحة تتبنى مجال البيئة بقضاياها ومشكلاتها وعلاقتها مع مجالات أخرى.

-مدونة نصية مع احتوائها على مزيج من الوسائط المتعددة.

-مدونة أخبار تتولى تغطية الأحداث البيئية المختلفة ونقل مجرياتها.

-مدونة علمية متخصصة

-مدونة خبراء باعتبارها تابعة لمنظمة بيئية متخصصة، تعرض خبرتها في مجال البيئة للمتصفحين.

وقع اختيارنا على هذه المدونة دون غيرها باعتراها مدونة رسمية تابعة لمنظمة لا تُعبر عن نشاط شخصي كما أنها امتداد للموقع ، وبالتالي فهي تخضع لنفس مقاييس ومعايير تحليل المواقع وهي الأصعب لأنه حسب اطلاعنا، لا توجد دراسات عربية كبيرة يمكن الاعتماد عليها كنماذج كاملة في تحليل المحتوى الرقمي

:

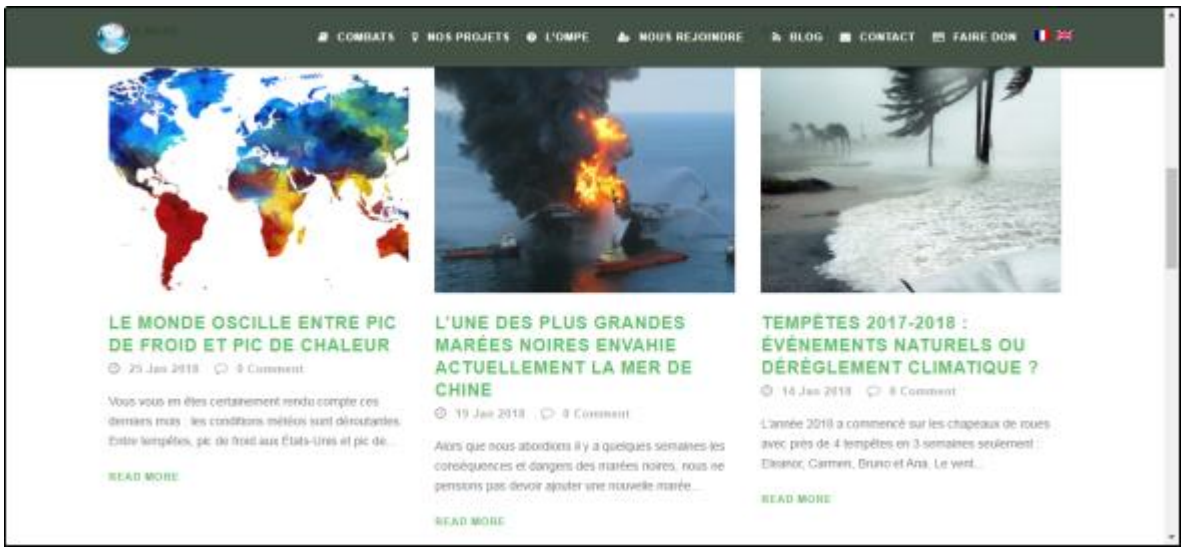

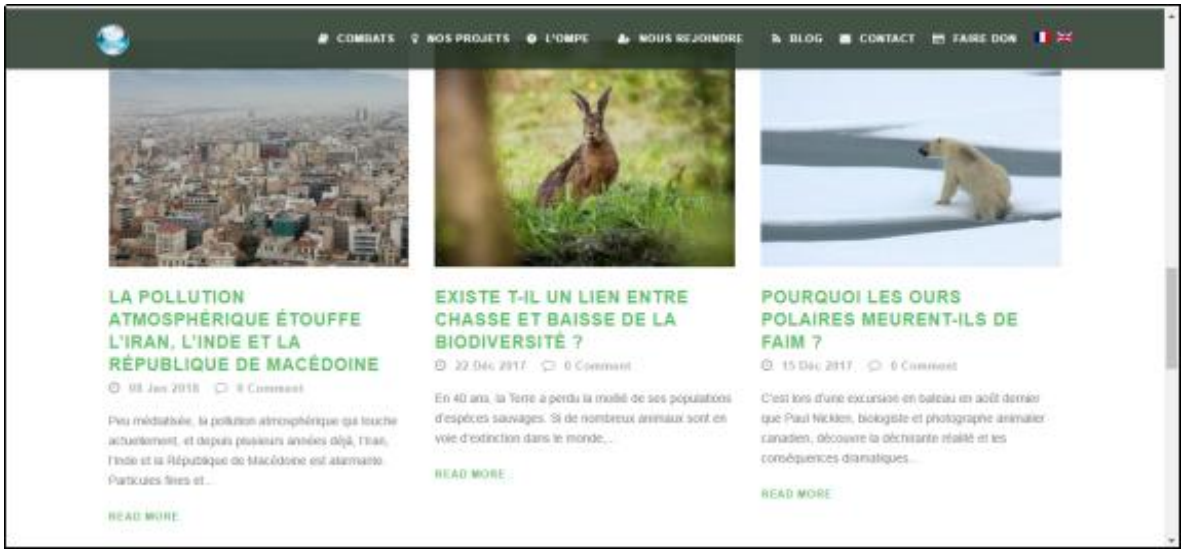

شكل 1 يوضح واجهة مدونة المنظمة العالمية لحماية البيئة

ثانيا: الإجراءات التطبيقية لتحليل محتوى منظمة OMPE

هناك حد أدنى من الفئات التي يعتمدها الباحثون في تحليل محتوى اتصالي والتي تعد عموما متشابهة من حيث التصنيفات والتسميات، غير أن طبيعة المحتوى والوسيلة المستخدمة في عرضه تفرض بعض الفئات وتستبعد فئات أخرى، فإذا كان المطبوع مثلا يعتمد على فئة المساحة كمؤشر لقياس أهمية المحتوى، فإن الحجم الساعي هو الدلالة على ذلك إذا ما تعلق الأمر بمحتوى سمعي أو سمعي بصري، وهناك تصنيفات وفئات جديدة استحدثت باتجاه الأبحاث نحو تحليل المحتوى الاتصالي الرقمي .

والجدير بالذكر أنه يصعب استخدام وتطبيق أداة تحليل المحتوى بأساليبه التقليدية في تحليل نصوص ومنتجات رقمية أيا كان الوسيط المتواجدة فيه، والذي فرض ابتكار فئات ووحدات للتحليل أكثر ملائمة لخصوصية وطابع المحتوى الرقمي خصوصا على مستوى الشكل، أين يتخذ الإعلام الالكتروني حلة جديدة في التصميم الصحفي مغايرة للإخراج الصحفي التقليدي،كما يتم تكييف المضمون وفق ما تقتضيه طبيعة الموضوعات المراد تحليلها. وحسب الدراسة الاستطلاعية المعمقة، تفتقر معظم الدراسات الإعلامية العربية التحليلية للمنهجية السليمة في التعامل مع المحتوى الاتصالي الرقمي، حيث أن أغلبية الدراسات التي تم رصدها والإطلاع عليها تتعامل مع تحليل المضمون بشكله التقليدي مع وجود فروقات بسيطة لا تعبر عن جوهر التغيير بين المضمون الاتصالي في الإعلام التقليدي والجديد، فالمدونات الإلكترونية مثلا، يصعب تصنيفها بشكل حاسم ضمن وحدات قابلة للعد والقياس أو فئات جامعة مانعة، لأن التدوينات تتشكل وفق بروتوكول الاتصال وليس وفق شكل ثابت ومحدد،

وعليه تم الاجتهاد في تكييف وحدات وفئات التحليل وفق ما تقتضيه الدراسة والوسيط المختار وهذا بعد الإطلاع و المراجعة المعمقة مرارا للمدونة محل التحليل وبعض الدراسات التحليلية للمضامين الإلكترونية.

1- تحليل المحتوى من حيث الشكل (فئات كيف قيل)

1-1 بيانات أولية: وتتضمن معلومات عامة حول المدونة

-إسم المدونة

-تاريخ إنشاء المدونة

-العنوان الفعلي. (إن كانت تابعة لمؤسسة ناشطة)

-الرابط الالكتروني.

-رقم الهاتف والفاكس إن وُجدا.

-تاريخ التدوينات مرتبة حسب الأرشيف.

2-1 فئات كيف قيل وهي الفئات المتعلقة بشكل المحتوى الاتصالي وتضم:

أ-فئات متعلقة بتواجد المحتوى الاتصالي

-فئة معدل النشر: ويقصد بها معدل نشر وورود المواضيع البيئية في شكل تدوينات خلال الفترة المقررة للدراسة.

-فئة موقع النشر: يقصد بها موقع التدوينة البيئية من بوابات وأقسام المدونة وتضم هذه الفئة: رئيسية حيوانات، مدونة، نشرة صحفية، بيئة، ركن صوت وفيديو، غير مصنف ، جدول زمني.

ب-فئات متعلقة بالبناء العام لموقع المدونة: يقصد بها الوحدات الأساسية الثابتة التي تشكل الهيكل العام لموقع المدونة وتنقسم إلى مكونات ثابتة غير تفاعلية وأخرى ثابتة تفاعلية.

- مكونات ثابتة غير تفاعلية:

-مساحة الموقع تتكون من ثلاث أجزاء رئيسية هي أبعاد الموقع، ارتفاع الموقع والمساحة الكلية للصفحة الرئيسية بأجزاءها الثلاث وهي الرأس والجسم والذيل.

شكل 2 يوضح مكونات هوية موقع مدونة المظمة العاليمة لحماية البيئة

-مكونات هوية الموقع وتضم هذه الفئة إسم الموقع، نوع الشعار وصفته وموقعه، وتسمى بالترويسة تحدد طبيعة الموقع وتوجهه، كما تتضمن عناصر مكملة مثل: اتصل بنا، انضم إلينا

-القائمة الرئيسية للموقع وتضم نوعين من القوائم ثابتة أو بعض أقسامها ثابت وتفرعية عادة ما تكون قائمة منسدلة

-أسلوب عرض قوائم التجوال يتبع الموقع أسلوبين في إخراج قوائم التجوال وهو نموذج أعلى الصفحة الرئيسية ويمين الصفحة الرئيسية.

-أسلوب إخراج الموضوعات يضم جانبين:

اتجاه عرض الموضوع رأسي

أسلوب الإخراج الذي يشمل أسلوب الوحدات الإلكترونية دون أسلوب البوابة أو الأسلوب المختلط الذي يمزج بينهما.

-نوعية الخطوط المستخدمة في مواقع الدراسة وكذلك حجم الخطوط بالنسبة للعناوين والمتن.

-الإعلانات في موقع الدراسة: إن وُجدت

- مكونات ثابتة تفاعلية وتشمل:

-عناصر تفاعلية معلوماتية وهي الأدوات التي تزود المستخدم بالمعلومات التي يريدها وتشمل:

محركات البحث: بحث داخلي أي داخل الموقع أو بحث خارجي خارج الموقع.

الأرشفة: أرشيف المواد المنشورة، مدة الأرشيف المتاحة.

خريطة الموقع.

-عناصر تفاعلية تواصلية وهي الأدوات التي تتيح للمستخدم التواصل مع الآخرين وفقا لاختياراته وتضم:

البريد الإلكتروني : بريد خاص بالموقع، دون وجود بريد خاص بأقسام المدونة أو بالكاتب.

شبكات التواصل الاجتماعي: Facebook Twitter, Instagram, Myspace ,Pinstrest, Reddit, Digg, Mix

استفتاءات الرأي، المنتديات، غرف الدردشة

- الخدمات الإضافية:

تتيح المواقع الإلكترونية عادة العديد من الخدمات الإضافية تتعلق ببعض المجالات التي قد تهم المستخدمين وتلبي احتياجاتهم، تتراوح عادة بين خدمة الرسائل النصية القصيرة، خدمة اللغة الخدمات المبسطةRSS ، أسعار العملات، أحوال الطقس، دليل المواقع...

ت-فئات متعلقة بالعناصر البنائية لجسم موقع المدونة وهي عوامل الجذب الداعمة لموضوعات البيئة تعتبر ذات أهمية قصوى في التصميم الإلكتروني، وتضم العناصر الجرافيكية الأساسية والثانوية.

-عناصر جرافيكية أساسية: وتضم بدورها

-العنوان يعتبر البوابة الأولى للموضوع الإعلامي عموما، فهو يعبر عن مضمون المادة الإعلامية المنشورة ويلفت انتباه القارئ إليها بسرعة. وقد تم تصنيفه وفق الفئات التالية:

أسلوب العنوان: تقريري ، استفهامي، تعجبي، اقتباسي ووصفي.

شكل العنوان :رئيسي، عنوان رئيسي وعناوين فرعية.

-الصور يقصد بها الصور المصاحبة للتدوينات البيئية، وتنقسم إلى:

فئة نوع الصورة: صور طبيعية، صور شخصية، رسوم توضيحية، جرافيك، أكثر من نوع، أخرى.

فئة صيغة الصورة: وهي صيغ رقمية تم وفقها إخراج الصورJIF :،JEPG، PNG، أكثر من صيغة.

-الوسائط المتعددة تستخدم كدعائم تصاحب التدوينات البيئية، وتنقسم إلى:

.نص+صور، نص+صور + انفوجرافيك، مقاطع فيديو ومقاطع صوتية، صور فقط، دعائم متنوعة

-النصوص الفائقة: يعرف النص الفائق على أنه قاعدة معلومات تسمح للقاريء بالتعمق فيما وراء النص الأصلي، حيث يمكن مستخدم الحاسب الآلي من التجوال بين الكلمات أو العناصر المتصلة بنصوص أو صور أو موسيقى أو فيديو وغيرها وهو أساس التجول على الموقع إلكتروني. وتضم هذه الفئة أنواع النصوص الفائقة المستخدمة:

نص فائق داخل الصفحة الرئيسية، نص فائق داخل الموقع، نص فائق خارج الموقع، روابط داخلية وخارجية،دون روابط فائقة.

- عناصر جرافيكية ثانوية: تشمل هذه الفئة

-فئة الألوان: يعتبر إضفاء الألوان على الموضوع الإعلامي أمرا في غاية الأهمية سواء كان ذلك بالنسبة للصور أو للعناوين أو الأرضيات أو المتن.

-استخدام الحدود والفواصل ممثلة بالخطوط، الصور، العناوين، الإطار والبياض وتشكل عناصر للفصل بين مكونات المادة الإعلامية، فالفواصل تكون بين الكلمات والسطور، ويعتبر الإطار سياجا يرسم حول الموضوع من أجل إبرازه وإضفاء الأهمية عليه. (علي، 2002، ص 237)، أما البياض فهو يشير إلى ترك مساحات بيضاء فارغة غير مغطاة بحروف أو أي عنصر آخر من عناصر المادة الإعلامية. تستعمل عناصر الفصل لتنظيم المحتوى وإعطاءه شكلا مريحا يجذب القارىء ويسهل عملية القراءة.

ث-فئة أساليب التفاعلية المتاحة للمستخدم: وتضم هذه الفئة

-التعليق ويتخذ شكل التعليق بنص أو التعليق بصورة،أو يكون بدون تعليق.

-مشاركة المحتوى.

-إرسال.

ج-فئة اللغة المستخدمة: تهتم بطبيعة اللغة المستخدمة في التطرق لقضايا البيئة وتضم:

لغة النشر : فرنسية، انجليزية.

طبيعة اللغة المستخدمة: لغة علمية تستخدم المصطلحات والمفاهيم العلمية، لغة إعلامية تتسم بالبساطة والوضوح والمباشرة، مزيج بين اللغة العلمية والإعلامية.

د- فئة القوالب الصحفية: وهي الطرق أو الأشكال الفنية التي يتم وفقها صياغة وإخراج المادة الصحفية منها ماهو تقليدي ومنها ماهو حديث مبتكر خصيصا للبيئة الرقمية:

-الهرم المقلوب: "يستعين هذا القالب بالمقدمة الموجزة والانتقال منها لقائمة العناوين أو العناصر الرئيسية داخل الموضوع وكل منها مكتوب بشكل مستقل مع وجود علاقة لاخطية تربط هذه العناصر ببعضها البعض."

-السرد المتسلسل: "يعمل على تقسيم الموضوع إلى مقاطع قصيرة ومن ثم يكتب بطريقة خطية سردية دون وصلات تتيح الانتقال غير الخطي، ويراعى فيه وضع نهاية شيقة لكل مقطع حتى يستأنف المتلقي قراءته يستخدم هذا القالب في عرض الموضوعات ذات الطابع الدرامي."

-قالب النص الطويل: "يعني عرض النص على شاشات متتالية بحيث يطلع عليه المستخدم عن طريق أشرطة التصفح يتلاءم والمضمون الذي يستدعي عرضه شكلا خطيا كما أنه لا يختلف كثيرا عن النموذج التقليدي المستخدم في المطبوعة ." (علم الدين ،2005 ، ص 132)

-نمط لوحة التصميم: من أنسب الأنماط في تحرير الأخبار على شبكة الانترنيت، يعتبر هذا النموذج أن الخبر الإلكتروني يتميز عن المطبوع باستخدام كافة الإمكانيات التي تتيحها بيئة عمل الانترنيت خاصة الوسائط المتعددة والتفاعلية ويدمج هذا النمط النص مع الصورة بالإضافة إلى رجع الصدى إلى القصة الإخباري . (بلخيري ،2014 ،ص 190)

-نمط القائمة: يفيد في تحرير الأخبار عندما يكون للمحرر عدة نقاط مهمة يود الحديث عنها، يقوم على وضع معلومات الخبر في شكل قوائم داخل الخبر أو في خاتمته. (عبد الفتاح ،2014 ، ص194)

-فئات أخرى

ذ-فئة الأجناس الصحفية: ويقصد بها الأشكال الصحفية المتبعة في تحرير التدوينات المتعلقة بالبيئة:

-الخبر: تقديم معلومات جديدة عن واقعة أو حدث يهم عددا من القراء. (خضور ،2004 ، ص 117) ويشير الخبر الالكتروني إلى المعلومات التي يتم بثها عبر الانترنيت، ويخضع أغلبها إلى التحديث وتزود بالصور والخلفيات إلى جانب ربطها بالأحداث المشابهة (عبد الفتاح ،2014 ، ص 105) ويتضمن تزويد المتصفحين للمدونة بمعلومات موضوعية عن الأحداث البيئية المختلفة.

-القصة الخبرية: قصة تبنى على خبر صحفي في شكل موضوع جذاب. حيث تتم صياغة الموضوع البيئي بطريقة مشوقة لاستمالة المتصفح.

-التقرير:مادة إخبارية تخدم فكرة واحدة وتعلق على ما هو أعمق من الخبر ويستمد من المعلومات الموثقة ، حيث يعتني التقرير بتفاصيل الحدث البيئي بشكل أكبر.

-التحقيق: نوع صحفي إخباري مستقل ومميز، يعده صحفي كفء، ويعكس شريحة واسعة وعميقة من الواقع الموضوعي، فيتوجه إلى قارئ نوعي مهتم ومختص، فيقدم الوصف والتحليل بناءا على آراء مختصين وخبراء. يتناسب مع بعض المواضيع والأحداث البيئية التي تتطلب التقصي والتحليل بالنظر في خلفياتها ومسبباتها وما إلى ذلك أو كيفية حدوثها خصوصا ذات الطابع المعقد .(خضور ،2004 ، ص117)

-المقال: يعبر بشكل مباشر عن سياسة الصحيفة أو آراء بعض كتابها يقوم بشرح وتفسير الأحداث الجارية والتعليق عليها بما يكشف أبعادها ودلالاتها المختلفة. ويتراوح من خلال المدونة بين مقال الرأي والمقال التحليلي.

-التعليق: نوع صحفي يتضمن رأيا واضحا وصريحا ومحددا حول قصة أو حدث ما ويضع الكاتب وجهة نظره التي تدعمه ويحاول إقناع القارئ بها، يستخدم في المدونة للتعليق على بعض الأحداث والقضايا البيئية.

-أنواع صحفية أخرى.

3-1 فئات ماذا قيل تتعلق هذه الفئات بمضمون المادة الاتصالية المراد إخضاعها للتحليل، وقد تم تصنيفها كالتالي

أ-فئة الموضوع: وهي الفئة الرئيسية الأولى في استمارة تحليل المضمون وتعني منهجيا الموضوعات التي تتناولها المادة الموجودة ضمن وحدات الاتصال (الوفائي ،1989، ص 158) حيث يضم كل موضوع جوانب مختلفة كفئات فرعية

ب-فئة الفاعلين في الموضوع: ويقصد بها الشخصيات المتضمنة في التدوينات البيئية والمعنية بمواضيعها أو المشاركة في صنع الحدث وتنقسم إلى:

-حكومات، منظمات وجمعيات بيئية، صيادين، مواطنين، "OMPE"، أكثر من فاعل، أخرى، دون فاعلين.

ت- فئة النطاق الجغرافي للموضوع: ترتبط بخصوصية الموضوع المتناول من حيث نطاقه الجغرافي وتضم:

-دولي، إقليمي ومحلي

ث-فئة المصادر: وهي المصادر التي تم الاستناد إليها في كتابة التدوينات البيئية وتم حصرها في:

-خبراء ومختصون، منظمات بيئية، منظمة"OMPE" ، دراسات وأبحاث بيئية، مراكز بيئية، صحافة سلطات رسمية، أكثر من مصدر، دون مصدر.

ج- فئة الوظيفة: يقصد بها الأدوار الذي تؤديها التدوينات البيئية، ويمكن تلخيصها في:

-الإخبار، التفسير، التثقيف، التوعية، إحداث الدوافع وتعزيزها، الإعلان و التنشئة الاجتماعية

د-فئة الهدف يقصد به الأهداف التي يرمي المحتوى البيئي إلى تحقيقها، تنقسم إلى مستوى فكري وانفعالي وسلوكي حسب أهداف الإعلام البيئي عموما وتضم هذه الفئة:

-تغيير اتجاهات خاطئة أو سلوك سلبي نحو البيئة

-تعزيز اتجاهات ايجابية نحو البيئة.

-تشكيل الوعي البيئي

-متابعة مظاهر الإضرار بالبيئة

-تكوين مواقف وقيم بيئية.

-المشاركة في حماية البيئة

ن-فئة أسلوب المعالجة: تتضمن هذه الفئة طريقة عرض مواضيع البيئة، وتضم:

-أسلوب عرض المشكلة، أسلوب ابتكار الحلول، أسلوب مزدوج يجمع بين عرض المشكلة وتقديم الحلول.

هـ-فئة الاستمالات الاقناعية: تعرف الاستمالة بأنها "العملية التي نقوم بها للتأثير في الآخرين عن طريق استخدام كافة الأدلة والشواهد والبراهين والميول والرغبات لتقبل ما تقدمه لنا من أخبار وأفكار وآراء للقيام بعمل معين أو تكوين اتجاهات محددة، وهي إجرائيا الأساليب المتبعة في طرح المضمون البيئي لإقناع المستخدم أو المتصفح به وتنقسم بدورها إلى:

-استمالات عقلية: شواهد، إحصائيات، مقارنات، وجهة نظر، تنبوءات ، مزيج

-استمالات عاطفية: استخدام الشعارات والرموز، ترغيب، استخدام أساليب لغوية، إبراز الجهود التطوعية في حماية البيئة.

-استمالات التخويف : التهديد، التحذير، التركيز على المخاطر.

-استعمال أكثر من استمالة.

-بدون استمالات.

و-فئة القيم:وهي القيمة التي يحملها المضمون المتعلق بالبيئة، تتمثل أساسا في:

-التضامن لحماية البيئة، المحافظة على البيئة، الوقاية من مخاطر التدهور البيئي، المسؤولية اتجاه البيئة

أخرى، دون قيم.

ي-فئة الجمهور المستهدف: يقصد به الشريحة التي تستهدفها التدوينات البيئية وتضم:

جمهور عام، سلطات ، جمعيات ومنظمات، أخرى.

وحدات التحليل

تعتبر وحدات التحليل أصغر عنصر في تحليل الموضوع وأكثرها أهمية. (العبد ،2009 ، ص 47)

ويقصد بها جوانب الاتصال التي سيتم إخضاعها للتحليل والعد والقياس، تتحدد وفقا لطبيعة المضمون وأهداف التحليل، يستعان بها في تقسيم مضمون المادة المدروسة إلى عناصر تسهل الوصول إلى تحليل كمي ونوعي للمضمون، وقد تم اختيار :

-وحدة الفكرة:تعتبر الأكثر شيوعا واستخداما في بحوث الإعلام، تحكم تناول المحلل للوحدات الأخرى كوحدة الكلمة، الجملة والفقرة، يتم بناؤها بدقة خدمة للمعنى المراد توصيله وهي جملة أو عبارة تتضمن الفكرة التي يدور حولها موضوع التحليل.

-وحدة العد والقياس يقصد بها معدل التدوين المتعلق بالبيئة، حيث يساعد هذا الأسلوب في الوصول إلى نتائج كمية من خلال حساب التكرار في وحدات الفئات.

بعد اختيار الفئات وتعرفيها إجرائيا واستكمال تحكيمها بعض صياغتها في شكل استمارة، يشرع الباحث في تحليل العينة المطلوبة وفق الخطوات اللازمة ومن ثمة يستخلص النتائج اللازمة في ضوء خصوصية الدراسة

هوامش الفصل

1. العبد , ع .(2009) .استطلاعات الرأي العام تصميمها تنفيذها .القاهرة :دار الفكر العربي.
2. بلخيري , رمدخل إلى الإعلام الجديد المفاهيم الوسائل والتطبيقات (ط1). دار جسور.
3. خضور , أ .(2004) .مدخل إلى فن التحرير الصحفي .دمشق :منشورات جامعة دمشق.
4. عبد الفتاح , ك .(2014) .الصحافة الإلكترونية في ظل الثورة التكنولوجية .عمان ,الأردن :دار اليازوري.
5. محمد الوفائي .(1989) . مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية .القاهرة :المكتبة الأنجلوسكسونية.
6. محمود علم الدين .(2005) . تكنولوجيا الاتصال وصناعة الاتصال الجماهيري .القاهرة، مصر : العربي.

خاتـــــمـــة

تظل مقاربات تحليل المضامين السمعي البصري بما تحمله ثراء نظري وتعدد إجرائي مجالا مفتوحا على التطوير المستمر،كونها تتعامل مع خطاب متغير بطبيعته، متجدد في أشكاله وأدوات إنتاجه ، فالتحولات الرقمية المتسارعة وتطور المنصات التفاعلية وتداخل الوسائط ... وغيرها عوامل تجعل من هذا الحقل مجالا حيويا ديناميكيا لا يُقر بجمود منهجي ولا يتشبث بتصورات كلاسيكية وقوالب جاهزة، وبالتالي، فإن تدريس هذا المقياس ضمن المسار التكويني لا ينبغي أن يقف عند حدود نقل معارف نظرية أو تلقين طريقة عملية فحسب، بل يجب أن يتأسس على رؤية تكوينية شاملة تدمج بين الفهم النظري والتطبيق العملي والنقد المعرفي.

إن مسار التكوين في هذا المقياس في الجامعة الجزائرية كما في العديد من الجامعات العربية لا زال يواجه تحديات منهجية وبيداغوجية، تتعلق بتداخل المفاهيم واللتوصرات وضعف الربط بين النظري والتطبيقي، وقلة المراجع العربية المتخصصة التي تقدم معالجة متكاملة تجمع بين التأصيل الإبستيمولوجي والدليل الإجرائي، فكثيرا ما يكتفي الطالب بفهم عام للمقاربات دون امتلاكه القدرة على تحويلها إلى شبكة تحليل دقيقة قابلة للتطبيق أو القدرة على تبرير اختياراته المنهجية داخل بحث علمي منظم.

وتطوير هذا المسار، يقتضي، أولاً، إعادة النظر في محتواه البيداغوجي بما يضمن التدرج المنطقي من المفاهيم الأساسية والنظرية إلى الأدوات التطبيقية المتقدمة. إذلا يمكن للطالب أن يُباشر تحليل مادة سمعية بصرية أيا كانو نوعها وشكلها وموضوعها دون أن يمتلك ترسانة متينة في تحليل المحتوى الخطاب، الدلالة، الوحدة التحليلية، الفئة، المؤشر والسياق... لذلك يُستحسن اعتماد مقاربة مرحلية تبدأ بالتأصيل النظري ثم تنتقل إلى تمارين أو نماذج تطبيقية جزئية، قبل الوصول إلى مشاريع تحليل متكاملة في نهاية المسار.

كما يُعدّ إدماج الورشات التطبيقية المنتظمة داخل المقياس ضرورة ملحّة. وغاية في الأهمية، فالتكوين في تحليل المضامين السمعية البصرية لا يتحقق بالشرح النظري لوحده وإن كان مستفيضا، بل يتأتى عبر الممارسة المتكررة، تحليل نماذج واقعية مناقشة الاختيارات المنهجية ومقارنة النتائج بين الطلبة. ويمكن في هذا السياق اعتماد مواد متنوعة مثل نشرات إخبارية، برامج حوارية، إعلانات أو أفلام وثائقية، بما يمكن الطالب من الإحاطة بأشكال خطابية متنوعة واختيار ما يُناسب كل منها من أدوات منهجية .

ومن المقترحات المهمة أيضا، تعزيز التكامل بين هذا المقياس وبقية المقاييس ذات الصلة، في مقدمتها مناهج وتقنيات البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال ، السيميائيات بما فيها السيميولوجيا العامة وسيميولوجيا الصورة، نظريات الاتصال وتحليل الخطاب... فغالباً ما يدرس الطالب هذه المواد بصورة منفصلة عن بعضها البعض، بطرق مختلفة تعكس توجه الأستاذ أو المعلم دون أن يُدرك الروابط المعرفية التي تجمع بينها. إن بناء جسور بيداغوجية واضحة بين هذه المقاييس من شأنه أن يعزز الفهم العميق، ويمنح الطالب رؤية شمولية للبحث الإعلامي بدل الرؤية الجزيئية.

ولا يقلّ عن ذلك أهمية إدماج البعد الرقمي في التكوين، عبر تدريب الطلبة على تحليل المحتوى المنشور على المنصات الإلكترونية، ومراعاة خصوصيات البيئة التفاعلية، واستعمال بعض البرمجيات المساعدة في الترميز أو تنظيم البيانات. فالمحتوى السمعي البصري لم يعد محصوراً في البث التلفزيوني التقليدي ولا الإذاعي، بل أصبح جزءاً من منظومة رقمية متشابكة، تتطلب كفاءات تحليلية تتناسب مع طبيعتها المتجددة.

كما يُوصى بتشجيع البحوث التطبيقية الميدانية في إطار هذا المقياس، من خلال تكليف الطلبة بإنجاز مشاريع تحليل مرتبطة بقضايا اجتماعية أو ثقافية راهنة، بما يعزز ارتباط التكوين بالواقع. فربط التحليل بالسياق الفعلي يرسّخ لديه الوعي بدور البحث العلمي في فهم الظواهر الإعلامية، ويُكسبه حساً نقدياً يتجاوز الجانب التقني نحو مساءلة المضامين وتأثيراتها.

ومن الضروري كذلك تطوير آليات التقويم داخل هذا المقياس، بحيث لا تقتصر على الامتحان النظري بل تعتمد تقويما مستمرا يقوم على إنجاز شبكات تحليل، عروض شفوية، تقارير بحثية ومناقشات جماعية. فالتقويم المتنوع يعكس طبيعة الكفاءات المطلوبة في هذا المجال، ويشجع الطالب على الانخراط الفعلي في عملية التعلم.

إن الرهان الحقيقي في تدريس مقاربات تحليل مضامين السمعي البصري لا يتمثل في تمكين الطالب من تطبيق تقنية معينة فحسب، بل في تكوين باحث قادر على التفكير المنهجي، وعلى مساءلة الخطاب الإعلامي بوعي نقدي ومسؤولية معرفية. فالصورة والصوت يشكلان اليوم أحد أبرز مصادر تشكيل الرأي العام والتمثلات الجماعية، ومن ثمّ فإن فهم آليات بنائهما وتحليل مضامينهما يُعد مدخلاً أساسياً لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية المعاصرة.

وعليه، فإن تطوير مسار التكوين في هذا المقياس ينبغي أن يستند إلى رؤية استراتيجية تجعل منه فضاءً لتلاقي النظرية بالتطبيق، والتحليل بالتفكير النقدي، والمعرفة الأكاديمية بالواقع الاتصالي المتغير. وبهذا المعنى، لا يكون تحليل مضامين السمعي البصري مجرد مقياس دراسي ضمن المسار البيداغوجي، بل يصبح ركيزة أساسية في بناء كفاءة علمية رصينة، قادرة على مواكبة تعقيد الخطاب الإعلامي في زمن الصورة المتدفقة والمعنى المتحول باستمرار.

مسرد الشخصيات

Abraham Kaplan ابراهام كابلان (1918-1993) هو فيلسوف وعالم اجتماع أمريكي شهير، يُعتبر من الرواد الذين وضعوا الأسس المنهجية لتحليل المحتوى وتطوير أساليب البحث العلمي في العلوم السلوكية

Louis Althusser لويس ألتوسير (1918–1990) فيلسوف ماركسي فرنسي ولد في الجزائر، ويُعد أحد أبرز المنظرين الذين أعادوا قراءة فكر كارل ماركس في القرن العشرين. اشتهر بتأسيس ما يُعرف بـ "الماركسية البنيوية"، وهي قراءة علمية صارمة ترفض التفسيرات الإنسانية والتاريخية التقليدية للماركسية.

Auguste Comte أوغست كونت (1798 - 1857) عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي ومؤسس الفلسفة الوضعية أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يُعرف به الآن، وهو من أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي.

Bernard Berelsonبرنارد بيرلسون (1912–1979)هو عالم اجتماع وسلوك أمريكي ، اشتهر بأبحاثه الرائدة في مجالات الاتصال الجماهيري، والسلوك الانتخابي، والدراسات السكانية .يُعد أحد "الآباء" المؤسسين لمنهج تحليل المضمون في البحث العلمي.

Charles Sanders Peirce شارل بيرس(1839- 1914) فيلسوف وعالم منطق ورياضيات أمريكي، كان مهتمًا بعلم المنطق، حظي بتقدير كبير بسبب مساهماته في المنطق والرياضيات والفلسفة والمنهجية العلمية والسيموطيقا (علم العلامات)، ولتأسيسه للبراغماتية.

Claude Bernard كلود برنار عالم وظائف أعضاء فرنسي شهير، يعتبر مؤسس المدرسة التجريبية العلمية وصاحب عدة بحوث هامة أدت إلى اكتشاف الوسط الداخلي والاستتباب وفهمهما. ساهمت أعماله واكتشافاته في نهضة وتطور علم الأحياء والطب كما حصل خلال حياته على عدة تكريمات. له أيضا عدة مؤلفات وكتب تعتبر حاليا من أمهات الكتب في المجال الطبي وعلوم الفيزيولوجيا الحديثة.
Erving Goffman إيرفينغ غوفمان (1922- 1982) هو عالم اجتماع وعالم نفس اجتماعي وكاتب ولد في كندا، ويعتبره البعض أكثر علماء الاجتماع الأمريكيين تأثيرا في القرن العشرين». احتل عام 2007 المرتبة السادسة في دليل التايمز للتعليم العالي بين مؤلفي الإنسانيات والعلوم الاجتماعية .

Florian Znaniecki زانيكي فلوريان هو عالم إجتماع وعالم نفس إجتماعي من أصل بولندي ولد في 12 جانفي 1665 بفرجينيا التابعة لبولندا، من أهم إسهاماته في علم الاجتماع "الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا" وكذلك "قوانين علم النفس الاجتماعي" سنة 1252، "منهج علم الاجتماع" سنة 1201 و "الأفعال الاجتماعية" سنة 1208 و " العلوم الثقافية أصلها وتطورها" سنة 1225

Fairclough Normanنورمان فيركلف (مواليد 1941) أكاديمي ولغوي بريطاني بارز ، يُعد أحد المؤسسين الرئيسيين لمجال التحليل النقدي للخطاب، يشغل حالياً منصب أستاذ فخري في جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة. تركزت أعماله على دراسة العلاقة الجدلية بين اللغة والسلطة، وكيفية استخدام الخطاب كأداة للهيمنة الاجتماعية أو التغيير. طوّر نموذجاً تحليلياً ثلاثي الأبعاد لدراسة الخطاب.

Ferdinand de Saussure "فرديناند دي سوسير (1857-1913) عالم لغويات سويسري ومؤسس علم اللغة الحديث. أحدثت أفكاره ثورة في دراسة اللغات، حيث نقلها من التركيز على التطور التاريخي إلى دراسة اللغة كنظام بنيوي متكامل. يعود له الفضل في تطوير السيمياء وابتكار منهج تحليلي في مجال السيميائيات يقوم على الدال والمدلول والعلاقة بينهما ضمن سياق التحليل.

Francis Bacon فرانسيس بيكون (1561 - 1626) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على «الملاحظة والتجريب». من الرواد الذين انتبهوا إلى عدم جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. لُقب "بأب التجريبية" من أهم أفكاره عدم الإقرار بإمكانية المعرفة العلمية المبنية فقط على الاستقراء والمراقبة الدقيقة للأحداث في الطبيعة.

Grawitz Madeline مادلين قرويتز (1911-2008) هي عالمة اجتماع وحقوقية فرنسية بارزة، تُعد من أهم المراجع في مجال منهجية العلوم الاجتماعية. شغلت منصب أستاذة فخرية في جامعة باريس الأولى (بانتيون سوربون)، وكانت متخصصة في القانون العام والعلوم السياسية. مثلت أفكاره إطارا بلاغيًا ونظريا جديدا للعلم، وما تزال تفاصيلها العملية مركزية في المناقشات حول العلم والمنهجية

Georges Mounin جورج مونان، لغوي ومنظر فرنسي شهير في دراسات الترجمة، وسيميائي عُرف بإسهاماته التأسيسية في علم الترجمة. من أشهر مؤلفاته المترجمة للعربية كتاب المسائل النظرية في الترجمة وعلم اللغة والترجمة. ركز في أعماله على أهمية الثقافة في عملية الترجمة واعتبر أن المترجم يجب أن يكون متمرساً في "الإثنوغرافيا" وليس اللغة فقط

Harold Dwight Lasswell هارولد دوايت لاسويل عالم اجتماعي أمريكي (1902- 1978) درس تأثير أجهزة الإعلام على تكوين الرأي العام, وهو صاحب صيغة لاسويل الشهيرة في تصميم الرسائل الاعلامية المستنبطة من طرح الاسئلة التالية, (من يقول,ماذا يقول ,بأية وسيلة,لمن,وبأي قصد؟)

Heinrich Rickert هاينريخ ريكرت فيلسوف ألماني، من مواليد 1863 في مملكة بروسيا، تلميذ فندلباند وممثل رئيسي لمدرسة بادن الكانطية المحدثة. نواة المذهب النقدي تكمن في رأيه في علم الأخلاق، لا في نظرية المعرفة. فصحيح أن هذه النظرية تعين معايير الحقيقة، ولكن الفلسفة ليست نظرية المعايير الحقة بصفة عامة. ومهمة الفلسسفة بالتالي دراسة العلاقات بين ملكوت القيم (المطلق، المثال) وملكوت الواقع بدلالة «ملكوت ثالث» هو الثقافة

Imre Lakatos لكاتوس إمره (1922-1974) فيلسوف انجليزي اختص في الرياضيات والعلوم، جاءت نظريتة أكثر اعتدالا وصوابا من وجهة نظر بوبر أكثر عقلانية من وجهة نظر كون، لأنه تجنب التطرف البوبري "التكذيب منذ أول عائق".

Jean Piaget جان بياجيه (1896 - 1980) عالم نفس وفيلسوف سويسري، رائد المدرسة البنائية في علم النفس ومطور نظرية التطور المعرفي عند الأطفال المعروفة حاليا " بنظرية المعرفة الوراثية" . أنشأ عام 1965 مركز نظرية المعرفة الوراثية في جنيف وترأسه حتى وفاته .

John Stuart Mill جون ستيوارت ميل (1806–1873) هو فيلسوف واقتصادي بريطاني من أبرز منظري الليبرالية الكلاسيكية والمذهب النفعي في القرن التاسع عشر. ترك أثراً عميقاً في الفلسفة السياسية والأخلاقية من خلال دفاعه عن الحرية الفردية وحقوق المرأة والمساواة الاجتماعية. له إسهامات كثيرة في الاقتصاد، المنطق وقواعد الاستقراء

Karl Raimund Popper كارل ريموند بوبر (1902 - 1994) فيلسوف نمساوي-إنجليزي متخصص في فلسفة العلوم. عمل مدرسا في كلية لندن للاقتصاد. يعتبر أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين، كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية. أهم سمة تميز أعماله الفلسفية هي البحث عن معيار صادق للعقلانية العلمية.

Roland Barthes رولان بارت (1915-1980) فيلسوف فرنسي، ناقد أدبي، دلالي، ومنظر اجتماعي. جامعة السوربون عام 1939، ودرس في بوخارست، ومصر، وأصبح أستاذا للسميولوجيا عام 1976

اشتهر بارت بمجموعة مقالاته لعام 1957 الأساطير، والتي تضمنت تأملات في الثقافة الشعبية، ومقاله عام 1968/1967 «موت المؤلف»، والذي انتقد فيه الأساليب التقليدية في النقد الأدبي.

Sigmund Freud سيغموند فرويد (1856 –1939) طبيب نمساوي من أصل يهودي، اختص بدراسة طب الجهاز العصبي ومفكر حر يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي. أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث. اشتهر فرويد بنظريات العقل واللاواعي، وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي. كما اشتهر بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية.

Teun A Van Dijk تيون فان دايك ، 1943، لغوي هولندي معروف بتطويره بالتعاون مع والتر كينتش أول نظرية تتعلق بعملية نفسية لفهم الخطاب، عام 1978. ويعتبر أحد آباء تحليل الخطاب النقدي

Thomas Samuel Kuhn توماس صموئيل كون، (1922 - 1996) فيلسوف أمريكي في العلوم ومؤرخ لها. انصبّ اهتمامه بالدرجة الأولى على هياكل وديناميكيات الجماعات العلمية عبر تاريخ العلم. وهو من دعاة تفسير تاريخ العلم الذي يرى أن التطور التاريخي للنظريات غير متصل؛ ولتفسير هذه العملية، تبنى، ولا سيما من ألكسندر كويري، مفهوم الثورة العلمية، وقدم المفهوم الكلاسيكي المعروف الآن باسم تحول النموذج الفكري.

Thompson John B جون طومسون عالم اجتماع بريطاني بارز وأستاذ فخري في جامعة كامبريدج اشتهر بأبحاثه حول تأثير وسائل الإعلام على المجتمعات الحديثة وصناعة النشر.

Wilhelm Dilthey فيلهلم دلتاي (1833-1911)، فيلسوف وطبيب نفسي وعالم اجتماع ألماني، يعتبر الممثل الرئيسي للفلسفة ما بعد -هيغلية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن 20. سعى إلى استخدام فئات كانط التصاعدية في ميادين العلوم الإنسانية والتاريخية من خلال نقد العقل التاريخي.

William Isaac Thomas توماس وليام عالم إجتماع وكاتب أمريكي من أصول هولندية، عمل أستاذا في اللغة إلانجليزية ثم أستاذا في علم الاجتماع بكلية أوبرلين في أوبرلين،كما دعي للتدريس بجامعة شيكاغو في ذات التخصص. من إسهاماته المهمة معالجته لقضايا المجتمع والثقافة،وصف الأعراق البشرية،تطور

شخصية الافراد الطبيعيين واملجر مين...إلخ،ولكن إسهامه ألابرز جاء حول الهجرة وأصدر أكثر من أربعين مطبوعة في مقدمتها دراسة "الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا".

مسرد المصطلحات

الاستقصاء

الجهد العقلي والعملي المبذول بطيرقة منظمة للبحث عن الحقيقة أو المعرفة من خلال التتبع الدقيق والتحقيق المنهجي. وتختلف صوره باختلاف المجال الذي يُستخدم فيه، كالاستقساء في البحث العلمي التعليم...

التحليل الإحصائي

عملية جمع البيانات، تبويبها، وتحليلها باستخدام أدوات وتقنيات رياضية/إحصائية لتحويل البيانات الخام إلى معلومات مفيدة. بهدف فهم أنماط الظواهر، تفسير النتائج، واستخلاص استنتاجات دقيقة تساعد في اتخاذ القرارات الموثوقة.

التحليل العلمي

أسلوب تفكير وعملية منهجية لتفكيك المعلومات، البيانات أو الظواهر المعقدة إلى أجزاء أصغر وتفصيلية لفهم طبيعتها، وظائفها، والعلاقات بينها. يعد خطوة رئيسية في البحث العلمي لتحويل البيانات الأولية إلى نتائج، أنماط، واستنتاجات ذات دلالة وتفسيرها بدقة، مما يساعد على اتخاذ القرارات وفهم الظاهرة بشكل أعمق.

التحليل النوعي

عملية تحديد نوع المكونات، العناصر، أو المركبات الكيميائية في عينة غير معروفة، أو فهم الأفكار والظواهر الاجتماعية المجردة غير القابلة للقياس (كالآراء والمشاعروالاتجاهات) دون التركيز على كمياتها بقدر التركيز على فهم سيرورتها وتفاعلاتها

الخطاب السمعي البصري

منظومة اتصالية تعتمد على الدمج بين الصوت والصورة (والحركة) لإيصال رسائل إعلامية، تعليمية، أو إشهارية، متجاوزاً وسائل الإعلام الورقية. يشمل التلفزيون، السينما، والإنترنت، ويتميز بقدرته العالية على الإبهار، الإقناع، وتجاوز الحدود الثقافية والأمية.

الدراسات الإمبريقية

الدراسات الإمبريقية (التجريبية) هي بحوث علمية تعتمد بشكل أساسي على الملاحظة المباشرة، التجربة والخبرة الحسية لجمع البيانات والتحقق من الفرضيات، بدلاً من الاعتماد على النظرية المجردة أو التخمين. تهدف إلى وصف أو تفسير الظواهر الواقعية الملموسة استناداً إلى أدلة مادية وقابلة للقياس

الصناعات الإعلامية

عملية إنتاج، إدارة، وتوزيع المحتوى (معلومات، ترفيه، أخبار...) من طرف مجموعة من المؤسسات والمنظمات التجارية والتقنية عبر الوسائل التقليدية (تلفزيون، إذاعة، صحافة) والرقمية الحديثة. تهدف هذه الصناعة إلى تحقيق أرباح عبر استقطاب الجمهور، وتشكيل الوعي والثقافة المجتمعية، وتعتمد على التقنيات المعقدة.

القياس

القياس في البحث العلمي هو عملية منهجية تهدف إلى إعطاء تقدير كمي (رقمي) للصفات أو الظواهر محل الدراسة، وذلك باستخدام أدوات ومقاييس مقننة ومعايير متفق عليها لتحويل المفاهيم المجردة إلى أرقام، مما يتيح وصفاً موضوعياً ودقيقاً للسمات والكشف عن العلاقات بين المتغيرات

المقاربة البحثية

إطار متكامل نظري ومنهجي موجه، يتبناه الباحث لدراسة ظاهرة معينة، استناداً إلى نسق فكري أو نظرية معينة تساعد في فهم وتفسير الظاهرة المدروسة وتوجيهها . تعد "اقترابا" (Approach) من الظاهرة لدراستها وتحليلها، وتختلف عن المنهج كونها أشمل وأكثر تخصيصا.

المقاربة الكمية

إطار بحثي منظم يعتمد على جمع وتحليل البيانات الرقمية والإحصائية لقياس الظواهر، اختبار الفرضيات، وتعميم النتائج على مجتمعات دراسية أوسع. تستخدم هذه المقاربة أدوات موضوعية ومنظمة مثل الاستبيانات والتجارب في بيئات مضبوطة، بهدف تفسير العلاقات السببية وتصنيف المميزات بشكل رياضي ودقيق.

المقاربة الكيفية

منهجية بحثية تركز على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والإنسانية من خلال جمع وتحليل بيانات غير رقمية، كالكلمات، الصور، والملاحظات، لاستكشاف المعاني، الاتجاهات، والخبرات بعمق. تعتمد على سياق طبيعي، وتهدف إلى الإجابة على أسئلة "كيف" و"لماذا" بدلا من القياس الكمي.

المناهج المختلطة

نهج بحثي يدمج بين الأساليب الكمية (البيانات الرقمية) والكيفية/النوعية (النصوص والمقابلات) في دراسة واحدة أو سلسلة دراسات. تهدف هذه الطريقة إلى تقديم فهم شامل ومعمق للمشكلة البحثية حيث تعزز قوة كل منهج نقاط ضعف الآخر، وتستخدم بشكل واسع في العلوم الاجتماعية والسلوكية.

المنهج العلمي

أسلوب فكري ومنهجي منظم يعتمده الباحث لدراسة الظواهر، تحليل المعلومات، والوصول إلى حقائق وقوانين علمية دقيقة عبر خطوات متسلسلة (ملاحظة، فرضيات، تجارب، استنتاج). يهدف إلى الكشف عن الحقيقة بموضوعية، بعيداً عن التحيز، وتفسير الإشكاليات من خلال أدلة عقلية وتجريبية مثبتة.

تحليل الخطاب

نهج بحثي متعدد التخصصات (لساني، اجتماعي، معرفي) يدرس اللغة المكتوبة أو المنطوقة أو الإشارة كسياق تفاعلي وممارسة اجتماعية. يتجاوز المعنى الصريح للنصوص، مثل الجملة، للبحث عن المعاني الضمنية، الظروف المحيطة، وعلاقات السلطة، بهدف تفكيك الرسالة وفهم مقاصدها الحقيقية والكامنة

تحليل المحتوى الإعلامي

عملية تفكيك الرسالة الإعلامية إلى عناصر جزئية تتعلق بالشكل وأخرى بالمضمون للوقف على معانيها وأفكارها. يُستخدم في دراسة ما ينتجه القائمون بالاتصال.